التغيّرات السكّانية (الديموغرافية)

في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية

اشراف ومراجعة
بروفيسور دكتور قاسم حسن آل شامان السامرائي

المدرس الدكتور
رشـــاد نــواف أحــمد السامرائي

الطبعة الأولى
2024 م – 1445 هـ



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2023/10/5561)

956.0543

التغيرات السكانية (الديموغرافية) في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية

رشاد نواف احمد - عمان: دار دجلة ناشرون وموزعون ، 2023

ر.أ: (2023/10/5561)

الواصفات:/التحولات السكانية//الابحاث الديموغرافية//الحروب الصليبية //البدو //بلاد الشام //التاريخ الاسلامي//

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية



المملكة الأردنية الهاشمية

عمان - شارع الملك حسين - مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص. ب: 712773 عمان 11171 - الأردن

E-mail: dardjlah@ yahoo.com

www.dardjlah.com

ISBN:978-9923-53-041-2

بِسْمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللـهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾

سورة آل عمران، الآية: 200

الإهداء

إلى روح أبي (رحمه اللـه)...

أمي الحنونة بارك اللـه في عمرها، وأمدَّها بالصحة والعافية...

زوجتي وشريكة الحياة...

ابني وابنتي العزيزَيّن...

إخوَتي الأوفياء...

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على صاحب العلم المبين، وسيد الانبياء والمرسلين (محمّد) وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين وبعد.

تُعد الحروب الصليبية من أطول الحروب التي تصدى لها المسلمون وأكثرها دموية وشراسة، وعلى الرغم من محاولة المؤرخين ورجال الدين الأوربيين المعاصرين للحروب الصليبية منهم والمُحدَثين طَمر حقيقة الاستعمار الصليبي لبلاد الشام، بالتستر وراء الشعارات الدينية التي ذكرت إنَّ غرض تلك الحروب هو مساعدة إخوانهم البيزنطيين واستعادة الأراضي المقدسة، فقد عدّوا الحروب الصليبية حربًا مقدسة وعادلة، إلا أنّها تخفي الأغراض الحقيقية المتمثلة بتغيير خارطة المنطقة العربية، عن طريق السيطرة والاستيطان، واستنزاف القوى البشرية والمادية.

وإنّ الحروب الصليبية ماهي إلا المقدمات الحقيقية لقيام الكيان الصهيوني في فلسطين، وتجربة المستوطنات الصليبية هي ذاتها المستنسخة من الكيان الصهيوني في تطويق المناطق العربية وتمزيقها، فالمشروع الصليبي والصهيوني يقومان على أرض واحدة وفكر استيطاني متشابه، وحتى المشكلات التي واجهها الصليبيون تكاد تكون مشكلات العدو الصهيوني نفسها (العنصر البشري، والأمن، والمحيط العربي الإسلامي المعادي، والعلاقات مع العرب) ونتيجةً لذلك تم اختيار الموضوع (**التغيّرات السكانية (الديموغرافية) في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية**) الذي سيميط اللثام عن حقيقة هذه الحركة من جهة، وصحوة المسلمين لمواجهتها من جهة اخرى.

وتَكمُن أهمية الموضوع في كشف النقاب عن حقيقة الوجود الصليبي في الشرق الاسلامي لمدة قرنين من الزمان، بعد أنْ تمخض منذ الحملة الصليبية الأولى

(491ه/ 1098ه) قيام أربع إمارات صليبية وهي: الرها، وأنطاكيا وبيت المقدس، وطرابلس، وارتكاب أبشع الجرائم المتمثلة بالمذابح والمجازر، وما رافق عمليات الغزو والاستيلاء على الأراضي من تهجير عدد كبير من السكان؛ لتحقيق الأهداف الصليبية المتمثلة بتغيير واقعها السكاني (الديموغرافي) وطمس عروبة المنطقة، وفرض سياسة الأمر الواقع بإصدار قوانين لتمليك أرض الإسلام لهم، وإقامة سلسلة من المستوطنات العسكرية والزراعية؛ لإحكام السيطرة على المناطق المحتلة، وتمزيق المنطقة جغرافيًا وسياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا.

قُسمت الدراسة على مقدمة واربعة فصول، فضلاً عن الخاتمة والملاحق، وقائمة بالمصادر والمراجع، وملخص باللغة الانكليزية:

جاء عنوان **الفصل الأول** (**الأوضاع السكانية في بلاد الشام قبيل الحروب الصليبية**) لبيان الأوضاع التي كانت عليها بلاد الشام والتركيبة السكانية قبيل قدوم الصليبيين.

وجاء **الفصل الثاني** بعنوان (**أهمية بلاد الشام عند الصليبيين ومراحل استيطانهم فيه**) دَرَس هذا الفصل أهمية بلاد الشام في الفكر الصليبي، ودوافع وأطماع هؤلاء في أرض الإسلام وبيان حقيقة مايدّعون، فضلًا عن تسليط الضوء على مراحل استيطانهم بالحملات الصليبية التي قاموا بها.

أما **الفصل الثالث** فحمل عنوان(**التغييرات السكانية (الديموغرافية) في بلاد الشام حتى تحرير بيت المقدس)** أزالت الدراسة في هذا الفصل الغبار عن الأساليب التي اتبعها الصليبيون في التغيير السكاني(الديموغرافي) عند دخولهم مدن بلاد الشام وكَشَفَت ما ارتكبوه من مذابح ومجازر جماعية عند دخولهم المدن الآمنة، فضلًا عن الأساليب التي اتبعوها بعد استقرارهم في مدن بلاد الشام التي تمثلت بإصدار القوانين

التي أتاحت لهم توطين فئات بشرية دخيلة، وتغيير خارطة المنطقة على المستوى الجغرافي والاجتماعي وحتى الديني.

واستعرض الفصل الرابع (**التغييرات السكانية (الديموغرافية) في بلاد الشام بعد تحرير بيت المقدس وحتى خروج الصليبيين**) وفيه تحرير المدن وهجرات الصليبيين منها، وارجاع المدن الى حضن اهلها مع وفود واستقرار طوائف سكانية مختلفة الأجناس والأعراق، وما نتج عن التغييرات السكانية من آثارٍ سلبية ألقى بها الاستعمار في أرض بلاد الشام، فضلًا عن الأثر الحضاري الذي تركه المسلمون في هذا الغزو القادم من وراء البحار.

واستعرضت الخاتمة النتائج التي توصلت اليها الدراسة، وتليها الملاحق التي أعطت توضيحًا لبعض الأحداث والحقائق الواردة في صفحاتها.

وواجهت الدراسة صعوبات تمثلت بابتعاد المؤرخين المستشرقين المعاصرين للحروب الصليبية في كتاباتهم عن التغيّرات السكانية والاجتماعية، والمتأمل في دراسات المؤرخين المحدثين للحروب الصليبية سيجد إغفالًا كبيرًا عن هذا الجانب؛ لأن المصادر الأصلية كانت أكثر كتابات مؤلّفيها توثّق الأحداث السياسية التي شهدتها بلاد الشام في تلك الحقبة، وابتعادهم عن الأحداث التي جرت داخل الإمارات الصليبية؛ لأنها تحت سيطرتهم، فضلًا صعوبات أخرى تكمن في تتبع حركة وانتقال هجرات المسلمين والصليبيين وأعراقِهم لعدم وجود سجل لعوائلهم، والتي لم تستقر طويلًا في منطقة معيّنة الى أن تزحف مرة أخرى؛ وهذا نتيجةً للصراع العربي الإسلامي مع الغزو الصليبي على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي والحضاري في مدن بلاد الشام.

فبرزت أهمية المصادر المعاصرة للأحداث؛ لأنها قريبة من مصدر القرار، أو مرافقة بعض مؤلفيها لصلاح الدين الأيوبي والقادة الآخرين، ولابد من الإشارة إلى أن العرب المسلمين لم يكونوا هم الذين أطلقوا مصطلح (الحروب الصليبية) على هذه الحركة، وانّما كانوا يُسمّونها بـ (غزوات الفرنجة) فكان جهد الباحث مضاعفًا في البحث واستخراج المعلومات من بطون المصادر، والمراجع العربية والأجنبية.

عرض أهم المصادر:

اعتمدت الدراسة على العديد من المصادر الاولية، فضلًا عن المراجع الثانوية والدراسات الأكاديمية، وشملت:

أولا: المصادر الأولية: وتُقسم على:

1- كتب التاريخ العام:

أفادت الدراسة من كتب التاريخ العام، فكان منها كتاب **ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي (ت 555 ه/ 1160 م)** في ذكر الاوضاع العامة في بلاد الشام قبيل الحروب الصليبية المتمثلة ببعض الطوائف الدينية، وطبقات المجتمع، فضلاً عن تصدي السلاجقة للصليبيين، والاستيلاء على انطاكيا وارتكاب المذابح والمجازر فيها اثناء الحملة الصليبية الأولى.

ويأتي كتاب **تاريخ الحروب الصليبية لوليم الصوري (ت 580هـ/ 1184م)** الذي أغدق الدراسة بالمعلومات التي تميّز بها عن أقرانه اللاتين، وكان من بينها استنكاره لرجال الدين في خداع واستغفال بني جلدتهم، وأفاد الدراسة بذكر أصل الطوائف النصرانية في بلاد الشام، وعرّف بالمدن اللاتينية التي قَدِم منها الغزو الصليبي.

وتكمن اهمية كتاب **الاعتبـار لابـن منقـذ (ت 584ه/ 1188م)** في أنـه جـاء بـذكر بعض المعلومات التي خصّت باستقرار المغاربة والعراقيين في بيت المقدس، فضلًا عن ذكره لطبيعـة التعـايش السـلمي بـين الجانـب الصـليبي والإسـلامي وتـأثر الصـليبيين في طعـام المسلمين واعجابهم به، وتأثرهم بعادات المسلمين في الاستحمام، وبنـاء الحمامـات العامـة والخاصة.

وأغنت الدراسة كتابات **الاصفهاني (ت 597هـ/ 1201م)** في كتابه **الفتح الـقسي في الفتح القدسي** المسمى **بـ(حروب صلاح الـدين وفـتح بيـت المقـدس)** وكتـاب **ابـن شـداد (ت632ه/ 1234) النـوادر السـلطانية والمحاسـن اليوسـفية** المسـمى**(سـيرة صـلاح الـدين الأيوبي)** فتوحات صلاح الدين ابتداءً من تحرير بيت المقدس، وسياسته الحكيمة في حربـه مع الصليبيين؛ وتكمن أهمية هؤلاء المؤرخين في ملازمتهم لصلاح الدين الأيـوبي في سـاحات المعارك.

أمّا كتاب **الكامل في التـاريخ لابـن الأثـير الجـزري (ت630ه/ 1232م)** الـذي كـان معاصرًا لأحداث الحروب الصليبية لأكثر من ستين سنة من حياته، إذ فصّل فيه ابـن الأثـير تفصيلًا دقيقًا وشاملًا للمعارك والاحداث السياسية التي جرت للدولة الزنكية والأيوبية مع الغزو الصليبي، فضلًا عن ذكره لمجريات أحداث الحملات الصليبية وحصار المدن ومقاومة المسلمين لهم، وكذلك المفاوضات بين الملك الكامل والامبراطور الالماني فردريك الثـاني اثنـاء الحملة الصليبية الثالثة، وأورد بعض التراجم والوفيات لأعيان المسلمين.

وجاء في كتاب **بغية الطلب في تاريخ حلب**، وكتاب **زبدة الحلب من تـاريخ حلـب لابن العديم (ت660هـ/ 1261م)** معلومات أفادت الدراسة عن الغِنى والترف الـذي كـان سائدًا بـين أوسـاط رجـال الدولـة والـولاة قبيـل الحـروب الصـليبية، فضـلًا عـن الأسـاليب

التي اتبعها الصليبيون في التغيير السكاني لبلاد الشام في الرها والقدس، وعن دور خلفاء صلاح الدين في استكمال حروب التحرير وطرد المحتل من ارض بلاد الشام، فضلًا عن أوضاع اللاجئين المسلمين في دمشق وحلب، وعمليات التنصير القسري التي فرضتها السياسة الصليبية الاستيطانية على سكان مدن بلاد الشام.

وقَدّمت للدراسة كتب المؤرخ **المقريزي (ت845 ه/ 1441م)** مثل: كتاب **اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا**، وكتاب **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار**، وكتاب **السلوك لمعرفة دول الملوك** معلومات عن الدولة الفاطمية، وحياة الترف والاسراف والتبذير عندهم، ووصف الاستيلاء على مدينة عكا وقتل وسبي أهلها، فضلًا عن دور الأسرى المسلمين في اتقانهم للصناعات والحرف والفنون المعمارية، وعن الأحوال الاقتصادية في المستوطنات الصليبية، وكذلك عن دور المماليك في استكمال تحرير بلاد الشام وطردهم منها، واستقبال المغول وتوطينهم في بلاد الشام من قبل الظاهر بيبرس والسلطان الاشرف قلاوون.

2- الكتب الجغرافية والرحلات:

تُعد الكتب الجغرافية والرحلات من أبرز الكتب التي أفادت الدراسة، ومنها:

كتاب **تاريخ بيت المقدس** للرحالة **يعقوب الفيتري (ت 516 ه/ 1122م)** الذي جاء مع الحملة الصليبية الأولى، إذ كان شاهدًا عيان لما دار من الأحداث التي وقعت لرعايا الحملة الصليبية الاولى، فأورد في كتابه اقتسام وتوزيع الاقطاعات بين الامراء الصليبيين، فضلًا عن الخلافات التي نشأت بين الامراء الصليبيين، والتعريف بالفرق الدينية العسكرية، والتغييرات التي حصلت في المسجد الأقصى وتحويله الى كنيسة، وعمّا شاهدهُ من بيوت الفساد التي انتشرت في مدينة عكا.

ولا يقل اهمية عن غيره كتاب الرحالة الفرنسي **فوشيه الشارتري (ت 521ه/ 1127م) تاريخ الحملة الى بيت المقدس (1095- 1127م)** الذي وصل بعد خمسة أيام من الاستيلاء على بيت المقدس، وكتابه قد أمد الدراسة بمعلومات عن ذكره لمئات الحجاج المستوطنين القادمين من اوروبا لزيارة البيت المقدس، ووصف طبيعتهم الهمجية في الحملة الصليبية الأولى، فضلًا عن شهادته بوصفه مؤرخًا لاتينيًا في وصف بشاعة الصليبيين وذبح المسلمين، واستقرارهم في بيت المقدس.

و**رحلة** اليهودي **بنيامين التطيلي (ت 569ه/ 1173م)** التي دعمت الدراسة بمعاني تسميات وتعريفات مدن بلاد الشام قديمًا، وكذلك عند الفرنجة، وذكر اعداد لتنوع تركيبة بلاد الشام من اليهود والنصارى بمختلف طوائفهم، ووصف لأسماء مواقع الأديرة التي شيدها الصليبيون في بلاد الشام.

وأفاد كتاب **معجم البلدان لياقوت الحموي (ت 626هـ/ 1828م)** في توضيح وتعريف أغلب المصطلحات والمواضع الجغرافية التي تشمل المدن والأنهار والحصون والكنائس.

ثانياً: المراجع الثانوية:

عززت الدراسة الى جانب المصادر الأولية مجموعة من المراجع الثانوية العربية والمترجمة وغير المترجمة المهمة؛ لكونها اعتمدت في منهجها على الوثائق، والمخطوطات اللاتينية، والحفريات الأثرية، فضلاً عن المتاحف، وكان من بينها، **خطط الشام لكرد علي**، وكتابي المؤرخ **اليهودي يوشع براور الاستيطان الصليبي في فلسطين (مملكة بيت المقدس)** وكتاب **عالم الصليبيين**، وكتاب **تاريخ الحروب الصليبية لستيفن رنسيمان**، وكتاب **الحروب الصليبية لباركر**، وكتاب **سعيد البيشاوي الممتلكات الكنسية**، وافادت هذه الكتب الدراسة بمعلومات عن طبيعة الاقاليم المناخية في بلاد

الشام ومواقع المدن في الوقت الحاضر، فضلًا عن البحوث والرسائل الجامعية التي فتحـت الآفاق الى المصادر الأولية.

ومن اللـه التوفيق والسداد

الفصل الأول

الأوضاع السكانية

في بلاد الشام قبيل الحروب الصليبية

أولاً: أوضاع بلاد الشام قبيل الحروب الصليبية:

ثانيا: التركيبة السكانية لبلاد لشام قبيل قدوم الصليبيين

ثالثًا: الطوائف الدينية

رابعًا: فئات السكان

الفصل الأول

الأوضاع السكانية

في بلاد الشام قبيل الحروب الصليبية

أولاً: أوضاع بلاد الشام قبيل الحروب الصليبية:

احتلت بلاد الشام[1] موقعًا جغرافيًا وسياسيًا مهمًا، فمنذ قديم الأزل وهي منطقة صراع، بدءًا من الصراع بين الفرس والروم الذي دام ما يقارب 26 سنة (602-627م) كلٌّ منهما حاول أنْ يبسط سيطرته عليها، حتى انتصر الروم البيزنطيون أخيرًا على الفرس[2]، وبدأ الاهتمام الإسلامي ببلاد الشام على وفق ما جاء في القرآن الكريم بشأن الصراع على المنطقة بين الفرس والروم (**غُلِبَتِ الرُّومُ {2/30} فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ {3/30} فِي بِضْعِ سِنِينَ للهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ {4/30}**) [3].

---

(1) **بلاد الشام**: أصل التسمية ترجع إلى سام بن نوح (عليه السلام) وفيها منبج وحلب وحماة وحمص والاردن وبيروت ودمشق وبيت المقدس، والشام ممتدة على الساحل الشرقي لبحر الروم، وتمتد شرقًا إلى نهر الفرات، وتمتد شمالاً من بلاد الروم (تركيا) إلى حدود مصر وجزيرة العرب جنوبًا؛ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله (ت 626هـ/ 1828م) معجم البلدان، دار الفكر (بيروت، 1995م) ج3، ص311؛ عبد السلام، عادل، جغرافية سورية الاقليمية، منشورات جامعة تشرين (دمشق، 2004م) ص19-20.

(2) الطبري، محمد بن جرير (ت 310ه/ 923م) تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث (بيروت، 1968م) ج1، ص594.

(3) سورة الروم، الآيات 2-4.

وعلى الرغم من عودة بلاد الشام إلى الأراضي البيزنطية إلا أنَّها كانت عودةً مؤقتةً، ولم تدم سوى عقدين فقط حتى فتحها المسلمون في سلسلةٍ من المعارك في عصر الخلافة الراشدة بين سنتي (12هـ \ 633م -19هـ \ 640م) وأعطى الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وثيقة عهدٍ وأمانٍ لنصارى بلاد الشام عامةً وأهل القدس[1] خاصةً مع الحفاظ على بطارقتهم، وكنائسهم، وممتلكاتهم وسميت بـ(العهدة العمرية)[2].

وظلت الشام مركزًا للحكم والإدارة طوال عصر الدولة الأموية (41 - 132هـ / 662 - 750 م) وحتى عندما قامت الخلافة ومقرها في العراق فإنها كانت موضع عناية الخلفاء واهتمامهم طوال عصر الخلافة العباسية الذهبي الأول (132 هـ - 247 هـ / 750م - 862 م)[3]، إلّا أن ضعفها في عصرها الثاني (237 - 334هـ / 862 - 946م) أثّر كثيرًا على الوضع بالشام؛ إذ تفرّق حكمها بين الأمراء التابعين للخلافة العباسية[4]، إلا

(1) **القدس**: بضمّ أوله وسكون ثانيه، مدينة تتوسط فلسطين، أطلق عليها العرب اسم اورسالم وتعني مدينة السلام، وعند اليهود اورشليم، وعند الرومان إيلياء كما وردت في العهدة العمرية: ((**هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيليا من الأمان**)) حينما فتحها المسلمون عام (15ه/ 636م) وعند اول حملة صليبية على الشرق احتلها الصليبيون سنة (492ه/ 1099م) وقاموا بتأسيس ثالث مملكة لاتينية Et regnum Hierusalem وتعني مملكة القدس، وملكها جودفري؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص609؛ المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت 346ه/ 1957م) مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: اسعد داغر، دار الاندلس (بيروت، 1965م) ج1، ص 138؛ التطيلي، بنيامين يونه النباري الأندلسي (ت 569ه/ 1173م) الرحلة، ترجمة وتعليق: عزا ر حداد، تقديم: عبد الرحمن عبد الله الشيخ، ط2، المجمع الثقافي (أبو ظبي،2009) ص230-242؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص 311.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص609.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج4، ص 389.

(4) ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ/ 1175م) تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو ابن غرامة العمروي، دار الفكر (د. م، 1995م) ج4، ص66.

أنَّ هذا الاستمرار في الولاء الرمزي للخلافة العباسية نازعته الدولة الفاطمية (297ه-567ه/ 910م-1171م)[1]، وبدأت محاولة تأسيس دولة لها في الشام في ظل صراعها مع السلاجقة، محاولةً منها استعادة نفوذها في الشام، حتى استطاع السلاجقة تأسيس فرعٍ لهم في حكم بلاد الشام[2]، فيما بعد عرف بـــ(سلاجقة الشام)[3]، إلا أنَّ هذا لم يمنع حالة التنافر والتناحر بين السلاجقة بعضهم البعض، وبين السلاجقة والأتراك، وظلت بلاد الشام أرضًا للنزاع لم تهدأ الفتن والصراعات فيها طوال الحكم الإسلامي[4].

---

(1) **الفاطميون**: يرجع نسب الفاطميين إلى عبيد الله المهدي الذي يعود نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب، وزوجه فاطمة الزهراء(عليهم السلام) ولم يتفق المؤرخون على صحة هذا النسب، وينفون نسبهم لآل النبي (صلى الله عليه وسلم) ويقولون: إنَّ عبيد الله المهدي اسمه سعيد، وكان زوج أمه الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون القداح، وسواء صح انتساب الفاطميين إلى علي بن أبي طالب وزوجته فاطمة الزهراء (رضي الله عنهما) أم كان ادعاءً، فإنه كان الدعامة الأساس التي اعتمد عليها الفاطميون في إقامة دولتهم في المغرب، ثم في مصر والشام (297ه- 567ه/ 910م-1171م)؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني(ت630 ه/ 1232م) الكامل في التاريخ، تحقيق: عمر عبد السلام التدمري، دار الكتاب العربي (بيروت،1997م) ج6، ص577-579؛120؛ المقريزي، تقي الدين العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت 845ه / 1441م) اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط2، وزارة الأوقاف (مصر، 1996م) ج1، ص23-29.

(2) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص7 -9.

(3) **السلاجقة**: يرجع نسب السلاجقة إلى عهد زعيمها ومؤسسها سلجوق بن دُقَاق التركي، وبدأ ظهور السلاجقة في بلاد الشام بحملة ألب أرسلان على بلاد الشام (462ه/ 1069م) وبعد ذلك استطاع السلاجقة أن يضعوا قدمًا لهم فيها؛ رشيد، يوسف، سلاجقة الشام والجزيرة (435هـ -570هـ) المؤسسة الصحفية الأردنية (عمان، 1988م) ص72-81.

(4) البيلي، محمد بركات، بلاد الشام بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي في الإطار التاريخي للحركة الصليبية، مركز اتحاد المؤرخين العرب (القاهرة، 1996م) ص234-237.

لقد كانت الشام قبيل الحروب الصليبية[1] أرضًا مهيأةً تمامًا لسقوطها في أيدي الصليبيين الذين راحوا يستولون عليها مدينةً تلو الأخرى[2]، ومن هنا يُطرح تساؤل: لماذا بلاد الشام؟ ألم يكن من الأولى للصليبيين الاستيلاء على بيت المقدس فقط، وبما أنَهم يصارعون المسلمين لماذا لم ينقضّوا على مراكز حكمهم في العراق، بل ويتضح أنَّ حتى حملتهم الصليبية على مصر كانت للحفاظ على تواجدهم في بلاد الشام.

ثانيًا: التركيبة السكانية لبلاد لشام قبيل قدوم الصليبيين:

تعددت التركيبة السكانية في بلاد الشام، وذكر الرحالة بينامين التطيلي بـ))**أنهم خليط من كل أمة ولسان**))[3] وبلاد الشام تتصف بموقع جغرافي متميّز، ومناخ معتدل ومياه عذبة وفيرة، وكذلك هي من المناطق القليلة في العالم التي تشتمل على تعدد الاقاليم وتنوع المناخ، ففي الجزء الشمالي تقع الجبال المرتفعة القريبة من المناطق الباردة[4]، وتجاورها السهول الواقعة في حوض نهر العاصي[5]، ونهر قُويق[1]

(1) **الحروب الصليبية**: عُرفت عند المصادر الإسلامية بحروب الفرنج أو الفرنجة، والمصادر اللاتينية أطلقت عليها الحروب المقدسة، أو الرحلات المقدسة، وحجاج بيت المقدس، واطلق عليها المؤرخون المتأخرون الحروب الصليبية The Crusades ؛ لأنَّ الغزاة رفعوا شعار الصليب وحاربوا المسلمين باسمه، ومن خلال خطبة البابا أوربان الثاني الذي أخرج الصليب وقال لهم: ((**احملوه على عواتقكم، أو على صدوركم وليشرف فوق أسلحتكم، وفوق أعلامكم**))؛ باركر، ارنست، الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية (بيروت، 1967م) ص65؛ عاجل، عباس، سمير صالح، الحروب الصليبية تطور المصطلح والمفهوم، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، المجلد 19، العدد4 (بابل، 2011م) ص 685- 694.

(2)بوس، أدريان، مدينة بيت المقدس زمن الحروب الصليبية، ترجمة: عليّ السيد عليّ، المركز القومي للترجمة (القاهرة، 2010م) ص32.

(3) الرحلة، ص100.

(4) كرد علي، محمد، خطط الشام، المطبعة الحديثة (دمشق، 1925م) ج4، ص105.

(5) **نهر العاصي**: يمر في حلب ثمّ حول سور مدينة انطاكية ثمَّ يتَّجه جنوبًا حتى يصب في بحر الروم عند منطقة السويدية؛ خسرو، ابو معين الدين الحكيم ناصر المروزي (ت 481هـ/1088م) سفر نامه، تحقيق: يحيى الخشاب، ط3، دار الكتاب الجديد (بيروت، 1983م) ص46؛ القلقشندي، تقي

ونهر بَردى[2]، حتى جنوب شرق الشام جعلها منطقة جذب سكاني، أدى إلى توجّه هجرات لقبائل نحوها قادمة من الجزيرة العربية ومناطق أخرى[3] فكانت من بينها هذه الأقوام:

1- العرب:

شهدت بلاد الشام هجرات عدّة من العرب قصدتها[4] واستقرت فيها كانت أولى الهجرات الكبرى للقبائل العربية في الألف الثالث قبل الميلاد، فكانت هجرة العموريين

الدين أحمد بن علي (ت 821ه/ 1418م) صبح الاعشى في صناعة الانشا، المؤسسة المصرية العامة (القاهرة، 1987م) ج4، ص80.

(1) **نهر قُويق**: بضم أوله، وفتح ثانيه، ينبع من جنوب بلاد الروم ويدخل مدينة حلب؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص417؛ ابن عبد الحق، صفيّ الدين عبد المؤمن البغدادي (ت 739هـ/ 1338م) مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة (بيروت، 1954م) ج3، ص1135.

(2) **نهر بَرَدى**: بفتح حروفها كلها، نهر في دمشق، ينبع من شمال غرب دمشق عند كورة الزبداني، ويصب في بحيرة بردى شمال شرق دمشق؛ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت 487هـ/ 1094م) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، عالم الكتب (بيروت، 1983م) ج1، ص240؛ شيخ الربوة، شمس الدين ابو عبد الله محمد الانصاري الدمشقي (ت 727هـ/ 1370م) نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار احياء تراث العربي(بيروت، 1998م) ص194.

(3) البكري، معجم ما أستعجم، ج1، ص240؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ج4، ص79.

(4) ذكرت بعض المصادر التاريخية أنّ العرب الذين هاجروا إلى بلاد الشام انقسموا إلى بدو وحضر، فالبدو هم سكان الصحراء الذين عاشوا فيها، وأخذوا يتنقلون مع أسرهم من مكانٍ إلى آخر عرفوا هؤلاء بعرب الشمال (العدنانيين) وقد عملوا بالزراعة والصناعة والتجارة وكانوا يعيشون على ما تنتج مواشيهم، أما الحضر فعرفوا بعرب الجنوب (القحطانيين) وأخذوا يستقرون في حواضر بلاد الشام وقراها واشتغلوا بالتجارة والصناعة والزراعة؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك،ج2، ص269؛ ابن حزم، أبي محمد على بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت456هـ/1063م) جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، ط3، دار المعارف (د.ت، القاهرة) ص14.

إلى شمال بلاد الشام ثـم هجـرة الكنعـانيين الـذين اسـتقروا في طـرابلس[1] وفلسـطين، وفي أواسط الألف الثاني قبل الميلاد هجرة الآراميين الذين قطنـوا جنـوب بـلاد الشـام وباديتهـا امتدادًا حتى خليج العقبة[2].

وشاركت أعدادٌ كبيرةٌ من العرب في الفتح الإسـلامي لـبلاد الشـام، فشـملت الأردن ولبنان وفلسطين، واستقرت أعدادٌ كبيرةٌ منها فيها، ففي القدس وما يجاورها انتشرت قبائل من لخم، وجذام، وعاملة، وكندة، وقيس، وكنانة[3].

---

(1) **طـرابلس**: يرجـع اسـمها إلى اليونـان (طرابلطيـة) وتعنـي المـدن الـثلاث؛ لأنَّ (طـرا) تعنـي ثلاثـة، و(بلطية) تعني مدينة، وتقع على ساحل بحر الروم، عامرة كثيرة الخيرات، لها سـورٌ منحـوتٌ مـن الصخر، رابع إمـارةٍ يؤسسـها الصـليبيون، بقيـادة ريمونـد أوف سـنجيل أو صـنجيل سـنة (503هـ/ 1109م)؛ الصوري، وليم (ت 580هـ/ 1184م) تـاريخ الحـروب الصـليبية المسـمى (تـاريخ الأعـمال المنجزة فيما وراء البحار) ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر(بيروت، 2003م) ج1، ص217؛ ابن الاثـير، الكامل في التاريخ، ج8، ص478.

(2) الأحمد، سامي سعيد وجمال رشيد، تاريخ الشرق القديم (بغداد، 1988م) ص 203.

(3) البلاذري، أحمد بن يحيـى بـن جـابر (ت 279 ه/ 892 م) أنسـاب الأشراف، تحقيـق: عليـه الشـيخ، منشورات مؤسسة الاعلمي (بيروت، 1974 م) ج2، ص23.

أما في شرق فلسطين ولبنان فحلّت بطون من غسان، وهمدان، وكلب، ومـذحج[1]، ونزلت في دمشق وحلب[2] والرها[3]، والأردن قبائل هوازن وبنو سـليم القيسـية، وسـكنت حمص[4]

وطرابلس قبائل يمانيـة قضـاعية[5] مـن طـيء وكنـدة وحمـير وهمـدان، وانـتشرت جماعة من طيء وتنوخ وقيس في قنسرين وأنطاكيا[6]، واستقرت بطون مـن بنـي كنانـة في

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك ج 4، ص 342 ؛ المسعودي، مروج، ج 3، ص 259.

(2) **حلب**: مدينةٌ عظيمةٌ وحصـينةٌ في بـلاد الشـام، واسـعةٌ، كثـيرة الخـيرات؛ يـاقوت الحمـوي، معجـم البلدان، ج2، ص282.

(3) **الرُها**: مدينة بالجزيرة تقع بين الموصل والشام، أكثر أهلها نصارى، حصين من حجر، يحـيط بأشـجار وبساتين وأراضٍ واسعة، وأولى الإمارات التي غزاها الصليبيون وأسرعها سقوطًا، توّج بلدوين عليهـا أميرًا سنة (491ه/ 1098م) وعلى الرغم من أنَّها تقع في الجزيرة الفراتية إلا أنَّ الباحث يتفـق مـع من يعدّها مدن بلاد الشام؛ لأنَّ أكثر مناطقها تقع في الشـام بـالقرب مـن حلـب وكـذلك عاداتهـا وتقاليدها شامية وجزءً لا يتجزأ من الصراع الصليبي العربي الإسلامي في بلاد الشام، وهذا ما يميـل إليه بعض المؤرخين؛ ابن القلانسي، حمزة بن أسد بن علي بن محمد، ابو يعـلى التميمـي (ت 555 ه/ 1160 م) ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: سهيل زكار، دار حسان (دمشق، 1983م) ص106.

(4) **حمص**: مدينةٌ في الشام كبيرةٌ ومسورةٌ، وتقع بين دمشق وحلب؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 112.

(5) **قضاعة:** يرجع نسبهم إلى قضاعة بن مالك بن سبأ بن يعرب بن قحطان؛ ابن حـزم، جمهـرة انسـاب العرب، ص178.

(6) **أنطاكيا**: أو أنطاكية، جاء اسمها من الملك السلوقي أنطوخيوس (ت 165ق.م) تُعدّ من أفضـل مـدن بلاد الشام من بعد دمشق، وتقع شمالها على ساحل بحر الروم، عليها سورٌ من صخرٍ يحـيط بهـا، وهناك جبلٌ مشرفٌ عليها فيه مزارع وأشجار، ومياه، وبها ضياعٌ وقرى ونـواحٍ خصـبةٌ، وهـي ثـاني إمارة يؤسسها الصـليبيون بقيـادة بوهيمونـد الأول سـنة (492ه/ 1098م)؛ الاصـطخري، المسـالك والممالـك، ص46؛ يـاقوت الحمـوي، معجـم البلـدان، ج1، ص266؛ التطـيلي، الرحلـة، ص46؛ المـلا جاسم، ناصر عبد الرزاق، وحسين حديس، حصار أنطاكية (491ه / 1097م) بـين المصـادر العربيـة والصليبية من خلال كتابي زبدة الحلب لابـن العـديم وأعـمال الفرنجـة للمـؤرخ المجهـول، مجلـة الدراسات التاريخية والحضارية، مج4، العدد 13 (تكريت، 2012م) ص11.

فلسطين[1] وهم: بنو عمرو بن كنانة وبنو صليع فكان استقرارهم في فلسطين منذ الفتح الإسلامي (19ه/ 639م) وكانت منازلهم تمتد من الرملة[2]وحتى طرابلس[3].

ومع حركة استقرار أعداد كبيرة من العرب بعد فتح بلاد الشام تواجدت هذه القبائل العربية الجديدة بجانب القبائل العربية السابقة، فقد كان من المفترض أنْ تتصارع المصالح فيما يخصّ الأرض والمياه بين عرب الشام القدماء والقادمين الجدد، إلا أنّ هذا لم يحدث[4]؛ لأنّ السياسة المتوازنة التي كانت تعتمد عليها الدولة الإسلامية في العصر الراشدي والأموي، استطاعت أنْ تتحكم في دفع هذا التحول السكاني بطريقة تؤمّن مصالحها وتبعد عنها المشاكل مما جعلها تحافظ على حقوق العرب القدماء، وتوفر ظروفًا ملائمة للعرب الجدد الذين قدموا مع الفتح العربي الإسلامي، فاستطاع هؤلاء العرب أنْ يتحولوا من حياتهم السابقة التي تعتمد على التنقل والارتحال إلى حياة الاستقرار[5]؛ نظرًا لما وفرته لهم الدولة الإسلامية، والتي جعلتهم

---

(1) الدوري، عبد العزيز، العرب والارض في بلاد الشام في صدر الاسلام، مؤتمر بلاد الشام (تاريخ بلاد الشام من ق 6-ق 7ه) المتحدة للنشر(د م، 1974م) ص23-24.

(2) **الرملة:** مدينة سميت بالرملة؛ لكثرة الرمال فيها، تبعد فرسخين عن فلسطين، بناها الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك عام (96ه/ 715م) وبها سور عظيم من الحجر والجص: ينظر: خسرو، سفر نامة، ص 65 ؛ التطيلي، الرحلة، ص259.

(3) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 5، ص 328-330 ؛ ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت660هـ/ 1261م) بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر (بيروت، د. ت) ج1، ص293.

(4) البلاذري، انساب الاشراف، ج1، ص169.

(5) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد الحضرمي الإشبيلي (ت 808هـ/ 1405م) العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، وسهيل زكار، ط2، دار الفكر (بيروت، 1988م)ج1، ص304.

يرتبطون بالأرض إذ استقروا في حواضر بلاد الشام وقراها ومارسوا نشاطاتهم فيها الصناعية والتجارية والزراعية فيها [1].

وبعد انهيار الدولة الأموية سنة (132ه/ 750ه) وانتقال مركز الخلافة إلى بغداد انقسمت القبائل العربية في بلاد الشام بين مؤيد ومعارض، وأدى ذلك إلى حدوث فوضى وظهور قطاع طرقٍ بين هذه القبائل، مما دفع البعض منها إلى القيام بثوراتٍ ضد الخلافة العباسية وحدوث صراع دموي بين القبائل القيسية واليمانية[2]، حتى استطاعت الدولة العباسية فرض سيطرتها على هذه القبائل وحلّت المشاكل بين الطرفين وكسب ولائها عام (186 ه/802م)[3].

وفي سنة (326ه/937م) تعرضت الخلافة العباسية لهجمات البويهيين (334ه-945/447م-1055) [4] فعدّت القبائل العربية ذلك تهديدًا لها ولأمنها في بلاد الشام مما دفع الحمدانيين[5] بالانتشار في شمال بلاد الشام والجزيرة الفراتية والرها وحماة

---

(1) كرد علي، خطط الشام، ج1، ص60؛ خماش، نجدت، الشام في صدر الإسلام من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية (دراسة الأوضاع الاجتماعية والإدارية) دار طلاس للدراسات والترجمة(دمشق، 1987م) ص81.

(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص367-371؛ فوزي، فاروق، الخلافة العباسية (عصر القوة والازدهار) دار الشروق (عمان، 1998م) ج 1، ص 46-48.

(3) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت 774هـ/ 1343) البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي (بيروت، 1988م) ج9، ص174.

(4) **البويهيون**: هم بدو العجم من الديلم ينتسبون الى جدهم بويه بن شجاع من أصل ساساني، غير متحضرين ثم تمكنهم سنة (334ه/945م) من الهيمنة على مقاليد السلطة السياسية في العراق؛ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت 697هـ/ 1298م) التاريخ الصالحي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية (بيروت، دت) ج2، ص50.

(5) **الحمدانيون:** أسرة من قبيلة تغلب مؤسسها حمدان بن حمدون، والذي أصبح سنة (276ه/ 890 م) واليًا على منطقة ماردين من قبل العباسيين، ثم من بعده اولاده الذين امتد حكمهم الى الموصل والجزيرة الفراتية وحلب؛ الأزدي، علي بن ظافر (ت 623ه / 1226م) أخبار الدولة الحمدانية، تحقيق: تميمة الرواف، دار حسان (دمشق، 1985م) ص32.

وحمص وانطاكيا عام (333ه/ 944م) وسيطرتهم على بغداد (334ه/ 945م) إلا أنها لم تدم طويلًا في بلاد الشام فكان دخول الفاطميين إلى دمشق سنة (360 هـ/971) هو نهاية الإمارة الحمدانية[1].

وفي نهاية القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد بدأت قبيلة آل جراح[2] بالانتشار في شمال بلاد الشام والجزيرة الفراتية[3] إلى جنوب الاردن، وكذلك القدس والرملة، محاولين تكوين دولة مستقلة عن الفاطميين لهم في فلسطين وما حولها، حتى سادوا على جنوب بلاد الشام[4].

وقد أدى هذا إلى تهديد مواقع النفوذ الفاطمي في بلاد الشام حتى ثار الأمير حسان بن المفرج الطائي سنة(412ه/ 1021م)، فقام بنهب طبرية[5] والرملة، وتحالف

---

(1) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج2، ص198-202.

(2) **آل جراح:** من القبائل العربية التي حكمت فلسطين وسيطرت على شرق الأردن وشمال شبه الجزيرة العربية، بقيادة زعيمهم المفرج بن دغفل بن الجراح؛ العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت 749ه/1348م) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي (أبو ظبي، 2002م) ج4، ص139.

(3) **الجزيرة الفراتية:** تعرف ببلاد الجزيرة، وهي إقليم كبير يمتد عبر شمال شرق الشام وشمال غرب العراق وجنوب شرق بلادالروم، ويحدها من الشرق جبال زاكروس ومن الشمال جبال طوروس وإلى الجنوب بادية الشام ومنخفضات الثرثار، ومن أهم مدنها (الموصل وتكريت وأجزاء كبيرة من إربل، وبسوريا: حلب والحسكة ودير الزور والرقة، وبتركيا: أورفا وماردين ونصيبين)؛ المقدسي(ت 380هـ/ 911م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، دار صادر (بيروت، 1991م) ص63؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص288.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى، ج4، ص200-204؛ ابن خلدون، العبر، ج1، ص307.

(5) **طبرية:** أو طبريا مدينة في الغور على الشاطئ الغربي للبحيرة المعروفة باسمها، وهى مدينةٌ عربيةٌ كنعانيةٌ، شمال شرق القدس، فتحها المسلمون عام (13ه/ 634م)؛ الهروي، أبو الحسن على بن أبي بكر(ت611هـ/1215م) الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 2002م) ص26.

مع بني كلاب لمواجهة التغلغل الفاطمي في بلاد الشام[1]، وفي هذه الاثناء تمكن بنو مرداس[2] الكلابيون عام (414ه/ 1032م) من السيطرة واعلان إمارة لهم في حلب فضلًا عن حمص وصيدا[3] وبعلبك[4] وانتشروا فيها، حتى انتهاء حكمهم بمجيء السلاجقة لبلاد الشام سنة (472هـ/1079م)[5].

(1) استطاع حكام الدولة الفاطمية أن يستميلوا بني طيء ومنحهم بعض الاقطاعات والعطاءات المجزية حتى يخضعوا لهم؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص44.

(2) **بنو مرداس:** نسبةً الى أول الأمراء المرداسيين بحلب، أبو علي صالح بن مرداس بن إدريس بن نصر من بني كلاب، أمير بادية الشام، انتزع مدينة حلب من أيدي الفاطميين في سنة (417 ه/ 127 م)؛ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر(ت 681ه/ 1282م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس، دار صادر (بيروت،1994م) ج 2، ص 317 ؛ الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي، الأعلام، ط6، دار العلم للملايين (بيروت، 2002م) ج1، ص316.

(3) **صيدا:** مدينة كبيرة عامرة الأسواق رخيصة الأثمان محدقة البساتين والأشجار، وهى متصلة بجبل لبنان خضعت للسيطرة الصليبية (504 ه / 1110 م) وأصبحت إقطاعية صليبية؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 171؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص474.

(4) **بعلبك:** مدينة قديمة تقع تحت جبل لبنان الشرقي، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام؛ ياقوت الحموي، معجم البلدن، ج1، ص453.

(5) ابن الاثير الكامل، ج 8، ص 72 – 80.

2- الأكراد:

الأكراد من الأقوام البدوية التي تسكن جبال شمال بلاد الشام ومرتفعاتها والجزيرة الفراتية وديار بكر[1] وإرمينية[2]، وقد نسبوا أنفسهم إلي ربيعة بن نزار بن معد، ومنهم الاكراد المروانية، وقيل: إنهم من بني مروان بن الحكم بن أبي العاص، ومنهم من زعم أنهم يُنسبون إلى عتبة بن أبي سفيان بن صخر بن حرب، استطاعوا أن يجاوروا الأعاجم والفرس حتى أصبحت لغتهم أعجمية[3]، ويغلب عليهم البداوة والخشونة، يقيمون في الخيام متخذين الرعي حرفة لهم[4] نزحوا من إرمينية وديار بكر إلى بلاد الشام في القرن (الخامس للهجرة/ الحادي عشر للميلاد) بسبب اجتياح بلادهم من قبل التركمان، وسكنوا القدس وحلب وحماة وعكا، وأقاموا حصنًا على انقاض قلعة رومانية عُرف فيما بعد حصن[5] الأكراد[6].

---

(1) **ديار بكر**: بلاد عربية الأصل، تُنسب الى بكر بن وائل، كبيرة وواسعة غرب دلة على جبل نُصيّبين؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص247.

(2) **إرمينية:** بكسر أوله اسم لصقع عظيم واسع في جهة الشمال والنسبة إليها أرمني، تحدها تركيا من الغرب وجورجيا من الشمال؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص160؛ كرد علي، خطط الشام، ج2، ص215.

(3) المسعودي، التنبيه والإشراف، مكتبة المثنى (بغداد، 1967م) ص82؛ الشاعر، محمد فتحي، الأكراد في عهد عماد الدين زنكي (521ه- 541هـ/ 1127م- 1146م) دار المعارف (د م، 1991م) ص9-11.

(4) ماركوبولو (ت 725ه/ 1324م) الرحلات، ترجمة: عبد العزيز جاويد، الهيئة المصرية العامة للبلاد، (القاهرة، 1977م) ص56-57.

(5) **حصن الاكراد**: حصنٌ منيعٌ على جبل لبنان، وحّد بين الإسلام والفرنج وهو لهم، يغيرون منه على بلاد المسلمين؛ الحميَري، أبو عبد اللـه محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ/ 1494م) الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة (بيروت، 1980م) ص 502؛ الزيدي، مصعب حمادي نجم، حصن الأكراد ودوره في الصراع الاسلامي الصليبي، مجلة ابحاث كلية التربية، المجلد 7، العدد 4 (جامعة الموصل، 2008م) ص 243.

(6) ابن الشحنة، القاضي ابو الفضل محمد بن محمد الحنفي (ت 890ه / 1485م) الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم: عبد اللـه محمد الدرويش، دار الكتاب العربي (دمشق، 1984م) ص 241-243، ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، تعليق، خليل منصور، دار الكتب العلمية (بيروت، 1996م) ج1، ص10.

3- الاتراك:

الترك أمة عظيمة وأجناسها كثيرة، ومنهم التركمان[1] موطنهم الأصلي آسيا الوسطى (تركستان وبلاد الترك) وما وراء النهر[2]، والتركمان بدو رحّل، عاشوا حياةً بدويةً ولم يركنوا إلى الاستقرار، ولفظة تركمان تخص القبائل التركية التي انشغلت بالرعي والترحال، وقد قامت صلات بينهم وبين العرب قبل الإسلام[3]، وخلال العصر الراشدي كان من الترك والتركمان جنودًا في الجيوش الفارسية والبيزنطية وفي العصر الاموي كان الأمويون يستخدمون التركمان مع الاتراك في قصور الخلافة والدوائر الحكومية[4]، أما في العصر العباسي والفاطمي أي: (في القرن الرابع والخامس للهجرة/ العاشر والحادي عشر للميلاد) فقد أدّت هجرات التركمان والاتراك السلاجقة إلى بلاد الشام دورًا مهمًا في تاريخها[5]، ولاسيما بعد اعتراف الدولة العباسية بقيام حكمٍ لهم

---

(1) ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (ت 874هـ/ 1469م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية (بيروت، 1992م) ج3، ص36.

(2) **ما وراء النهر**: بلاد واسعة تقع وراء نهري سيحون وجيحون (آمودريا، وسرداريا) وتشمل هذه البلاد حالياً عدة دول هي: اوزبكستان، وكازخستان، وقيرغيزستان؛ شامي، يحيى، موسوعة المدن العربية والإسلامية دار الفكر العربي (بيروت، 1993م) ص408-426.

(3) براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين، ص71.

(4) طقوش، محمد سهيل، تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس، ط3 (بيروت، 2009م) ص5-11.

(5) ويرجع السبب إلى هجرتهم من أماكنهم إلى بلاد الشام هو الصراعات بين القبائل المستمرة في بلادهم وبعضها سيطرت على أراضيها، مما أدى إلى سوء الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، نتج عنها الجوع والقحط وقطع في أرزاقها فغادروا أماكنهم الى بلاد مختلفة ومنها بلاد الشام؛ حسنين، عبد المنعم محمد، سلاجقة إيران والعراق، ط2مكتبة النهضة المصرية، (القاهرة، 1970م) ص15.

في نيسابور[1] (429ه/ 1307م) فـزادت شـوكتهم ودخلـوا بـلاد الشـام حتـى وصـلوا حلـب واستقروا فيها [2].

ثالثًا: الطوائف الدينية:

مثلت بلاد الشام قبيل الحـروب الصـليبية أنموذجًـا للعـالم الإسـلامي مـن حيـث التشرذم والضعف؛ وكأنها لوحة فسيفساء تـتجلى فيهـا كـل صـور الخـلاف والنـزاع، وأنّ الخلاف لم يكن على المستوى السياسي والديني فحسب، بل على شتى المستويات، وكـان أبرز مظاهر الضـعف في بـلاد الشـام هـو الخـلاف السـياسي الـذي قسـمها إلى دويـلات وإمارات، فضـلًا عـن الصراع الـديني[3]، وعـلى المسـتوى الثقـافي كانـت الشـام متعـددة المضارب، إذ كان سكانها يتحدثون ثلاث لغات؛ اللغة العربية وهي السائدة بين القبائـل العربية الأصل في أنطاكيا واللاذقيـة، في حـين احـتفظ الأرمـن بلغـتهم الأرمنيـة، وظلّـت القبائـل التركمانيـة التـي اسـتقرت في الجزيـرة وشـمال الشـام تسـتعمل اللغـة التركيـة،

---

(1) نَيْسَابُور: مدينة إسلامية في أقصى الشمال الشرقي بلاد فارس، كانت عاصـمة خراسـان وفيهـا المدرسـة النظامية، اختطها سابور ملك الفرس، وفتحها عبد اللـه بـن عـامر بـن كريـز عنـوة سـنة (31ه/ 652م)؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص331.

(2) كاهن، كلود، الشرق والغـرب زمـن الحـروب الصـليبية، ترجمـة: احمـد الشـيخ، دار سـينا (القـاهرة، 1995م) ص 154-157؛ كرد علي، خطط الشام، ج1؛ ص 95.

(3) بدأ الخلاف بين بعض أهل السنة وبعض الشيعة الإماميـة خلافًـا سياسـيًا ثـم تطـور ليكـون عقائـديًا أيضًا، وقد تبلور هذا الخلاف في مدرستين متميزتين في العصر العباسي الأول إذ تحـول التشـيع مـن رؤية سياسية إلى بنية اعتقادية، ومعه تحول أهل السنة والجماعة من فضـاء مفتـوح مـن الأفكـار والقيم إلى نظام اعتقادي مغلق ومحدد؛ الشنقيطي، محمد بن المختار، أثر الحروب الصليبية عـلى العلاقات السنية والشيعية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر (بيروت، 2016م) ص85؛ صـاولي، عبـد المالك، الجذور التاريخية للصراع الشيعي السـني مـن المنـازلات السياسـية إلى الاخـتراق الإعلامـي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المجلد7، العـدد14(الجزائـر، 2018م) ص 282-283.

فضلًا عن اللغة اليونانية التي حافظ عليها النصارى في كنيستهم بوصفها لغة قومية[1]، وهذا ما أكده ابن الاثير فقال: ((**واتفق لهم اشتغال عساكر الإسلام وملوكه بقتال بعضهم بعضًا، فتفرقت حينئذٍ بالمسلمين الآراء، واختلفت الأهواء، وتمزقت الأموال**)) [2].

أ- المسلمون:

لم يمر قرن واحد على ظهور الإسلام حتى تشعّب المسلمون فرقًا ومذاهب، وهذه الفرق والمذاهب دخلت في صراع بينها؛ لفرض سيطرتها الدينية والسياسية، وكانت بلاد الشام أحد أهم المناطق التي شهدت هذا الصراع فمثَّل تواجد المسلمين في بلاد الشام بمذاهبهم المتعددة السمة الغالبة في الطبقات الاجتماعية السكانية قبل مجيء الصليبيين، إذ كان الإسلام يمثل عقيدة الحكام وأغلبية سكان بلاد الشام[3]، وقد انقسم المسلمون إلى عدة مذاهب:

1- أهل السنة والجماعة:

مثل أهل السنة والجماعة السواد الأعظم في بلاد الشام، على الرغم من كل المحاولات للسيطرة عليه من بعض الطوائف الدينية، ولعل ذلك يعود إلى السيطرة السياسية للدولة الأموية على الشام في بادئ الأمر، مما جعل بلاد الشام أموية الهوى والمذهب[4]، أما عن المذاهب الإسلامية إذ اجتمعت في بلاد الشام المذاهب الفقهية

---

(1) الغامدي، علي محمد، بلاد الشام قبل الغزو الصليبي، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة أم القرى، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (مكة، 1982م) ص 298.

(2) الكامل في التاريخ، ج8، ص496.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص132- 135.

(4) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج4، ص64-67.

الأربعة الكبرى (الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية) إذ كانت بلاد الشام والعراق قاعدة لهم، وتواجد على أرض الشام الكثير من العلماء لهذه المذاهب، فالمذهب الحنفي ساد في الشام بشكل كبير إبان الحقبة الفاطمية[1]، إذ إنّ أكثر القضاة كانوا منه، وتميز هذا المذهب بالمرونة الفقهية في ميادين الإدارة والسياسية، وفي معاملة الأجناس العرقية من الطبقات السكانية الأخرى المجاورة لهم[2].

وكانت بلاد الشام القاعدة الثانية للمذهب الحنبلي، إذ كان له وجود ملحوظ في بيت المقدس، وفلسطين، وطرابلس، ودمشق، وحلب، وحمص، وحماة، وبعلبك، وحران وغيرها[3]، أمّا المذهبي الشافعي والمالكي، فكانا الأقل انتشارًا بين مدن بلاد الشام، فكانوا يُعرفون بأهل الحديث[4].

وعلى الرغم من أن أهل السنة هم أكثر الطوائف الدينية عددًا في الشام، إلا أن الصراعات فيما بينهم لم تكن كثيرة [5] ومعظمها كانت بدوافع سياسية محضة مثل: الصراع الذي كان بين ابناء تتش (458- 488هـ /1065- 1095م) الحاكم

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص341.

(2) الطرسوسي، نجم الدين إبراهيم بن على بن أحمد ابن عبد المنعم (ت 758هـ/ 1356م) تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، تحقيق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ط2، دار الكتب العلمية (بيروت، د ت)ج1، ص19-22.

(3) القواسمي، يوسف عمر، المدخل إلى مذهب الامام الشافعي، تقديم: مصطفى سعيد الخن، دار النفائس (الأردن،2003 م) ص98-99.

(4) القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي الاندلسي(ت 544 ه / 1149م) ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية (بيروت، 1998 م) ج 1، ص 31.

(5) الشنقيطي، أثر الحروب الصليبية، ص112.

السلجوقي في دمشق، والـذي بمقتلـه تنـافس ابنـاه رضـوان حـاكم حلـب (488-497هــ / 1095-1104م) ودقاق حاكم دمشق (488-497هـ / 1095-1104م) [1].

ولأجله يمكـن القـول: أنّ هـذه المـذاهب الاسـلامية الأربعـة توطـدت أركانهـا بـين الطبقة الاجتماعية والسكانية بين مسلمي بلاد الشام، والتي تميز معتنقوه بالمساواة وعـدم التفرقة العنصرية بين العناصر السكانية الأخرى التي كانت تسكن معهم في بلاد الشام.

2- الإمامية:

وتعني الإمامة في علي وأولاده من فاطمـة (الحسـن والحسـين)(رضي اللـه عنهم)، وكانت موجـات مـن الهجـرات الإماميـة إلى بـلاد الشـام منـذ نهايات القرن (الأول للهجرة / أوائل القـرن الثـامن للمـيلاد) تلـك الهجـرات أسست لمدن ذات أغلبية إمامية، وبدأ التوافد الشيعي إلى بلاد الشام عقـب الهزيمة السياسية لهم في معركة دير الجماجم سنة (83 ه/ 702 م)[2] وفيهـا استطاع الحجاج بـن يوسـف الثقفـي أن يـقضي عـلى أخطـر الثـورات التـي هددت الدولة الأموية حينـذاك، وبـث الرعـب في نفـوس معارضـيها، وعـلى

---

(1) ابن الأثير، الكامـل في التـاريخ، ج8، ص391-393؛ ابـن العـديم، بغيـة الطلـب في تـاريخ حلـب، ج1، ص231-235.

(2) **دير الجماجم**: هي معركة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث، إذ تجمع النـاس في العـراق حـول ابن الأشعث متمردين على الحجاج والخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وفيها قضى الحجاج على حركة ابن الأشعث ومن شايعه؛ الطبري، تـاريخ الرسـل والملـوك، ج6، ص 346-366؛ ابـن الجـوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عـلي بـن محمـد (ت 597هــ/ 1200م) المنـتظم في تـاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ومصـطفى عبـد القـادر عطـا، دار الكتـب العلميـة (بيروت، 1992م) ج6، ص231-239.

إثر ذلك كانت بلاد الشام والجزيرة الفراتية هي الموقع الآمن لهم من بطش الحجاج، فضلًا عن بدء هجرات جديدة لاسيما بعد انهيار الدولة الأموية[1]، فكانت من بينها:

- الهمْدانيّون:

تُعد طائفة الهمْدانيّين[2] من أوائل الذين هاجروا إلى الشام، إذ تركوا الكوفة وذهب فصيل منهم إلى جنوب الشام، ليستقرّوا في مدينة طبريّة، التي ما لبثت أن غدت بفضلهم عاصمة التّشيُّع في الشام كلّه، ثم جاءت بعدها طرابلس التي حملت من بعدها لواء التشيع في الشام[3]، ثم بعلبك ولبنان وهذا ما أكده ابن فضل الله العمري: ((**وبالجبل المعروف بالظّنيين من الشام فرقةٌ من همْدان**))[4] وهكذا حتى وجد التشيع موطنًا له في الشام.

- العبيديون (الفاطميّون):

اختلف المؤرخون في نسبهم فمنهم من يقول: إن أصولهم ترجع إلى بلاد اليمن والمغرب فهم من اتباع عبد الله بن ميمون القداح صاحب الدعوة الشيعية في المغرب[5]، ومنهم من يقول: إنهم من أهل صنعاء أتباع رجل يسمى بأبي عبد الله الحسين بن زكريا الشيعي[6]، وقد استطاع أصحاب هذه الدعوة من نقل دعوتهم من

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج5، ص219.

(2) ناصر الهمْدانيّون الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في معركة صفين (37ه/657م) واشتركت هذه القبيلة في حركات المعارضة ضد الدولة الأموية؛ الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت282هـ/ 648م) الأخبار الطوال، تحقيق: عبد المنعم عامر، مراجعة: جمال الدين الشيال، دار إحياء الكتب العربي (القاهرة، 1960) ص288.

(3) خسرو، سفر نامه، ص60؛ كرد علي، خطط الشام، ج6، ص247.

(4) مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج4، ص459.

(5) ابن خلدون، العبر، ج1، ص448.

(6) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج6، ص310.

بلادهم إلى بلاد الشام، واستطاع العبيديون أن يحوّلوا دعـوتهم السريـة إلى دولـة قويـة في بلاد الشام[1]، بفضل ادعائهم بالانتساب إلى النبي (صلى اللـه عليه وسلم) فبـدأ توسـعهم من عام (360هـ/ 970 م) في صور[2] وطرابلس وفلسـطين حتـى قـدوم الصـليبيين إلى بـلاد الشام[3].

- **النُصيريون:**

نشأت هذه الفرقة في (النصف الثاني من القرن الثالث للهجرة/ منتصف القرن السابع للميلاد) وكان مركز دعوتها مدينةَ جنبُلاء[4] في العراق، وكان من كبار مُنظّريها والعاملين على نشرِها، الحسين بـن حمـدان الخصـيبي المتـوفى سـنة (346 ه / 968م) والذي استقر في حلب في عهد أميرها سيف الدولة الحمداني[5]، وانتشرت هذه الفرقة بين القبائل اليمنية الاثني عشرية الساكنة في جنوب أنطاكيا، وشمال طرابلس[6]، وقـد جمعت في عقيدتها بين الإسـلام والمسـيحية والوثنيـة، وكانـت تضـفي هـذه الطائفـة الألوهية على الإمام علي بن أبي طالـب (عليـه السـلام) بعـدّه آخـر مراحـل التجسـد الإلهي، وله الكثير من الصفات الإلهية، أما قاتله عبد الرحمن بن ملجـم، فهـو أفضـل

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج11، ص266-267.

(2) **صور:** مدينة مشهورة، من ثغور المسلمين، يسكنها خلق من الزهاد والعلماء، وهي تشرف على بحـر الشام، ويحيط بها من ثلاثة جوانب؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص431-432.

(3) المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج1، ص249.

(4) **جنبُلاء:** بضمتين، وثانيه ساكن، كورة وبليدة، بين واسط والكوفـة اقـرب منهـا إلى قنـاطر إلى واسـط؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص168.

(5) **سيف الدولة:** هو أبو الحسـن عـلي بـن عبـد اللـــه بـن حمـدان (303 - 356 هــ / 915 - 967 م) صاحب حلب كان أديبًا مليح النظم فيه تشيع أخذ حلب من الكلابي نائب الإخشيد، له من الـروم أربعون وقعة؛ ابن الجـوزي، المنـتظم في تـاريخ الملـوك و الأمـم، ج، ص41؛ ابـن الاثـير، الكامـل في التاريخ، ج8، ص297-299.

(6) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج1، 462؛الغامدي، بلاد الشام، ص299-300.

الخلق؛ لأنه حرر اللاهوت من ظلم الجسد، فهم يجمعون في عقائدهم بين المقدسات المسيحية، ومن الوثنية تأليه البشر[1].

ب- الإسماعيليون النزاريون - الباطنيون الحشاشون:

مؤسسها حسن بن علي الحميّري[2]، تشهد هذه الفرقة لإسماعيل بن جعفر الصادق (رضي اللـه عنه) بالإمامة، ولقبوا بالباطنية لقولهم: ((**إن لكل ظاهرٍ باطنًا، ولكل تنزيل تأويلًا**))[3] وسميت كذلك بالحشاشين؛ لأنهم يأكلون الحشيش أثناء تنفيذ عمليات الاغتيال كوسيلة للتخلص من الخصوم انتشروا في جبال بلاد الشام بزي الصوفية، والحشيشية هم من كانوا في الشام، وتعرف ايضًا بالباطنية أو الملاحدة، وهم طائفة تستمد أفكارها من الإسماعيلية[4].

أمّا النزاريين فكان ظهورهم إثر الخلاف في الحركة الإسماعلية عقب وفاة الخليفة الفاطمي المستنصر (467هـ/1094م) إذ تمرد ولي العهد أبو منصور نزار (437-

(1) داوود، مها، مدن الساحل الشامي ما بين أنطاكية وطرابلس خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد (488-591ه، / 1095-1195م) رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ (سوريا، 2004م) ص105.

(2) **حسن بن علي:** او حسن الصباح (430ه/1037م - 518ه/1124) المؤسس الأول للطائفة الإسماعيلية النزارية وُلد في الرّي من بلاد فارس، واتخذ من قلعة الجبل قاعده له؛ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ/ 1347م) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي (دار المعرفة، بيروت، 1963م)ج1، ص232.

(3) الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر (ت 548هـ / 1153م) الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة (بيروت، 1984م) ج1، ص 86-87؛ ابن خلدون، العبر، ج1، ص202.

(4)ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص39؛ عشري، عثمان عبد الحميد، الإسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية (491-691هـ/1097-1290م) المكتبة التاريخية (القاهرة، 1983م) ص21.

488هـ/1045-1095م) على أخيه القاسم أحمد (468-495هـ/1074-1101م) الـذي لقـب بالمستعلي[1]، وأدعى أنه الخليفـة الشرعـي وهـرب إلى الإسـكندرية فقـبض عليـه وقتـل في القاهرة، وهرب مناصروه الذين لقبوا بالنزارية إلى بلاد الشام وقالوا: إن الإمامة انتقلت إلى الإمام نزار من أبيه المستنصر[2].

ج- أهل الذمة:

عاش أهل الذمة من أهل الكتاب من اليهود والنصارى بين المسلمين في بلاد الشـام في ربوع الإسلام وفي العصر الراشدي والاموي وكـذلك في الـعصر العبـاسي والفـاطمي بكـل تسامح، إذ وفّر لهم الدين الإسلامي على مر الحقب المتعاقبة الحماية اللازمة، وكانت لهـم مكانة اجتماعية، الامر الذي كان لابدّ من سنّ قوانين اجتماعية تنظم العلاقة معهـم[3]، ولم يكن في التشريع الإسلامي ما يغلق بابًا من أبواب الاعمال من دون أن يشاركوا فيها، فدائمًا ما نجدهم يحترفون الصنائع والحرف التي تدر الأرباح عليهم، فكانوا أصحاب ضياع وتجار، بل كان معظم أهل الذمة يعملون كتبة في الدواوين الإسلامية، ومـنهم مـن كـان طبيبًـا[4] ويتقسم أهل الذمة الذين سكنوا بلاد الشام إلى:

---

(1) الشيال، جمال الدين، مجموعة الوثائق الفاطمية، الجمعية المصرية للدراسـات التاريخيـة (القـاهرة، 1958م) ص41-45؛ الشنقيطي، أثر الحروب الصليبية، ص133.

(2) عشري، الإسماعيليون في بلاد الشام، ص16

(3) متز، آدم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابـع الهجـري، ترجمـة: محمـد عبـد الهـادي ابـو ريـدة، دار الكتاب العربي (بيروت، د.ت) ج 1، ص93.

(4) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلميـة (بـيروت، 1997م) ج3، ص112.

1- النصارى:

سكن النصارى بجانب المسلمين في بلاد الشام منذ العصور الاسلامية الأولى، وتمتعوا بحرية دينية بممارسة شعائرهم، وتولوا عدة مناصب ماعدا المناصب الدينية مثل: القضاء والحسبة[1]، وقد تمركزوا في القدس والمناطق الشمالية والغربية من بلاد الشام ولاسيما حلب والرها قبيل الحروب الصليبية، وكذلك مدينة الكَرك[2] التي ذكرها القلقشندي حينما قال: ((**الكرك مدينة مُحدثة البناء كانت ديرًا يتدبره رهبان، ثم كثروا فكبّروا بناءه، وآوى اليهم من يجاورهم من النصارى، فقامت لهم به اسواق، ودارت لهم فيه معايش، وآوت اليه الفرنج...**))[3] وكانوا يخضعون

أكثرهم للمذهب الأرثوذكسي[4]، ويتبعون فيه الطقوس الاغريقية اليونانية الأرثوذكسية، ويتحدثون اللغة اليونانية، وأمّا مناطق انطاكيا واللاذقية والقدس فسكنها نصارى من أصل أرمني، يتَبعون في تعاليمهم الكنيسة الأرمنية، وتواجدوا في

(1) القلقشندي، صبح الاعشى، ج9، ص54.

(2) **الكرك**: كلمة آرمية الأصل تعني الحارس، وتقع على تلّ مرتفعٍ، ويذكر (ابن جبير) بأنّه أعظم حصون النصارى؛ محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت 614هـ/ 1217م) الرحلة المسماة (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار) تحقيق: حسين نصار، مكتبة مصر (القاهرة، 1955م) ص224.

(3) صبح الاعشى، ج4، ص155-156.

(4) **الأرثوذكسية:** كلمة يونانية تعني: الرأي القويم، هم أصحاب الكنيسة الشرقية؛ لأنَّ أكثر أتباعهم من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية التي انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية لأسبابٍ عقائديةٍ عام (445هـ/ 1054 م) ويقولون: إنَّ روح القدس انبثقت عندهم من الأب فقط، ولا يجتمع الأرثوذكس على بابا واحدٍ، بل كلّ كنيسةٍ عندهم مستقلة بنفسها؛ لذا تتبع رئاسة الكنائس الأرثوذكسية نظام البطريركية فيدعى رئيسها بطريرك؛ الأعظمي، محمد ضياء الرحمن، اليهودية والمسيحية، مكتبة الدار (المدينة المنورة، 1988م) ص94-98.

الجهة الجنوبية الغربيـة مـن مدينـة القـدس، وأصـبح لهـم حـي خـاص بهـم عُـرف بحـي الارمن[1].

ومن الطوائف النصرانية الأخرى في بلاد الشام، الطائفة المارونية، وهي طائفة مـن النصارى الكاثوليكيين[2] الشرقيين، ويعود أصلهم إلى القديس مارون السرياني الأنطـاكي (ت 410ه)[3]، وقد نمت قوة هذه الطائفة في العصر الأموي في بلاد الشام مـما اضـطر الخليفـة معاوية بن ابي سفيان (41-60ه/ 661-680م) ومن بعده عبد الملك بـن مـروان (65-86ه/ 684-705م) أن يلزمهم بإتاوةٍ يدفعونها سنوية[4]، وسكن من النصارى بعضٌ من الأقباط في جنـوب فلسـطين ولاسـيما في القـدس وبيـت لحـم، وتزايـد عـددهم في بـلاد الشـام؛ نظـرًا للمعاملة الطيبة والمكانة الرفيعة التي حظيت بها تلك الطائفة في الـعصر الفـاطمي، فقـد جعلوا لهم أديرة خاصة بهم في بلاد الشام[5].

---

(1) سميل، ر.س، فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثـاني عشر (1079- 1193م) ترجمـة: محمـد وليـد الجلاد، مركز الدراسات العسكرية (دمشق، 1982 م) ص90.

(2) **الكاثوليكية:** اصل الكلمة يوناني، بمعنى: العام أو العالمي، أي: أنَّ الكاثوليكية، هي الديانـة النصرانيـة، العالميـة، وينسـب إلى هـذه الفرقـة عامـة النصـارى في الغـرب، لـذا تسـمى كنيسـتها الغربيـة أو البطرسية، نسبة إلى بطرس رئيس الحواريين؛ لأنّهم يزعمون أنّهم ورثـةً لبطـرس، ويتبعـون النظـام البابوي، وأنَّ البابا هو المشرّع بعد عيسى (عليه السلام) وبابوات رومـا جمـيعهم خلفـاؤه، والبابـا عندهم معصوم لا يصدر عنه الخطأ، وتؤمن هذه الفرقة بـأنَّ روح القـدس نشـأ مـع اللـــه الأب والابن معًا، وبالمساواة الكاملة بين الإله الأب والإله الابن؛ المحقق، دراسات في الاديان، ص364.

(3) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص51؛ خطط الشام، ج6، ص230.

(4) الغامدي، بلاد الشام، ص99-100.

(5) ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر الكندي (ت 749هـ/ 1348) تتمة المخـتصر في أخبـار الـبشر، دار الكتب العلمية (بيروت، 1996م) ج1، ص302.

وإلى جانب هذه الطوائف سكنت النساطرة واليعاقبة وهم من النصارى الشرقيين، وكانت لهم أماكن متفرقة في جنوب بلاد الشام ولاسيما مدينة القدس، وسكن أعداد قليلة منهم شمال الشام[1]، وانتشر هؤلاء النصارى الشرقيون في المقاطعات والأقاليم الريفية خارج المدن في المنطقة المحصورة بين بيت لحم وبيت المقدس ورام الله[2]، واحتفظ هؤلاء النصارى بكنائسهم، مع حرية أداء شعائرهم الدينية، فقد كانوا يضمنون الحرية الدينية وسلامة أرواحهم وأموالهم، وكان لهم احترام كبير من المسلمين في العهود الإسلامية المتعاقبة[3].

ويمكن القول: إنّ المعاملة الحسنة التي لقيها النصارى من المسلمين كانت سببًا في وجود عدد كبير منهم في بلاد الشام، فقد كانوا يتمتعون بحقوقهم جميعًا التي أقرتها الشريعة الإسلامية حتى صاروا جزءًا من النسيج السكاني في بلاد الشام.

2- اليهود:

يعود تاريخ تواجد اليهود في بلاد الشام إلى القرن التاسع قبل الميلاد، وكانوا على مدى التاريخ لهم حروب دامية ومؤامرات ضد الممالك المجاورة لهم[4]، وفي عصر الدولة الاسلامية وبفضل تسامح الدين الإسلامي، سمح لهم المسلمون على مرّ العصور بمزاولة شعائرهم الدينية في معابدهم بحرية كاملة بعدما كانوا مضطهدين في أيام

---

(1) العودات، حسين، العرب النصارى عرض تاريخي، الأهلي للطباعة والنشر(دمشق، 1992م) ص30.
(2) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص 179.
(3) العارف، عارف باشا، المفصل في تاريخ القدس، مكتبة الاندلس (القدس، 1999م) ص137.
(4) الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، دار الطليعة (بيروت، 1965م)ج1، ص581.

الحكم البيزنطي، فقد وجد اليهود في المسلمينَ أملًا في تحريرهم من الخطر البيزنطي الذي فرض عليهم [1].

وعاشت عناصر من اليهود في عكا، وقيسارية وانطاكيا وصور، ثم القدس[2]، واخذوا يمارسون حياتهم ويؤدون ما عليهم من حقوق، وسعوا إلى تحسين وضعهم الاجتماعي، وعاش اليهود في بلاد الشام ولم يلقوا أية مضايقة تذكر، ويلحظ انّه لم ينشأ لليهود تفاعل أو حوار أو حتى منازعات بينهم وبين المسلمين والنصارى، فكانت الحياة الاجتماعية السائدة بينهم جامدة ومنفصلة بحكم تكوينهم الديني ونشأتهم المذهبية[3].

وبناءً على ذلك يمكننا القول: إن بلاد الشام كانت تحوي عددًا كبيرًا من المذاهب والطوائف، تلك التركيبة السكانية التي حافظت على تنوعها لقرون طويلة، وما أن لبثت تتغير بوجود عنصر جديد وهو الصليبيين، الذين قاموا بتغيير خارطة بلاد الشام السكانية، باستبعاد بعض عناصرها وإدخال عناصر أخرى؛ ليتسنى لهم تأسيس أربع إمارات صليبية ومجتمع ذي توجه صليبي.

---

(1) براور، يوشع، الاستيطان الصليبي في فلسطين (مملكة بيت المقدس) ترجمة: عبد الحافظ البنا، عين للدراسات والبحوث الانسانية (القاهرة، 2001م) ص79.

(2) النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت 733هـ/ 1333م) نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وأخرون، دار الكتب العلمية (بيروت، 2004م) ج28، ص104؛ المدني، رشاد، بيت المقدس في عيون الرحالة المسلمين والأجانب في القرنيين الخامس والسادس الهجريين، بحث مقدم للمؤتمر الخامس بكلية الآداب بعنوان القدس تاريخا وحضارة، الجامعة الإسلامية، (غزة، 2011م) ص1069- 1070.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، دار الطباعة المصريَة (القاهرة، د.ت) ج1، ص519.

رابعاً: فئات السكان:

عانى سكان بلاد الشام قبيل الحروب الصليبية الكثير من الويلات؛ بسبب الصراعات والاضطرابات الداخلية التي عصفت بالمدن، وأدى ذلك الى تعدد الفئات السكانية بين الغنى والفقر، والإسراف والتبذير والشدة والحاجة[1]، فقد كان المجتمع في تلك المدة مجتمعًا أقرب ما يكون طبقياً، إلّا أنّ سرعان ما انهارت هذه الفئات على أيدي الصليبيين بعد دخولهم بلاد الشام إذ جعلوهم عبيداً لهم[2]، وهذا ما ذكره (ابن جبير) اذ وصف حالهم بقوله: ((**من الفجائع التي يعانيها... المسلمين، يرسفون[3] في القيود ويصرَفون في الخدمة الشاملة تصريف العبيد**))[4]، وبعد دخول الصليبيين عكا ذبحوا الشيوخ والعلماء، وذكر (ابن شداد) انهم ابقوا الرجال الاقوياء؛ للإفادة منهم في أعمال الزراعة وبناء القلاع والحصون وغيرها من الاعمال الشاقة [5]، وأجبروا الحرفيين من النجارين أجبروهم على صناعة الآت الحصار التي كانت تستعمل في حصار المدن الاسلامية، وكذلك البنائين في بناء الحصون والقلاع[6]، والفلاحين في

(1)ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص301.

(2)عشري، الإسماعيليون في بلاد الشام ص48.

(3) يرسفون: من الرَّسْف، وهو المشي المقيد بالحديد رويداً؛ ابن منظور، لسان العرب، ج9، ص118.

(4) تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص252.

(5) ابو المحاسن بهاء الدين يوسف (ت 632ه/ 1234) النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية المسمى(سيرة صلاح الدين الأيوبي) مكتبة الخانجي (القاهرة، 1994م) ص92؛ البكر، راغب حامد، الاسرى المسلمون في الحروب الصليبية، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد 25 (الموصل، 1993م) ص117.

(6) توديبود، بطرس (ت بعد 500ه/ 1106م) تاريخ الحملة الى بيت المقدس، ترجمة: حسين محمد عطية، دار المعرفة الجامعية (القاهرة، 1998م) ص318.

زراعة وصناعة قصب السكر لتصديره الى أوربا، وتعليم الصليبيين على زراعته وصناعته، فضلاً عن تعليمهم اسرار صناعة الادوية[1].

فكانت مدن بلاد الشام تتألف من عدة فئات تختلف عن بعضها البعض في خصائصها، ومقدار ما تتمتع به من حقوق أو تنهض به من واجبات، وفي ظل هذا التعدد أصبح السكان اكثر من فئة قبيل الحروب الصليبية[2]، فكانوا:

أ- الفئة العليا (الحكام والولاة):

مرت بلاد الشام قبيل الحروب الصليبية بفترات حكم متعددة، وقد كان لكل منها فئة عليا تتمثل في فئة الحكام، وكبار الموظفين وفئة أمراء الجند، ففي العصور التي سبقت الإسلام كان أعضاء البيت المالك في بلاد الشام يأتي على رأس السلم الاجتماعي، والذين كانوا على خلاف دائم مع الفئة العامة في بلاد الشام، وكان هذا البيت يتكون من أسرة الملك وأقاربه ورجال الحاشية التي كانت تخص المالك، وكانت هذه البيوت أيضًا تضم جماعة من الرقيق يقومون على خدمة الملك وأقاربه[3]، وعلى الرغم من كونهم رقيقًا إلا أنهم كانوا يتمتعون بمنزلةٍ خاصةٍ من الفئة الحاكمة في النفقات التي كان هؤلاء الحكام يقدمونها لهم نظير خدمتهم[4].

وعند مجيء الإسلام كانت الفئة العليا تتمثل بالخلفاء الراشدين وولاتهم على بلاد الشام، وكانت تتبع مبدأ الشورى، وهو من المبادئ الإسلامية المهمة التي توفر

(3) Benvenisti، M، The Crusaders in the Holy Land، Jerusalem (New York، 1972) p. 253.

(2) أمين، أحمد، ظُهر الإسلام، ط3، دار الكتاب العربي (بيروت، د ت) ص120-122.

(3) توديبود، تاريخ الحملة الى بيت المقدس، ص110.

(4) زيادة، نقولا، بلاد الشام في العهد البيزنطي، ط2، ندوة أعمال المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام (الجامعة الأردنية، 15- 19 تشرين أول 1983م) ص 109.

الأمن السياسي والطمأنينة للأفراد، مما يجعل هناك روحًا من التعاون والتناصح بين الحاكم والرعية، فهذا يضمن لهم عدم انحراف الرعية في سبيل جعل التوازن بين طبقات المجتمع المختلفة[1]، وعملوا على إعطاء أهل الذمة حقوقهم، وإعطائهم الأمان على أرواحهم وأموالهم مقابل دفع الجزية، فكان نظام الحكم بين الرعية حكمًا بالعدل وليس هناك فرق بين أديانهم أو أجناسهم[2].

أما في العصر الأموي فسارت الفئة العليا من الحكام على خُطا الخلفاء الراشدين في التعامل مع أفراد المجتمع في بلاد الشام، والتي كانت تتمثل في الخليفة والجند، فدائمًا ما كانت تلتف الرعية حول الخلفاء، وكانت وظيفة الخليفة في تلك الحقبة هي صيانة الأمة وإداراتها وتوطيد الحكم فيها، فغاية الخليفة في بلاد الشام هو رفع مستوى المجتمع، لا تحقيق العدالة الفردية،[3] فضلًا عن أنّ الخليفة كان يختار ولاته بعناية شديدة؛ ليقدروا على العمل لأجل مصالح المجتمع، إذ كان يختار من أكفأ الرجال، وحينما لم يجد الخليفة الحاكم بين يديه رجلًا كفوءًا ليكون واليًا يرسل من يعهد فيه الكفاية إلى ولاية صغيرة، فإذا ظهرت منه المقدرة والموهبة رفعه إلى ولاية أكبر، وكان الحاكم يترك لولاته مهمة الإشراف على القضاء والجباية وبيت المال، فالحاكم كان يرى أنهم لابد أن يقوموا بواجباتهم تجاه الرعية[4].

---

(1) البياتي، عبد الجبار ستار، التنظيم الإداري في عصر الراشدين، عمر بن الخطاب (أنموذجا) كلية الآداب، (الجامعة العراقية، 2021) ص223

(2) متز، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ج 1، ص093.

(3) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج11، ص242-244.

(4) السامرائي، عبد الجبار محسن، الاتجاهات العامة في سياسة الخليفة عبد الملك بن مروان في اختيار ولاته وعماله في إدارة شؤون الدولة العربية الإسلامية، مجلة سر من رأى، كلية التربية، المجلد 13، العدد 8 (جامعة سامراء، 2008م) ص 18-19.

ويعمـل الخليفـة عـلى تقسـيم الجنـد إلى فـرقتين، الفرقـة الأولى كانـت تتمثـل في الشرطة وكانت وظيفتها حماية الخليفة والدفاع عنه، وكان الخليفة هو من يقـوم باختيـار الجند بنفسه، أو يوكل أحدًا يثق به ليقوم هو باختياره، وكانت تأخذ أجرها مـن الخليفـة، والفرقة الثانية هي الجيش للثغور والجهاد[1].

أمّا في العصر العباسي فحرصت الدولة على أن يكون الولاة وأمراء الجند من رجـال البيت العبـاسي، وارتبـاطهم كـان مبـاشرًا حتـى بدايـة الحكـم الطولـوني (254هــ/ 868م) واتسمت حياة الحكام والولاة بشكل عام بـالغنى والـترف؛ لـوفرة ايـراداتهم مـن الرواتـب والعطايا التي منحها لهم الخلفاء، فضلًا عن سعة ضياعهم واملاكهـم المختلفـة[2]، ووصـف (المقدسي) هذه الحال في بلاد الشام وذكر ان الأمراء والحكام لهم: ((**الخيـولَ كانـت مركبًـا نبيلًا... ولايركب الخيل إلا أمير أو رئيس**))[3] ومن الولاة الذين شغلوا منصـب الـوالي عـلى بلاد الشام الفضل بن صـالح بـن عـلي (122ــ- 172هــ/ 740- 789م) الـذي ولاه الخليفـة العباسي عبد اللـه أبـو العبـاس السـفاح عـام (133ه/ 751م) وتـولى إدارة جنـد فلسـطين والمناطق المجاورة لهـا، وعـيّن الخليفـة ابـو جعفـر المنصـور (136- 158هــ /754- 775م) محمد بن عبيد اللـه بن سليمان[4] على شمال الأردن وطرابلس، ويقـال: إنّـه جمـع ثـروة كبيرة من ولايته في بلاد الشام حتى عزله الخليفة عام (158ه/ 775 م)[5].

---

(1) البلاذري، انساب الاشراف، ج5، ص163.
(2) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 8، ص 90-91.
(3) أحسن التقاسيم، ص183.
(4) لم أجد له ترجمة.
(5) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج53، ص129-132.

وتذكر بعض المصادر أن بعض الولاة والأمراء في بلاد الشام كانوا يجمعون الضرائب الباهظة من الناس، وانغمسوا في حياة الترف، وبنوا القصور حتى صارت مضربًا للمثل في حسن رونقها وجمالها واتساعها، مما أدى إلى نشوب ثورات مختلفة ضدهم، وكان بعضهم يقرب الأعاجم إليهم ويلونهم المناصب، وكانوا دائمًا يمارسون سلطتهم على أهل الشام بحكم مركزهم الذي ساعدهم في الوصول إليها العباسيين[1].

ثم تحول ارتباط بلاد الشام سياسيًا بالدولة العباسية من مباشر إلى غير مباشر، فكان ارتباطها بمصر من خلال مرحلة جديدة من الانقسامات السياسية التي حدثت في مصر وبلاد الشام، تمثلت بدول وإمارات اسلامية، مثل: إمارة الطولونيين

(257–292هـ/870- 905م) والإخشيديين[2] والحمدانيين، والدولة الفاطمية والسلاجقة[3]، وامتدت هذه الدول من بداية الدولة الطولونية حتى انتهاء حكم الفاطميين من بلاد الشام ودخول الصليبيين بيت المقدس (254ه/ 868 م – 492ه/ 1099م)[4].

---

(1) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ج 8، ص 89؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج4، ص 175.

(2) **الإخشديون**: نسبهم إلى محمد بن طنج الإخشيدي مؤسس الإمارة الإخشيدية في مصر(سنة 323ه/935م) التي امتدت لاحقًا باتجاه الشام وانتهت (357هـ/ 968م)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج5، ص86-87.

(3) ابن ظافر، جمال الدين ابو الحسن(ت 623ه/1253م) أخبار الدول المنقطعة، تحقيق اندريه فويه، مطبوعات المعهد الفرنسي (القاهرة، 1972م) ص24-25؛ علي، جاسم صكبان، البرجوازية في ظل الحكم الفاطمي، مجلة كلية التربية بنات، المجلد 27، العدد4 (جامعة بغداد، 2006) ص1205-1029.

(4) علي، البرجوازية في ظل الحكم الفاطمي، ص1030.

وكانت هذه المرحلة للحكام والأمراء حياة مليئة بالترف والتسلية، مستمتعين بالصيد، وسهرات الشراب والسمر وسماع الغناء والمعازف والشعر، فكان سيف الدولة الحمداني يدفع ويقطع الأموال مقابل قصيدة شعرية أو بضعة ابيات[1]، حتى جمع الأمراء الديباج الفاخر، وأواني الذهب والفضة، والإسراف بالأموال والخيول، وعند دخول البيزنطيين حلب عام (351ه/ 962م) أخذوا من قصر سيف الدولة الحمداني ثلاثة الاف حمل من الديباج الفاخر، ومن الخيول ثمانمئة رأسٍ، ومن البغال ثلاثمئة ومن الاموال أواني الذهب والفضة ما لا يحصى، ونقل البيزنطيون معهم حتى سقوف القصور التي كانت مذهّبة[2].

ولن تختلف الحال مع الدولة الفاطمية في بلاد الشام، فكان الخلفاء الفاطميون يمثلون الفئة الحاكمة في مصر والشام وأحاطوا أنفسهم بهالةٍ من الاحترام والتقديس[3] إذ كان الخليفة الفاطمي يجمع في يده سلطات الحكم جميعًا، ويقوم بالإشراف عليها بوساطة وزرائه وولاته الذين يخضعون له، وكان يتم اختيار الوالي من ابناء العائلات الكبيرة؛ لأنهم كانوا يتمتعون بسلطة عسكرية واسعة بوصفه قائدًا للجيش الفاطمي في الولاية[4].

وعلى الرغم من أن الخلفاء الفاطميين منحوا ولاتهم صلاحيات واسعة الا أنهم أعطوا لأنفسهم الحق في مراقبة تصرفات الولاة، وكان الخلفاء الفاطميون يمنحون ولاتهم الخلع والهدايا، فقد كان الخليفة يعطي الوالي بغلة يركبها ويصحبه مجموعة

---

(1) ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج1، ص138.

(2) ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، ص34-35.

(3) المقريزي، المواعظ والإعتبار، ج1، ص462-464؛ اتعاظ الحنفا، ج2، ص71،.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص107.

من الجند، ثم يقوم الخليفة بتعيين أشخاص يكونون عيونًا لهـم في مراقبـة الـولاة، وهـؤلاء العيون يتم رشوتهم؛ ليغضوا النظر عن أفعال الولاة[1].

ويمكن القول: إنّ الدولة الفاطمية تمتعت قبيل مجيء الصليبيين لبلاد الشـام بـثراء عظيم، لم تعرفه الدول الإسلامية المعاصرة لها، وتمثل هذا البذخ والثراء بالإسراف في مظاهر احتفالاتها بالأعياد والمناسبات والمواسم التي أبدعوا فيها، وأنفقوا عليها من دون حساب[2]، فلم يترك الفاطميون مناسبة دينية ومذهبية خاصة أو عامة إلا وأطلقوا لها العنان، فأكثروا من الاحتفالات وإقامة الموائد، وجزاء هذا البذخ وقمة الـترف في إحـداث هـذه المناسـبات الاجتماعية المتنوعة، جعل الشـعراء في تلـك المرحلـة يُنظِمـون القصـائد في مـدح الخليفـة الفاطمي ورجال الدولة، فكانوا يُهنَئون في أشعارهم بكل مناسبة تحدث، وبكل مهرجان أو احتفال يقام عند الفاطميين[3].

ب- الفئة الوسطى(العلماء والتجار):

نالت الفئة الوسطى في بلاد الشـام قبيـل الحـروب الصـليبية احـترام المجتمـع وتقديره، فمنذ فجر التاريخ في بلاد الشام ظهر عدد من العلماء والفلاسفة، وانـتشرت مراكز العلم ولاسيما في الأديرة، وازداد عدد خزائن الكتب، وكانت بلاد الشام جزءًا من دولة واسعة اختلطت فيها الحضارات وتمازجت، إذ انتقلت مراكز العلم من الإغريـق واليونان إلى الشام، وظهر عدد من العلماء أسهموا في نشر الوعي والعلـم والثقافـة[4]،

---

(1) أمين، ظُهر الإسلام، ص131-132.

(2) المقريزي، المواعظ والإعتبار، ج1، ص417-420.

(3) الحكمي، نجم الـدين أبـو محمـد عـمارة اليمنـي(ت 569 هــ/ 1174م) النكـت العصريـة في أخبـار الوزراء المصرية، تصحيح: هرتوينغ درنبغ، مكتبة المثنى (بغداد، 1968م) ص 289.

(4) عطية، جورج، بلاد الشام في العهد البيزنطي، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشـام (جامعـة الأردن، 1983م) ص44-48.

ولم يغفل المسلمون بعد فتوحهم لبلاد الشام عن الاهتمام بالعلماء وأهل العلم، فقد كان لهم دور كبير في رعاية العلماء والفقهاء وطلاب العلم[1]، فكانوا يستدعون العلماء والأدباء إلى قصورهم؛ ليستفيدوا من علومهم وفنونهم[2]، ودائمًا ما كانوا يُكرِّمون العلماء ويُجزلون لهم العطايا والهدايا؛ تشجيعًا لهم[3]، لذا كانت طائفة العلماء من الطوائف القريبة منزلةً من الخلفاء، بحيث كان للخلفاء رغبة في مجالستهم وسماع علمهم سواء من العلوم الدينية أو الإنسانية أو الأدبية أو التاريخية، ودائمًا ما كانوا يعظمون من شأنهم والمدارس بكثير من الإجلال والتقدير[4].

وبحكم مكانة بلاد الشام الدينية، بما فيها المسجد الأقصى بفلسطين والجامع الأموي بدمشق فقد ارتاد إليها الكثير من العلماء وطلاب العلم؛ للتعلم وجعلوا منها خوانق[5] للعلم وحلقات للذكر، فقد اشتهرت مدينة بيت المقدس وطرابلس بعلوم الفقه والحديث، والرملة وعسقلان[6] وطبرية بعلوم الشريعة والقران الكريم وتفسيره

(1) السامرائي، ساجد مخلف حسن، النشاط الطبي في العصرين الراشدي والأموي، مجلة التراث العلمي العربي، العدد 1(جامعة بغداد، 2015م) ص99.

(2) شهدت قصور الأمراء الكثير من المناظرات والحوارات، وكان الخليفة أحيانا يشارك بنفسه في المناظرات، وخير مثال على ذلك مناظرة الخليفة عمر بن عبد العزيز مع شوذب الخارجي في بعض المسائل الفقهية، مما يدل على سعة علم عمر بن عبد العزيز واتساع أفقه وإقامة الحجة بالمنطق، فقد شهدت منازله الكثير من تلك المناظرات والحوارات الهادفة والتي كان يهدف منها الوصول إلى الحقيقة؛ ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج5، ص 301.

(3) أبو لاوي، أمين، أصول التربية الإسلامية، دار ابن الجوزي (الدمام، 1998 م) ص130.

(4) زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة هنداوي (القاهرة، 2012م) ج5، ص 43.

(5) **الخوانق**: مفرها خانقاه، كلمة أعجمية الأصل تعني مكان العبادة، فهو مكان يجمع بين التدريس والعبادة؛ ابن منظور، لسان العرب، ج10، ص92.

(6) **عسقلان**: مدينة بالشام على ساحل بحر الروم من أعمال فلسطين؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص122.

والفقه والسير والأخبار والشعر[1]، وكان من أشهر العلماء محمد بن أحمد بن سهل بن نصر أبي بكر المعروف بابن النابلسي (363ه/ 973م) الذي حظي بمكانة عظيمة لدى الوزراء والأمراء العباسيين، وكذلك الفقيه نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي الذي كان إماما زاهدًا حافظًا مفتيًا وشيخًا للشافعية بالشام وصاحب التصانيف، والإمام المحدث أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الحنائي (ت 459هـ/ 1057م)[2].

وظهر نوع أخر من فئة العلماء في القصور، وهؤلاء يختصون بتعليم ابناء الخلفاء والأمراء، ويطلق على هذا النوع من معلمي هذه الفئة بالمؤدبين، وكان لهذه الفئة منزلة عظيمة عند الخلفاء، إذ كان الخلفاء والولاة والأمراء يصرفون لهم أعطيات عالية[3].

أمّا فئة التجار في بلاد الشام في العصور التي سبقت الإسلام فهي من الفئات الاجتماعية الوسطى التي أسهمت بدور كبير في تطور النشاط التجاري في البلاد، إذ إن كلّ من حكم بلاد الشام كان لا يستطيع الاستغناء عن محاصيلها، وعن الوساطة التي يقوم بها العرب في نقل البضائع النادرة والتي تكون الدول المجاورة لبلاد الشام في أمس الحاجة إليها، مما جعل حكام الدول المجاورة يقومون بإلغاء نظام الرقابة والمصادرة على سفن البضائع[4].

---

(1) ابن كثير، البداية والنهاية، ج9، ص34.

(2) الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: عمر عبد السلام تتدمري، دار الكتاب العربي، (بيروت، 1989م) ج17، ص565.

(3) ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص 381.

(4) لويس، أرشيبالد، القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500 - 1100م) ترجمة: أحمد محمد عيس، مراجعة محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1950م) ص140.

وفي العصور الاسلامية الأولى حَظيت فئة التجار بمكانة بارزة بين أفراد المجتمع؛ لأنها يعتمد عليها في حل المشاكل الاقتصادية التي تواجه المجتمع[1]، فقد استطاع التجار المسلمون أن يعقدوا صفقات تجارية رائجة مع مجاوريهم وكَثُر توافد القوافل قافلة تلو الأخرى لنقل السلع والبضائع من بلاد الشام وإليها[2].

وبدأ الأغنياء من المسلمين ينزعون للترف ويقلدون البيزنطيين في لبسهم للحرير واتخاذ أغلى أنواع الأثاث الغالي في بيوتهم[3]، وكانت هذه الفئة من الفئات التي يعتمد عليها الحكام في إدخال الأموال لبلاد الشام بعقد الصفقات التجارية مع بلاد الشرق الأقصى والصين وجزر الهند[4].

وكان للتجار في العصر العباسي نظام دقيق في الأسواق في بلاد الشام وضعه لهم الحكام؛ نظرًا لمنزلتهم العالية، وكانوا يحصلون على رزقهم من الخليفة العباسي وأهله وأهل دولته وسائر الخاصة من جلسائه وأعوانهم، ولاسيما الذين يتاجرون في المجوهرات والمصوغات والثياب الفاخرة الذين كانوا يأتون بها من بلاد الهند والحبشة والبحرين وغيرها من الدول[5].

وفي بلاد الشام في العصر الفاطمي أصبح التجار يأتي تصنيفهم بعد الفئة الحاكمة، فقد كان الوضع الاقتصادي للتجار في تلك المدة مستقرًا[6]، إذ تمتع التجار

---

(1) الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت430هـ/1038م) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط3، نشر دار الكتاب العربي (بيروت، 1980م) ج10، ص98- 99.

(2) أرشيبالد، القوى البحرية والتجارية، ص141.

(3) النصولي، أنيس زكريا، الدولة الأموية في الشام، مؤسسة هنداوي (القاهرة، 2012م) ص185.

(4) مجموعة باحثين، تجارة بلاد الشام الخارجية في العصر العباسي (132-451هـ /750-1059م) المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية (عمان،1990م) ص238- 240.

(5) زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج5، ص44.

(6) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 78.

في بلاد الشام بحرية ونشاط كبيرين، فقد كان لكل طائفة منهم سوق خاص بهم، وقد أطلق على بعض الأسواق اسماء السلع التي تباع فيها، فهناك سوق لبيع الفاكهة والخضار عرف باسم (دار البطيخ) ويقع هذا السوق بجوار المسجد الأموي من الجهة الغربية[1]، وسوق آخر بجوار المسجد الأقصى، وكان هناك سوق للزجاجين والسراجين يقع في شرق الجامع الأموي، وسوق لبيع البقوليات وهو من أقدم أسواق الشام بالقدس، وسوق آخر لبيع الدواب وينقسم على قسمين أحدهما لبيع الأغنام ويعرف باسم سوق الأغنام بطرابلس وانطاكيا، والآخر للدواجن[2].

وكانت هناك أسواق موسمية تقام في المواسم أو في أوقات معينة وأوقات محددة، ففي بداية كل اسبوع كان هناك سوق يقام يوم الأحد للتجار يتم فيه بيع المنتجات الزراعية والصناعية، ونظرا للحرية التي كان يتمتع بها التجار في بلاد الشام في العصر الفاطمي كانوا ينقلون بضائعهم في يوم السبت من الأسواق إلى الطرق العامة، فكانوا عادة ما ينقلوها إلى سوق يسمى بالميدان الأخضر إذ يتجمع الناس هناك للبيع والشراء في اليوم التالي، وإلى جانب هذا كانت هناك أسواق صغيرة يمتلكها كبار التجار وكانت تحوي عددًا من الدكاكين من أمثال: سوق باب البريد، وسوق الحجامين، فضلًا عن ذلك كان الأغنياء وكبار التجار يشاركون الولاة والأمراء في الحياة التي يعيشونها، فلهم البيوت التي كانوا يتفننون في بنائها، وكانوا يصنعون فيها الخيش المبلل بالماء والثلج المذاب، وفيها تعقد مجالس الشراب والطرب[3].

---

(1) ابن بطوطة، محمد ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الطنجي (ت 779هـ /1369م) الرحلة المسماة (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار) دار الشرق العربي (بيروت، 2010م) ص107.

(2) ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج2، ص 215- 216.

(3) المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ص156؛ محمد كرد علي، خطط الشام، ج4، ص239.

ج- الفئة العامة (الكادحون):

عاشت هذه الفئة ونشطت في معظـم الميـادين في بـلاد الشـام متجاهلـة السـلطة الحاكمة، وكانت الفئة العامة تضم الصـناع والفلاحـين، فلـم يعـتنِ الحكـام الـذين سـبقوا الإسلام بالفلاحين في بلاد الشام عناية فائقة، فكان الفلاح يقوم بزراعة الأرض فقط ولم يكن له حق فيها، فقد أصدرت الدولة البيزنطية عـدة تشريعـات عـلى الأراضي الزراعيـة ومنهـا عدم ملكية الأرض للفلاح في بلاد الشام، مع فرض الضرائب الباهظة على الفلاح[1].

وكان الصنّاع من الفئة العامة التي لم تنل حقوقها بالكامل في تلك الحقبة وقد كان هنـاك عـدة فئات من الصناع كل فئة اختصت بصناعة معينة تختلف عـن صـناعة غيرهـا فهناك صناع للحرير وصناع للماس وصناع للحلي النفيسة، وصناع للأسـلحة مثـل: السـيف والخنجر وغيرها من الأسلحة، ومن الجدير بالذكر أن العنصر النسائي كـان هـو الغالـب في فئة الصناع في بلاد الشام في العصور التي سبقت الإسلام[2].

وعند مجـيء الاسـلام كانـت الفئـة العامـة كسـابقيها تتمثـل في أصـحاب الحـرف والصناعات، فقد اهتم الحكام بمثـل هـذه الفئـة في بـلاد الشـام، إذ كانـت تأخـذ أجورهـا بالكامل، الى جانب ترفـق الخلفـاء بـالعمال وقـد شـملت الصـناعات والحـرف في العصـور الاسـلامية الأولى الصـناعات البسـيطة التـي كانـت تعتمـد عـلى المهـارات اليدويـة، مثـل:

---

(1) بينز، نورمان، الإمبراطورية البيزنطية، ترجمـة: حسـين مـؤنس ومحمـد يوسـف زايـد، مطبعـة لجنـة التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1950م) ص 129.

(2) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص350- 351.

الدباغة والغزل والنسيج، وكانت تعتمد اعتمادًا كبيرًا على منتجات قطاع الزراعة من الأخشاب والمواد الخام الأولية[1].

وتطورت حالة الفئة العامة مع تطور الصناعات التي أخذت طريقًا للتوسع إذ ظهرت صناعة مستلزمات البناء وصناعة السفن الحربية وتطورت، وبرزت صناعة المطاحن وكانت هناك أنواع من المطاحن منها المَدار، وهي من النوع البسيط وتتكون من حجر واحد وتُدار بوساطة مجموعة من العاملين أو الماشية، ويوجد نوع أخر وهو الرحى وكانت تدار بتيار الماء البسيط من العيون أو فروع الأنهر والجداول وكانت تتكون من حجر أو أكثر[2].

وفي العصر العباسي كانت الفئة العامة لفيفًا من أمم شتى، ومنهم المرتزقون والمحترفون من بين صانع وبائع وفيهم أهل الحرف، وكان أفراد هذه الفئة يحصلون على رزقهم وقوت يومهم من العطايا والرواتب التي يحصلون عليها من الحكام، أو من بيعهم للسلع[3].

وظهر تنظيم دقيق للعاملين من الفئة العاملة فقد كان منهم الخبازون الذين يهتمون بنظافة أوعية الماء التي يستعملونها، وكذلك الخبازون الذين كانوا يهتمون بنظافة ما يغطى به الخبز وما يفرش تحته وغسل المعاجن، وكان المحتسب هو الذي يتابع تنفيذ ذلك وإلزام العاملين في مجال طحن الحبوب بعد غربلتها من التراب

---

(1) السامرائي، رشاد نواف أحمد وادي، الحرف والصناعات في الامارات الصليبية الأولى، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة سامراء، كلية التربية، قسم التاريخ (العراق، 2018م) ص11-15.

(2) الجفري، عصام بن هاشم، موجز التطور الاقتصادي في الدولة الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي مع لمحة عن التطور الاقتصادي في أوربا(الرياض، دت) ص130- 131.

(3) زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، ج5، ص37

والحجارة، وكان لكل مهنة أو حرفة عريف من أهل المهنة أو خبير بها؛ كي يستطيع مساعدة المحتسب في الضبط فيما يخفى عليه من دقائق وخصائص تلك المهنة أو الحرفة[1]، وفي العصر الفاطمي كانت الفئة العامة ولاسيما العاملة[2] من أسوأ الفئات، فكانت تشمل العمال وأصحاب الحرف المتعددة والتي غالبًا ما يكون مكانهم الأسواق، كلًا بحسب تخصصه، وتشكل هذه الفئة الجزء الأكبر في بلاد الشام في تلك الحقبة، ومعظم أفرادها يعيشون على الكفاف من العيش، وعرفت هذه بالفئة المعدومة[3].

وظهرت جماعة تعرف باسم جماعة الأحداث[4] التي انتشرت في أغلب مدن بلاد الشام، وكان يمثل أفرادها السواد الأعظم من الناس لذا فإن تصنيفها في أسفل الفئات الاجتماعية، فقد ارتبط مفهوم العامة في العصر الفاطمي وشبّه بالحجرة التي لا رونق لها ولا جوهر[5].

وأصبحت هذه الجماعة من العقبات الرئيسة للفاطميين في دمشق، فأخذوا يخططون ليتخلصوا منهم، إلا إنهم كانوا فئة من الصعب التغلب عليهم، ولم تجد

(1) الجفري، موجز التطور الاقتصادي في الدولة الإسلامية، ص134.
(2) زيدان،، تاريخ التمدن الإسلامي، ج2، ص569.
(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص414- ص416.
(4) **جماعة الأحداث:** هي مجموعة من الأفراد تظهر عندما يختفي أفراد السلطة التي تقوم بالدفاع عن المدينة ضد الأخطار الخارجية التي تواجهها، مثل: الفراغ الناتج عن غياب السلطة المحلية، وأن هذه الجماعة في الكثير من الأحيان كانت تتفق مع الأهالي ومشايخ المدينة ضد الفاطميين ولاسيما الجند المغاربة الذين كانوا مصدر قلق دائم لأهل المدينة؛ نتيجة لأعمالهم العدوانية؛ ثابت بن سنان(ت 365هـ- 976م) وابن العديم، أخبار القرامطة، جمع وتحقيق: سهيل زكار، دار حسان (دمشق، 1987م) ص61.
(5) القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي(ت 363هـ/ 974م) المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي، وإبراهيم شبوح، ومحمد اليعلاوي، دار المنتظر (بيروت، 1996م) ص232.

الدولة الفاطمية حلاً لتسلط الأحداث إلا بوساطة أحد القادة الفاطميين يدعى محمد بـن الصمصامة[1]، الذي دخل دمشق سنة (390هـ/ 999م) وسعى إلى طمأنة رؤساء الأحـداث، ثم غدر بهم عن طريق نصب مكيدة لهم حينما دعاهم إلى وليمـة في قصره فأطـاح بهـم، وجعل نفسه أميرًا على دمشق[2].

وقبيل الحروب الصليبية كانت طبقة الفلاحين من الفئات العامـة في تلـك الحقبـة وكانوا يسكنون الأرياف في بلاد الشام، إذ كانوا يقومون بزراعة الأرض وحرثها، ويبيعون مـا يزرعونه في أسواق بلاد الشام بعدما يأخذون منه ما يحتاجونه من زراعتهم التي يعيشـون عليها، وكانوا يعيشون على ما تنتجه أرضهم من غلات زراعية[3]، وقد لاقت فئة الفلاحين في بلاد الشام معاناة شديدة ولاسيما عنـد غـزو القرامطـة لـبلاد الشـام، وكـذلك عنـدما كـان الجنود الفاطميون يقومون بالاعتداء عليهم وفرض الضرائب الباهظة عليهم[4].

ويمكن القول: إن الفئات الاجتماعيـة قبـل الحـروب الصـليبية في بـلاد الشـام، انقسمت على ثلاثة أقسام: الفئات العليا التي كانت تضم طبقة الحكام والـولاة التـي تمتعت بامتيازات واسعة عن الفئـات الأخـرى، والفئـة الثانيـة الوسـطى كانـت تضـم العلماء والتجار والذي كان لهم مكانة عالية بين أفراد المجتمع، أما الفئة الثالثة والتي تتمثل في الفئة العامة، فهم أدنى فئـات المجتمـع والتـي تمثلـت في العـمال وأصـحاب

(1) **محمد بن الصمصامة**: الأمير الكبير، نائب دمشق أبو الفتح المغربي، من قادة الفاطميين، كـان ظلومـا متجبرا سفاكا للدماء، مصادرا، خبيث العقيـدة تـوفيِّ (390ه/ 999م)؛ الـذهبي، سـير أعـلام النـبلاء، ج17، ص22.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 88- 89.

(3) ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي (ت367ه/977م) صـورة الأرض، دار صـادر (بيروت، 1938م) ص160- 161.

(4) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص10 -15.

الحرف والفلاحين، وهذه الفئة عانت الكثير من الظلم والاضطهاد ولاسيما في الحقبـة التـي سبقت مجيء الصليبيين الى بلاد الشام.

الفصل الثاني

أهمية بلاد الشام عند الصليبيين
ومراحل استيطانهم فيه

أولاً: أهمية بلاد الشام في الفكر الصليبي

ثانيًا: دوافع الحملات الصليبية

ثالثًا: مراحل الاستيطان في بلاد الشام من خلال الحملات الصليبية

الفصل الثاني

أهمية بلاد الشام عند الصليبيين

ومراحل استيطانهم فيه

أولاً: أهمية بلاد الشام في الفكر الصليبي:

كانت بلاد الشام بؤرة اهتمام الصليبيين في ذلك الوقت، على مختلف الأصعدة الدينية، والسياسية، والاقتصادية، فقرابة القرنين من الزمان (491- 692ه/ 1098- 1291م) اصطدم الشرق بالغرب على شتى الأصعدة، وبدأ الصدام أولًا عسكريًا، ثم شهد مواجهةً استعماريةً، وفكريةً، وثقافيةً أثرت في تغيير الخارطة الحضارية آنذاك،[1] فضلاً عن أنَّها غيّرت في ديموغرافية منطقة بلاد الشام، التي كان لها النصيب الأكبر من الحملات الصليبية، والتي شهدت أراضيها تأسيس الإمارات الصليبية الأربع[2]؛ الرها، أنطاكيا، وبيت المقدس، وطرابلس، تلك الإمارات التي كان لها الأثر البالغ في التركيبة السكانية ببلاد الشام، ومدن الساحل الشامي، إذ إنَّ الإمارات الأربع حرصت على تصفيتها من الوجود الإسلامي واليهودي قدر المستطاع، فضلًا عن النصارى الشرقيين المخالفين لهم في العقيدة، بعد مذابح دامية وأساليب مختلفة للتهجير مارسها الصليبيون في الشام[3].

---

(1) الشارتري، فوشيه (ت 521ه/ 1127م) تاريخ الحملة إلى بيت المقدس (1095- 1127م) ترجمة ودراسة وتعليق: قاسم عبده قاسم، دار الشروق (القاهرة، 2001م) ص37-40.

(2) ينظر ملحق رقم (1) خارطة تأسيس الإمارات الصليبية.

(3) السامرائي، الحرف والصناعات في الامارات الصليبية، ص 23-25.

وتُمثل بلاد الشام أهميةً خاصةً في الفكر النصراني؛ ففلسطين مهد النبي عيسى (عليه السلام) ويَعدّونها موطن النصارى الأول، ومنها خرج الحواريون[1] يدعون إلى الديانة النصرانية في أرجاء العالم، وفيها العديد من الأماكن المقدسة، وعلى ضوء هذا قامت الحملات الصليبية برفع شعار الصليب، وأعلنت هدفها المعلن تخليص الأراضي المقدسة والقبر المقدس من أيدي المسلمين[2].

وبدأ بيت المقدس يحتل جانبًا دينيًا مهمًا، إذ كان هناك اختلافٌ على أهمية الحج وضرورته بين مدرستين مختلفتين في بداية انتشار النصرانية؛ الأولى تزعّمها القديس باخوميوس (292-346م) الذي أسّس الرهبنة عام (300 م) في مصر، وأيّده فيها القديس أوغسطين (354- 430م) من شمال افريقيا، وهي التي ترفض فكرة الحج تمامًا وتعدّه من الوثنية[3] أما المدرسة الثانية فاتّبعت أسلوبًا يعود إلى عهد الإمبراطور الروماني قسطنطين (272-337م) حينما اهتمت الإمبراطورة الرومانية هيلانا (250-327م) والدة قسطنطين بالبحث عن الذخائر المقدسة في مدينة الرها، وبالفعل عُثر على الرفات المزعومة للسيد المسيح ومتعلقاته، والصليب الذي صلب به السيد المسيح المزعوم، وأخيرًا اكتشف القبر المقدس وبني عليه كنيسة القيامة عام (326م)

(1) **الحواريون**: هم وزراء وتلامذة عيسى بن مريم (عليه السلام) وكانوا اثني عشر من بني إسرائيل، وسموا بالحواريين؛ لبياض ثيابهم؛ لأنَّ الحور عند العرب تعني شدة البياض؛ الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر (د. م، 2003م) ج9، ص115-116.

(2) رواق، رحمة، الصراع الإسلامي الصليبي على الجبهة الجنوبية (بيت المقدس - مصر) (559-589هـ / 1146-1193م) رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة الحاج لخضر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، شعبة التاريخ وعلم الآثار (الجزائر، 2013م) ص17.

(3) عطية، عزيز سوربال، الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فيليب صابر سيف، ط2، دار الثقافة (بيروت،1990م) ص28.

ومن هنا بدأ الحج المقدس إلى فلسطين [1]، بعد رحلة الإمبراطورة إلى فلسطين، ومن أبرز مَنْ قام بالحج في القرن الرابع القديس الإيطالي جيروم[2]، وتركزت حركة الحج في أوروبا إلى الأماكن المقدسة في بيت المقدس [3].

وكان من الأسباب التي دعت للحج هو ارتباطه بقصة المسيح، وقصص العهد القديم، فضلاً عن طول الرحلة إلى بيت المقدس ومشقتها، فهو برحلته تلك يكرّس نفسه للرّب، ويطمع أنْ ينال الغفران عن خطاياه ليبدأ حياته من جديد، غير أنَّ هذا لم يكن نوع الحج الوحيد، إذ يوجد أيضًا (الحج التكفيري أو حج التوبة)[4] الذي يمثّل عقوبة الكنيسة على المتهمين بجرائم كبرى مثل: (قتل الأخ أو الأخت) إذ يفرض عليهم القيام بالحج، وهي رحلةٌ قد تستغرق سبع سنواتٍ، إذ تطور الحج التكفيري هذا للغفران الصليبي[5].

وقد ازداد الإقبال على رحلة الحج إلى بيت المقدس منذ القرن العاشر والحادي عشر للميلاد عُرف بـ(عصر الحج الكبير) نتيجةً لرسوخ فكرة التوبة والغفران، والبحث

---

(1) عبد الرحيم، رائد مصطفى، وسائل الدعاية (صورة المسلمين في أدب الرحلات الأوروبية والروسية إلى الأماكن المقدسة في العصور الوسطى أنموذجًا) مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، العدد 1، مج13 (فلسطين، 2011م) ص143-149.

(2) **جيروم:** وُلد في مدينة ستريدون (347-420)(الإيطالية، من أسرة رومانية غنية وتقية، وأرسله والده إلى روما، فبرع في الفصاحة والبيان، وأعظم الرجال ممن فسّروا الكتاب المقدس؛ عبد اللطيف عبد الهادي، علاء النحاس، تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وعلاقاتها بالشرق، تحرير: محمد فوزي رحيل، مكتبة الآداب (د. م، 2019م) ص173-209.

(3) عطية، الحروب الصليبية، ص32.

(4) بدأ هذا النوع من الحج في التبلور منذ القرن السابع للميلاد بالتزامن مع سيطرة المسلمين على بيت المقدس؛ عطية، الحروب الصليبية، ص33-34.

(5) ماير، هانز ابيرهاد، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة للإنجليزية: جلينجهام، تعريب: محمد فتحي الشاعر (القاهرة، 1999 م) ج1، ص 25.

عن نهاية حياةٍ صالحةٍ وسعيدةٍ وتكفيرٍ عن الذنوب، وهذا ما عبّر عنه الراهب الروسي دانيال فيما بعد في رحلته لبيت المقدس (499ه- 1106م/ 500ه-1107م) إذ قال: ((**أنا الراهب دانيال ... الحاج المضطر بسبب كثرة المعاصي وقلة الأعمال الصالحة، سيطرت عليَ الأفكار، ثم الحنين المتعطش لرؤية مدينة القدس وأرض الميعاد**))[1]

وتطورت حركة الحج إلى بيت المقدس من حركةٍ فرديةٍ إلى حركةٍ جماعيةٍ، (الحج بالجملة)[2] مدفوعةً بالشوق إلى زيارة الأرض التي عاش عليها السيد المسيح، ومما يؤكد أهمية الحج بوصفه عاملًا مهمًا للحركة الصليبية، والمصادر اللاتينية تصف الجنود بأنَّهم حجاج بيت المقدس، ويؤكد رادولف جلبيرت أحد رهبان دير كلوني في فرنسا أهمية الحج إلى بيت المقدس إذ يقول: ((**بدأت أعدادًا لا تحصى تتجه إلى ضريح سيدنا المخلص في القدس قادمين من شتى أنحاء المعمورة ... وكان كثيرون يتمنون أنْ يلاقوا الموت هناك بدلًا من العودة إلى الوطن**)) [3]،وفيها يخرج مئاتٌ من الحجاج تحت رئاسة رجال الدين (أساقفة) من أوروبا إلى بيت المقدس في صورة مظاهرةٍ دينيةٍ، هذه الصورة لم تغب عن مؤرخ الحملة الصليبية الأولى (فوشيه الشارتري) الذي وصف المشاركين في الحملة الصليبية الأولى بالحجاج، ويسمي قاداتهم بـ(قادة الحجاج)[4].

والحقيقة أنَّ هناك دافعًا آخر لزيادة حركة الحج في بداية القرن الحادي عشر

(1) (ت بعد 512ه/ 1118م) وصف الأرض المقدسة في فلسطين (1106-1107م) ترجمة: سعيد عبدالله البيشاوي، وداود إسماعيل أبو هدية، دار الشروق (القاهرة، 2003م) ص39.

(2) عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 1975م) ج1، ص24.

(3) نقلًا عن: قاسم، قاسم عبده، الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق، عين للدراسات والبحوث (القاهرة، 2001م) ص41.

(4) تاريخ الحملة، ص40.

للميلاد، إذ انتشرت العديد من الرؤى التي تتحدث عـن نهايـة العـالم مـع العـام (1000م/ 391ه) وأنَّ نهاية الدينونة باتت وشيكةً، معتمدين في ذلك على روايات الإنجيـل المحرفـة، وهو ما عبّر عنه أحد الحجاج حينما قال: ((**نرى بشكلٍ أوضح من ضـوء النهـار أنَّ الحـب قد تلاشى وصار جامدًا مثل الشمع على مدى الأيام، كما استشرى القلق بـين النـاس، وهـو نذيرٌ باقتراب القيامة، وبأنَّ زمن الهـلاك وشـيكٌ يهـدد أرواح الـبشر، ولأنَّ آبـاء الكنيسـة القدامى قد حذرونا مرارًا وتكرارًا على حين كان الطمع يتفشى**)) [1].

ولم يكن بيت المقدس وحده هو الذي يحتل مكانةً مميزةً في نفوس المسيحيين، بل أنَّ الشام كانت قطعةً مقدسةً على أرض الرّب، فأنطاكيا كانت لها من المكانـة مـما جعلهـا أحد أهم الكنائس في تلك الحقبة [2].

ثانيًا: دوافع الحملات الصليبية:

أ- الدوافع الدينية:

لا أحد يمكنه أنْ ينكر الظروف القاسية التي كانت تسيطر على الغـرب الأوروبي في تلك الحقبة من القرون الوسطى، فعلى شتى الأصعدة كان هناك دوافع قوية للخروج مـن أوروبا إلى أرضٍ أخرى تكون فيها حياةٌ جديدةٌ لهؤلاء الطامعين فيهـا، ولم يكـن أفضـل مـن بلاد الشام لتحقيق تلك الرغبة[3].

---

(1) ماستناك، توماس، السلام الصليبي، ترجمة بشير السـباعي، ط2، المجلـس الأعـلى للثقافـة (القـاهرة، 2009م) ص48-49؛ قاسم، الحملة الصليبية الأولى، ص43-44.

(2) رستم، أسد، كنيسة مدينة أنطاكيا العظمى، المكتبة البوليسية (بيروت، 1988م) ج1، ص192.

(3) كانتور، نورمان، التاريخ الوسيط قصة حضـارة البدايـة والنهايـة، ترجمـة: قاسـم عبـده قاسـم، عـين للدراسات والبحوث (د.م، 1999م) ج1، ص 272- 280.

أعلـن البابـا أوربـان الثـاني[1] II Urbanus في خطـابٍ بمجمـع[2] كـنسي في مدينـة كليرمونت[3] الفرنسية في (27 ذي القعدة 488ه/ 27 تشريـن الثـاني 1095م) الحـرب عـلى المسلمين، والشروع ببدء الحملات الصليبية، على مرأى ومسمع من جمعٍ غفيرٍ من الأمـراء ورجال الدين والعامة[4]، واستعمل ألفاظًا فصحى بليغـة، فالمسـلمون وثنيـون، همجيـون، اتباع الشيطان[5]، أما المسيحيون فهم ابناء اللـه، جيش المسيح، المغفـورة ذنـوبهم، وبهـذا حقّق أوربان الثاني ((**التوليف المثمر بين الحج التكفيري والحرب العادلة ضد الوثنيين**))[6].

وعلى الرغم من أهمية خطبة البابـا اوربـان الثـاني، التـي تعـدّ واحـدةً مـن أشـهر الخطب التي غيّرت مجرى التاريخ الإنساني إلا أنَّها لا توجـد لهـا وثيقـة، ولكـن عـددًا مـن المؤرخين أوردوا ما جاء بها ومن أهمهم فوشـيه الشـارتري، الـذي رافـق الحملـة الصـليبية

---

(1) **اوربان الثاني**: فرنسي الأصل، كان رجل دينٍ سياسيًّا لبقًا، وخطيبًا مفوَّهًا، وحامل لواء حركة الإصـلاح في فرنسا، تولى الكـرسي البابويـة عـام (480هــ- 492ه/ 1088 1099م) وهـو الـذي أطلـق جـماح الحركة الصليبية؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص87.

(2) **المجاميع عند النصارى الصليبيين**: هيئات شـورية في الكنيسـة، تبحـث في الأمـور المتعلقـة بالديانـة النصرانية وأحـوال الكنائس، وهي نوعان: مجامع محلية تبحث في الـشؤون المحليــة للكنــائس التـي تنعقـد فيهـا، ومجـاميع عالميـة، تبحـث فـي العقيـدة النـصرانية ومواجهــة الخطـر الـذي يتصدى لها؛ المحقق، سعود بن عبد العزيز، دراسات في الأديان اليهوديـة والنصرانيـة، ط4، مكتبـة أضواء السلف (الرياض، 2004) ص242.

(3) **كليرمونت:** إحدى المدن الفرنسية الواقعة في جنوب فرنسا؛ الصوري، تـاريخ الحـروب الصـليبية،ج1، ص186.

(4) الشارتري، تاريخ الحملة، ص31

(5) ماستناك، السلام الصليبي، ص145-148.

(6) بالار، ميشيل، الحملات اللاتينيـة والشرق اللاتينـي مـن القـرن الحـادي عشر الى القـرن الرابـع عشر ترجمة: بشـير السـباعي، عـين للدراسـات والبحـوث (القـاهرة، 2003م) ص11-12؛ عبـد الـرحيم، وسائل الدعاية، ص 169.

الأولى، وقد أكد أنَّ البابا حاول استثارة الحاضرين على أنَّ بيت المقدس هـو مـيراث السـيد المسيح الذي يجب أنْ يأخذوه، وأنَّهم وزراؤه الذين يجب أنْ يخلصوا الناس مـن اضـطهاد المسلمين هناك[1].

ولم يكتفِ أوربان الثاني بهذا، بل أكّـد لهـم عـلى المزايـا الدنيويـة والآخرويـة التـي يتمتع بها مَنْ يحمل سيفه ويقاتل في سبيل الأرض المقدسة، فمنحه أوربـان غفرانـًا جزئيًـا ((**إنّني أخاطب الحاضرين... سوف يتم غفـران ذنـوب أولئـك الـذاهبين إلى هنـاك إذا مـا انتهت حياتهم بأغلالها الدنيوية سواء اثناء مسيرتهم على الأرض أو عند عبورهم البحر أو في خضم قتالهم ضد الوثنيين، هذا الغفران أمنحه لكلّ مَنْ يذهب بمقتضى السلطان الذي أعطاني الرّب إياها**))[2].

أما دنيويًا فيكفي أنْ يُسمع من البابا عن خـيرات أرض اللـبن والعسـل، وعـلى إثـر ذلك ردّد الجمـوع الغفـيرة Deus lo volt (الـرّب يُريـدها)[3]، ويصـف فوشـيه أثـر هـذا الغفران في نفوس الناس ((**مـا أنْ سـمعوا بغفـران الـذنوب إلا وأقسـموا عـلى أنْ يـذهبوا بأرواحٍ طاهرةٍ، سواء أمروا بالذهاب أم لا**))[4].

وادّعى اوربان للجموع أنَّ بعض الحجاج اللاتين الوافدين إلى القدس يزعمون بعد عودتهم إلى ديـارهم بـأنهم يتعرضـون الى المضـايقات ويلاقـون ألوانـًا مـن الـذل والمهانـة

---

(1) تاريخ الحملة، ص36-37.

(2) الشارتري، تاريخ الحملة، ص35؛ قاسم، الحملة الصليبية، ص109.

(3) ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص20؛

O'Neal، J Michael، The Crusades covers everything from the First Crusade (1095-99) through the Ninth Crusade (1271-72)، UXL (2004)،p.91.

(4) فوشيه الشـارتري، تـاريخ الحملـة، ص37؛ مونرونـد، مكسـيموس، مـن تـاريخ الحـروب المقدسـة في المشرق المـدعوة حـرب الصـليب، ترجمـة: مكسـيموس مظلـوم، ديـر الرهبـان الفرنسيسـكانيين (أورشليم، 1965م) ص7.

زمن الفاطميين[1] إلا أنَّه يبدو أنَّهم كـانوا يشـعرون بـالحسرة لوجـود الأمـاكن المقدسـة في أيدي المسلمين، وحتى البابا اوربان الثاني كان يبالغ في تصـوير الشـدائد التـي يتعـرض لهـا سكان بيت المقدس[2]، وأكد أنَّـه رأى في منامـه سـكانها مكبلـين بالحديـد، وأنَّ قـبر السـيد المسيح محتقرًا مهانًا، وزواره يتكبدون الذّل في سبيل الوصول إليه[3]، وذكر ما أثار سـخطه على المسلمين ألا وهو سوء المعاملة التي يتلقاها الحجاج المسيحيون في رحلـتهم إلى الحـج ((**لقد انتزعـوا شـيئًا فشـيئًا مـن أراضي المسـيحيين ... وقتلـوا وأسروا الكثـيرين، وهـدموا الكنائس ودمروا مملكة اللـه**))[4]، وهذا الكلام فيه مبالغة؛ لأنَّ السياسة الفاطمية كانـت تذهب إلى أبعد حدّ من سياسـة التسـامح مـع اليهـود والنصـارى، وفي بعـض الروايـات أنَّ الخلفاء الفاطميين كانوا لا يمنعون إقامة الكنائس والأديرة، بل ربما تولوا إقامتهـا بأنفسـهم أحيانًا[5].

---

(1) رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، دار الثقافـة (بيـروت، 1967م) ج1، ص169- 170؛ قاسم، ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة (الكويت، 1990م) ص25-26.

(2) براور، عالم الصليبيين، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ومحمد خليفة حسن (القاهرة، 1999م) ص34.

(3) الحريري، سيد علي، الأخبار السنية في الحروب الصليبية، المطبعة العمومية (القاهرة، 1899م) ص6.

(4) الشارتري، تاريخ الحملة، ص26.

(5) هناك ادعاء من بعض المستشرقين أنَّ حكام الدولة الفاطمية ومـنهم الحـاكم بـأمر اللـــه قـد أسـاء التعامل مع النصارى واضطهدهم وهدم كنائسهم، وبالبحـث الـدقيق وجـد الباحـث أنَّ المصـادر والمراجع العربية ذكرت العصر الفاطمي إنَّه كان يمثل العصر الذهبي لأهل الذمة، فهـم يتمتعـون بالأمن والاستقرار فضلاً عـن تـوليهم المناصـب المهمـة في الدولـة، فكـان مـنهم الـوزراء والكتـاب، وعمال الخراج، وهناك مَنْ يذكر أنَّ الحاكم بأمر اللـه شدّد الأحكام على أهل الذمـة وأمـر بهـدم كنيسة القيامة في بيت المقدس غضبًا من خدعة وبدعة كان الكهنة يمارسـونها، وهـي نـزول النـار المقدسة في الكنيسة، إلا أنَّه أعاد ترميمها وزاد معهم تسامحاً؛ الانطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت 458هـ/ 1066م) صلة تاريخ أوتيخاء، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس بـرس (لبنـان، 1990م) ص 251- 252؛ المقريزي، المـواعظ والاعتبـار، ج2، ص212؛ ماجـد، عبـد المـنعم، الحـاكم بأمر اللـه المفترى عليه، ط2، مكتبة الانجلو (القاهرة، 1982م) ص102- 104.

وعلى الرغم من الدور الذي أدّاه رجال الدين في الحشد للحملة، إلا أنَّهم لم يكونوا من المدعوين للمشاركة فيها، وقد أكد البابا اوربان الثاني أنَّ الدعوة للحروب الصليبية عامة إذ قال: ((**لا تدعوا حائلًا يعيق من يريد الذهاب، دعهم يرتبون أمورهم، ويجمعون أموالهم، وعندما ينتهي فصل الشتاء ويحل الربيع، دعهم يبدأوا بحماس هذه الرحلة في رعاية اللـه**))[1].

وبعد الاستجابة لدعوة البابا تراجع وذكر أنَّ الدعوة لا تشمل كلّ رجال الدين فمنعهم من الاشتراك في الحملة الصليبية، وحينما علم أنَّ بعض رهبان دير فالومبروسا الواقع في شرق إيطاليا قد قرروا الذهاب في الحملة الصليبية، أرسل إليهم مؤكدًا على رفضه المطلق لهذا الأمر فقال: ((**لقد سمعنا أنَّ بعضكم يريد الانطلاق مع الفرسان الذاهبين إلى القدس لتحرير المسيحية، وهذا نوعٌ من التضحية الحقّة، ولكن خطتنا جاءت مختلفة... لأنّنا كنا نستفز الفرسان للذهاب في هذه الحملة ... ونحن لا نريد لأولئك الذين هجروا العالم ونذروا أنفسهم للحرب الروحية أنْ يحملوا السلاح أو يذهبوا في هذه الرحلة، كما أنّنا نمنع المتدينين – من القساوسة والرهبان- من أنْ ينطلقوا في هذه الصحبة دون أذنٍ من أساقفتهم أو مقدمي أديرتهم وفقًا لحكم قوانين الكنسية المقدسة**))[2]، ويتضح من هذا النص أنَّ البابا لم يكن يرغب بخسارة رجال الدين في حربٍ لا يُعرف مصيرها، وبذلك قد لا يجد مَنْ

(1) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص37.

(2) August، Cree، The First Crusade: Accounts of Eyewitnesses and Participants (Princeton، 1921) p. 28-30.

يتبعه ويؤيده في بلاده، الأمر الثاني أنّه حرص على أنَّ مَنْ يريد الذهاب فيجب عليه أخذ موافقةٍ ممّن هم أعلى منه مرتبةً دينيةً؛ للحفاظ على صبغة الحملة دينيًا.

ب- الدوافع السياسية:

كان لدى البابوية ورجال الدين تحديدًا أسبابًا أخرى تجعلها تبارك وتقود الدعوة لحملةٍ صليبيةٍ باسم الرّب، لاستعادة الأرض المقدسة، فالبابوية التي دخلت في صراعٍ كبيرٍ مع عددٍ من القوى الحاكمة (الملوك العلمانيين) بعدما نازعت الأمراء والملوك سلطانهم الزمني في غرب أوروبا لاستعادة هيبتها المفقودة[1]، ولاسيما بعد انتصار السلاجقة على البيزنطيين في معركة ملاذ كرد عام (463 هـ / 1071م) سيطر فيها السلاجقة على معظم أراضي آسيا الصغرى[2] ومن ذلك أنَّ البابا حرص على تدعيم سلطته على الأمراء والملوك الموالين له، كما فعل مع الامبراطور الروماني هنري الرابع (488-499هـ/1095-1105م) حينما بارك تعيينه امبراطورًا لروما، وأكّد البابا حينها على حقّه في استعمال الشارات الإمبراطورية وحده، وضرورة تقبيل الأمراء والملوك لقدمي البابا، وأنَّه قد يسمح بعزل الأباطرة، وأنَّه لا يخضع للمحاكمة، وبذلك تصبح سلطة البابا فوق سلوك الملوك والأباطرة[3]، وعلى إثر ذلك بدأ الصراع بين البابا جيجوري السابع والإمبراطور هنري الرابع سنة(466ه/ 1074م)؛ لأنَّ البابا بدأ يحدد (المشروع الشرقي) وكان يدعو إلى الاستجابة لنداء المسيحيين الشرقيين لمواجهة

---

(1) Murray، A.v، From Clermont to Jerusalem: the Crusades and Crusader societies، 1095-1500: selected proceedings of the International Medieval Congress،(University of Leeds، 1995) p.33.

(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص299- 305؛ باركر، الحروب الصليبية، ص22.

(3) زابوروف، ميخائيل، الصليبيون في الشرق، ترجمة: الياس شاهين، دار التقدم (موسكو، د. ت) ص328- 330؛ باركر، الحروب الصليبية، ص 85.

الغزو السلجوقي، ولم يجد أذنًا صاغيةً، إذ أصدر البابا قرار الحرمان الكنيسي ضده، ولم يقبل بعودته مرةً أخرى إلا بعد إذلاله فيما عرف بـــ (إذلال كانوسا)[1].

وفي السنة التالية ((**جاء في نهاية الأمر ومعه عددٌ من رفاقه إلى قلعة كانوسا التي كنا نقيم فيها، وهناك وعلى مدى ثلاثة أيامٍ متواليةٍ، كان واقفًا أمام بوابة القلعة وقد خلع كلّ شارات الملك، حافي القدمين، مرتديًا كسوةً خشنةً، وأراق دموعًا كثيرةً وهو يبكي طالبًا المساعدة الرسولية والراحة**))[2]، وهذا يؤكد أنّ البابوية وصلت لمرحلةٍ من القوة أنْ تنازع أقوى الملوك وتجبره على الخضوع المهين.

ومما يؤكد رغبة البابوية في السيطرة على تلك الحركة هو تعيينه لمندوبٍ عنه فيها، وعلى الجميع الالتزام برأيه ((**نعيّن نائبًا عنا قائدًا لهذه الحملة وهذا العمل، وهو ابننا العزيز أدېمار دي مونتي Le Puy Addemar de Monteil أسقف لوبوي، ويترتب على ذلك أنَّ كلّ مَنْ يقرّر أنْ يذهب إلى الحملة في هذه الرحلة يجب أنْ يطيع أوامره كما لو كانت صادرةً منا، ويجب أنْ يخضع لسلطانه تمامًا في الحلّ والعقد في أية قرارات به ومتصلة بعمله**))[3]، لقد أراد البابا بهذا أنْ يُخضع الحملة وقادتها لسلطانه فيكون هو المحرك الرئيس للحملة الصليبية.

وإضافة إلى تلك المكانة السياسية، فقد كانت البابوية تحكم أراضي، وتمتلك إقطاعيات، أهداها إليها عددٌ من الأمراء، والملوك، وكبار الملاّك، فكانت الحملة الصليبية بمثابة طوق النجاة لها؛ لأجل امتداد رعايتها وسيطرتها على أرضٍ جديدةٍ،

---

(1) **اذلال كانوسا**: أي: السير إلى قلعة كانوسا الواقعة شمال إيطاليا وهو مصطلحٌ وتعبيرٌ يصف القيام بالتكفير عن الذنب؛

August، The First Crusade، p.59.

(2) ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، القاهرة، ص8.

(3) قاسم، الحملة الصليبية الأولى، ص90؛

Murray، From Clermont to Jerusalem، p.46.

وامتلاك نفوذٍ كبيرٍ على رعاياها، فضلًا عن استعادة الأراضي المقدسة التي تمكنها من جعل كنيسة بيت المقدس تابعةً لها[1].

وهناك سبب سياسي آخر دفع البابوية إلى هذه الحملة وهو استغاثة الإمبراطور أليكسوس كومنين[2] بالبابا أوربان الثاني، الذي أرسل إليه مستغيثًا به من هجوم الأتراك السلاجقة المستمر على أراضيه، ولأجل ذلك تم عقد مؤتمر في إيطاليا الذي طالب فيه الوفد البيزنطي من الغرب التدخل لإنقاذ القسطنطينية، ويبدو أنَّ البابوية ارادت من هذا أن تحقق تواجدًا سياسيًا أكبر في الغرب، بوصفها منقذ الشرق النصراني، وربّما لاحت في أفق البابا رغبةً بعيدة المنال في تلك المدّة من استعادة وتوحيد الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية مع الكنيسة الغربية الكاثوليكية [3].

ج- الدوافع الاجتماعية:

كان الوضع الاجتماعي داخل أوروبا سيئًا جدًا؛ بسبب سيادة النظام الإقطاعي[4]، في تلك الحقبة، والذي فرض على أوروبا أنْ يَحوز الابن الأكبر لوالده كلّ

(1) كروسيه، رينيه، الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ترجمة: احمد ايبش، دار قتيبة للطباعة والنشر (دمشق، 2003م)، ص 59.

(2) **أليكسوس**: هو أول أباطرة أسرة كومنين، تولى عرش القسطنطينية (474-512هـ/ 1081-1118م) وأول الأباطرة البيزنطيين المعاصرين للحروب الصليبية، أدّى دورًا مهمًا في تحقيق الحملة الصليبية الأولى وإطلاق الحركة الصليبية، وأرسل رسالةً إلى البابا أوربان الثاني، لطلب المساعدة ضد السلاجقة الأتراك؛

Jones، Sydney، The Crusades Biographies، (USA، 2005) Pp.6-8.

(3) مونوند، من تاريخ الحروب المقدسة، ص7؛ الحريري، الاخبار السنية، ص4-5.

(4) **نظام الاقطاع**: هو نظام سياسي اجتماعي واقتصادي وحربي، تتفرد فيه مجموعة بملكية الأرض، وقائم على حيازة الأرض، وتنظيم العلاقة بين السيد الإقطاعي والتابع؛ كوبلاند، وفينوجرادوف، الإقطاع والعصور الوسطى في غرب أوربا، ترجمة: محمد مصطفى زيادة (القاهرة، 1985م) ص9-15.

الأراضي التي يملكها الوالد، في حين يتمتع بقية الأبناء باللقب دونما الاسم وليس لهم من تركة أبيهم شيء[1]، مما خلق طبقة فقيرة فقرًا مدقعًا تبحث عن خلاص، ومن الجدير بالذكر أنَّ الكثير من الأمراء الذين حملوا اللقب، لم يكن لهم أيّ أرض يملكونها؛ لذا فإنَّ خروجهم إلى أرضٍ جديدةٍ كان بالنسبة إليهم فرصة يحصلون فيها على أرضٍ يحكمونها فيكون اللقب لصيقًا بهم، مع وجود إقطاعيات يحكمونها[2].

أما الفرسان فكان لديهم من الدوافع ما يجعلهم يحملون سيوفهم ويخرجون بها إلى أرضٍ جديدةٍ بحثًا عن أرضٍ يحققون فيها طموحاتهم بالسيادة، فقد كان الفرسان محاصرين بين المَلَكيّة التي لا يمكنهم محاربتها، والبابوية التي رفضت تمامًا أيّ محاولاتٍ جديدةٍ لإراقة الدماء؛ لأجل توسيع هؤلاء الفرسان العلمانيين لنفوذهم السيادي فيما عرف بـ(هدنة الرب أو الإله)[3]، هذه الهدنة جمدت الوضع السياسي في الغرب الأوروبي ولم يعد بإمكان الفرسان تحقيق أيّ طموحاتٍ سياسيةٍ لهم، ولاسيما أنَّ حياتهم كانت بسيطةً ولا تختلف كثيرًا عن حياة الطبقة العامة، وخلاصهم الوحيد هو المشاركة في الحرب[4].

أما أكثر الطبقات فقرًا وأكثرها إلحاحًا للخروج، فهي تلك الطبقة التي لم تنتظر اكتمال الحملة الصليبية الأولى، وانطلقت في حملةٍ شعبيةٍ قادها والتر المفلس وبطرس

---

(1) Creber، A، Women at Canossa، p.59.

(2) قاسم، الحملة الصليبية الاولى، ص43-44.

(3) **هدنة الرب**: تعدّ امتدادًا لسلام الرب، جاءت للحدّ من العنف، فالكنيسة هي التي تقررها وتفرض العقوبات على مَنْ يخالفها؛ لذا حتمت الكنيسة على المسيحي أنْ يعدّ بعض الأيام والأزمنة مقدسة، لا يمكن فيها القيام بأيّ عملٍ من أعمال العنف؛ باركر، الحروب الصليبية، ص12.

(4) ويست، انتوني، الحروب الصليبية، ترجمة: شكري محمود نديم، مؤسسة فرانكلن للطباعة والنشر (بغداد، 1967م) ص 22-23.

الناسك[1]، هربًا من الواقع الاجتماعي الذي جعل القن وكلّ ما يملك ملكًا لسيده الإقطاعي، فلا يجوز له أنْ يهرب من إقطاعية سيده للعمل لدى سيد إقطاعي آخر، بل إنَّه محرومٌ من أبسط حقوقه فحتى في زواجه فإنَّ لسيده حقّ الليلة الأولى، ولم يكن هناك فلاحٌ حرٌّ بالمعنى المعروف للكلمة، إذ كان أكثر الفلاحين في طريقهم للتحول من الحرية إلى العبودية[2].

ولم تكن الكنيسة لتقف أمام هذا التحول نحو القنية ولاسيما أنّها تملك الكثير من الإقطاعيات بأقنانها، هؤلاء الأقنان وما شايعهم في الطبقة العامة لم يجدوا مفرًا للهروب من هذا الواقع إلا بالخروج في الحملة التي نادى بها البابا واعدًا إياهم بعفوٍ جزئيّ عن ذنوبهم، وبحياةٍ جديدةٍ في أرض اللبن والعسل[3].

وعلى الرغم من ذلك الأمل الذي كان يحدوهم إلا أنَّ البابوية رفضت هذا التوجه وأكد البابا أنَّ هؤلاء العامة ليسوا هم المستهدفين من كلمته في كليرمونت، فالفرسان فقط هم من يمكنهم أنْ يحققوا الأهداف العليا للبابوية، وهو ما أكد خطاب البابا من أنَّ العامة ((**أشخاصٌ غير مناسبين، فهم لا يستطيعون كبح**

(1) يبدو أنَّ فكرة التحاق بطرس بالحملة الأولى لم تكن مجرد حماسةٍ دينيةٍ أثارتها خطبة البابا، بل أدّى بطرس دورًا في الأمر، فقد كان بطرس رجلًا فقيرًا من مدينة بيكارديه شمال فرنسا، وقد انقطع للعبادة والرهبنة، وقرر زيارة بيت المقدس، ولما وصل إليها ووجدها تحت سيطرة المسلمين حزن على ذلك كثيرًا، وبدأ يبحث مع بطريرك بيت المقدس سمعان وقيل معهم ولتر المفلس عن كيفية استعادة بيت المقدس، فعاد إلى أوروبا والتقى بالبابا أوربان الثاني وطلب منه المساعدة في هذا الأمر؛

Group of historians، Itinerario di la Gran Militia، la Pavese، Historiens Occidentaux (Paris، 1895) P.662.

(2) براور، عالم الصليبيين، ص104.

(3) عاشور، الحركة الصليبية، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 1975م) ج1، ص38-39.

وحشية المسلمين، ويعيدون للمسحيين حريتهم))[1]، من الواضح أن هؤلاء المحرومين يفكرون في إيجاد حياة جديدة في الشرق التي يسودها الامان والسلام، فكانت هذه البدايات للاستيطان.

د- الدوافع الاقتصادية:

ترتبط الدوافع الاقتصادية ارتباطًا مباشرًا بالأوضاع الاجتماعية، فعامة الناس من الفقراء والفلاحين يعيشون في ظروفٍ قاسيةٍ، فحدوث الفيضانات وغرق الحقول وانهيار قنوات الري في المناطق الزراعية[2]، دفع بالفلاحين الى ترك أراضيهم والهجرة إلى المدن، مما أدى ذلك إلى نقصٍ حادّ في الإنتاج الزراعي، حتى تفشى الجوع، والمرض، والبطالة، وظهور اللصوص، وقطاع الطرق، وانعدام الأمن والاستقرار، فبحثوا عن وسيلةٍ للخروج من هذا المأزق، لذا بدأوا يُلبون نداء البابوية والهروب إلى أيّ مكانٍ فلن يكون أسوء من الموت جوعًا[3].

وكذلك كانت حاجة أوروبا إلى الاقتصاد الشامي، فقد عانى الغرب الأوروبي من اقتصادٍ متدهورٍ وحياةٍ صعبةٍ، وكان بحاجةٍ ملحةٍ للحصول على خيرات أراضي بلاد الشام التي لم تغب عن البابا أوربان الثاني إذ قال في خطبته: ((**خلصوا الأراضي المقدسة من أيادي المختلسين، أنتم أملكوها لذواتكم فهذه الأرض كما قالت التوراة تفيض لبنًا وعسلًا**))[4]، وهذه إشارة واضحة لأولى ملامح التغيير الديموغرافي.

وبالمقابل كان لسواحل وموانئ بلاد الشام على البحر الأبيض المتوسط أهميةً

---

(1) بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ص50؛ قاسم، الحملة الصليبية الأولى، ص67- 68.

(2) الزيدي، الصليبيون في بلاد الشام مملكة بيت المقدس نموذجًا، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) إلى مجلس كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الموصل (العراق، 2005م) ص 16.

(3) Norman، Cohn، The Appeal of the Crusades، WGBH educational foundation (London، 1995) p. 37.

(4) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية،ج1، ص 161.

كبيرةً، جعلت من أنظار الأثرياء والتجار تتجه نحوه، ولاسيما تجار المدن الإيطالية (البندقية، وبيزا، وجنوا) لذا حرص هؤلاء التجار على المشاركة والدعم للحملات الصليبية؛ لأنّهم سيتمكنون من منافسيهم المسلمين الوحيدين، وفتح سوقٍ جديدٍ لتصريف بضائعهم، لذا عند بدء الحملات الصليبية كان شعارهم((**لنكن أولاً بنادقة، ثم لنكن بعد ذلك مسيحيين**))[1]، وهذا بعيد كل البعد عن الصفة الدينية المزعومة للحملات الصليبية.

ثالثًا: مراحل الاستيطان في بلاد الشام من خلال الحملات الصليبية:

يتفق المؤرخون على أنَّ الاستعداد للحروب الصليبية بدأت مباشرةً بعد انتهاء خطبة البابا أوربان الثاني من مجمع كليرمونت، فكان من الضروري استعراض الحملات الصليبية؛ لأنّ كل حملة هي تمثل مرحلة من مراحل الاستيطان والتغيير السكاني في بلاد الشام، وكان عدد الحملات الصليبية التي غزت ديار المسلمين ثمان حملاتٍ، والبعض يراها تسع، ويراها الباحث قائمة إلى يومنا هذا[2].

أ- الحملة الصليبية الأولى (489ه/ 1096م):

حدّد البابا أوربان الثاني موعد انطلاق الحملة في (18 شعبان 489ه/15 آب 1096) وعيّن أديمار أو أدهمار أحد أساقفة فرنسا نائبًا له[3]، وطوال ثمانية أشهر تالية ظلّ البابا يدعو للحملة ويرسل مندوبيه ليجوبوا البقاع مؤكدين على ضرورة خروج

---

(1) توفيق، فواز نصرت؛ دور المدن التجارية الإيطالية في الحروب الصليبية (جنوة، البيزا، البندقية) مجلة جامعة تكريت للعوم الانسانية، المجلد 16، العدد10 (تكريت، 2009م) ص159 - ص161.

(2) باركر، الحروب الصليبية، ص11؛ قاسم، نصوص ووثائق، ص 79؛ وقد قالها جورش بوش وهو يعلن الحرب على العراق في سنة 2003م: (لتكن حربًا صليبية).

(3) براور، عالم الصليبيين، ص41.

الحملة[1]، وانقسمت هذه الحملة على قسمين، بدأ الأمراء الاستعداد لها بتنظيم شؤون إماراتهم الداخلية، غير أنَّ الشعور الديني الذي هيأه البابا في العامة كان أقوى وأسرع من الأمراء؛ فهم لم يكن لديهم ما يخسرونه، فخرجوا إثر دعوة بطرس الناسك في حملةٍ عرفت **بالحملة الشعبية او العامة**[2]، قاد هذه الحملة بطرس الناسك، وصار معه عددٌ من الفقراء والأقنان والقليل من الفرسان بلغ عددهم عند المؤرخين بين خمسة وعشرين ومئة ألفٍ مقاتلٍ[3]، وذكرت (كومينيا) اللاتينية بأنَّهم كانوا ((**متأثرين بفصاحته، وهيئته، وقدماه العارية، وحماره الأعرج شديد الشبه به**))[4]، وسارت هذه الجموع الجائعة نحو بلاد الشام[5]، غير أنَّها لم تستطع أنْ تتمالك نفسها فارتكبت مذبحةً في مدينة سلمين (بلغاريا) ونيش (المجر) على الحدود البيزنطية، وقتلوا أربعة آلاف منهم[6]، بعدها لم يتمكن الصليبيون من الحصول على المؤن اللازمة لهم؛ وذلك ما أقلق بيزنطة ولاسيما بعدما قتلهم وسلبهم ونهبهم وهم في طريقهم إلى بيزنطة، فأصدر الإمبراطور أوامره ألا يبقى الصليبيون في أيِّ مدينةٍ بيزنطيةٍ لأكثر من ثلاثة أيام[7].

---

(1) ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص21.

(2) الموعد، هاني صالح، الساحل الشامي من الحملة الصليبية الأولى حتى نهاية الدولة النورية إداريًا وسياسيًا (492-569هـ / 1098-1173م) أطروحة دكتوراه (غير منشورة) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة دمشق (سوريا، 2018م) ص28.

(3) براور، عالم الصليبيين، ص41.

(4) أنّا(ت بعد 548ه/ 1142م) ألكسياد، ترجمة: حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، 2004) ص 390.

(5) ينظر ملحق رقم (2) خارطة سير جموع الحملة الأولى والثانية.

(6) خلف، شعبان محمد، بلغاريا والحروب والصليبية، دار الآفاق العربية (القاهرة،2011) ص136.

(7)شنيتر، حاتم فزع، واقع المسلمين في بلاد الشام أثناء الغزو الصليبي، الجامعة العراقية، مجلة كلية الآداب (العراق، 2005) ص1316.

وقد عبرت بعد ذلك جموع العامة إلى أراضي آسيا الصغرى بالقرب من نيقيه[1] عاصمة السلاجقة، واستولوا على المدن والقرى المجاورة، ثم أبادوا أهلها حتى أصبحوا على أسوار القدس، وهنا تحطمت أحلامهم بالوصول إلى بيت المقدس حتى سحقتهم قوات السلاجقة في(2ذي القعدة 489ه/ 21 تشرين الثاني 1096م) وقتل فيها والتر المفلس أحد قادة الحملة بعدما أصيب بسبعة جروح[2] ((**وفرّ بطرس الناسك ناجيًا بحياته، ولم يبق للحملة من رجاءٍ بعد ذلك**))[3] وقُتل منهم أكثر من ثلاثين ألف وقيل: ستون ألف صليبي[4]، وفرّ منهم ثلاثة آلاف صليبي استنجدوا بالدولة البيزنطية إلا انها أغلقت الابواب امامهم؛ بسبب جرائمهم التي ارتكبوها بحق المناطق المسيحية، حتى ذهب بطرس الناسك الى بيزنطة معارضًا، فعبروهم بالسفن البيزنطية إلى القسطنطينية[5].

أما القسم الثاني فهي **حملة الأمراء** فقد تحركت في أواخر سنة (489ه/ 1096م) بعد فشل الحملة الشعبية، وتكونت من أربعة جيوشٍ؛ الأول يقوده جودفري البويوني[6] Godfrey de Bouillon ومعه أخوه بلدوين، وهو جيشٌ غالبيته من اللورين

---

(1) **نيقية**: بكسر أوله، مدينة محصنة من أعمال إسطنبول القسطنطينية على البر، تحيطها الجبال؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص266.

(2) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص113.

(3) الشارتري، تاريخ الحملة، ص41؛ مونوند، من تاريخ الحروب المقدسة، ص28.

(4) Kostick، Conor، The Social Structure of the First Crusade the Medieval Mediterranean، Brill (Netherlands، 2008) p، 109.

(5) كومنينا، الكسياد، ص384

(6) **جودفري**: ولد في بولوني في فرنسا، وهو الابن الثاني لأبيه، حظي جودفري بفرصٍ أقل إذ ورث الابن الأكبر كلّ شيءٍ، فقاتل مع هنري الرابع للسيطرة على حكم فرنسا، ثم أصبح جودفري دوق لورين السفلى عام (473ه/ 1081م)؛

Jones، Le biografie delle crociate،pp.103-104.

جنوب فرنسا[1] وقاد الجيش الثاني القادم من غرب فرنسا وبعض المناطق الشمالية ومجموعة من الفرسان روبرت[2] دوق مدينة نورمانديا Robert of Normandy الواقعة شمال غرب فرنسا، أما الجيش الثالث فقاده ريموند[3] السنجيلي أو الصنجيلي كونت مدينة تولوزRaymond IV of Toulouse الواقعة جنوب غرب فرنسا عرفها العرب باسم طولوشة أو طلّوشة[4] والجيش الرابع يقوده هيو العظيم[5] كونت مدينة فرماندوا Hugh of Vermandois الواقعة شمال فرنسا، وهو شقيق الملك الفرنسي فيليب الأول' أما الخامس والأخير فهو جيش يقوده بوهيموند[6] النورماندي أمير مدينة تورانتو الايطالية، وجيشه اكثر الجيوش الصليبية عددًا وتنظيمًا اذ بلغ تعداد جيشه

(1) كومنينا، ألكسياد، ص397.

(2) **روبرت**: هو دوق نورمانديا الواقعة شمال غرب فرنسا، وابن وليم الفاتح ملك فرنسا، خرج مشاركًا في الحروب الصليبية بعد الصراع السياسي مع عائلته؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص 42-43.

(3) **ريموند**: كونت مدينة تولوز، أطلقت عليه المصادر العربية ريمون الصنجيلي، شارك في الحروب الصليبية وكان في الخمسينات من عمره، وكان أكبر القادة الصليبيين سنًا، وقد أمضى بقية حياته في الشرق حيث مات سنة (498 ه/ 1105 م) في طرابلس؛ الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص217؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص478.

(4) الادريسي، محمد بن محمد بن عبد الله الحسني الطالبي (ت 560ه/ 1164م) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب (بيروت، 1998م) ج2، ص 359.

(5) **هيو:** هو أحد النبلاء الفرنسيين الذي توج أميرًا على مقاطعة اورليانا الفرنسية، ثم اتهمه ملك فرنسا لويس السادس بالتآمر عليه وحرمه من إقطاعه، فاضطر إلى الاشتراك بالحملة الصليبية الأولى وبصحبته زوجته وابنهما؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص304.

(6) **بوهيموند:** ولد في جنوب إيطاليا ورث عن أبيه أراضي كبيرة من الحدود البيزنطية، وسرعان ما فقدها فرجع إلى إيطاليا، وحينما مرّ الصليبيون انضم إليهم واشترك معهم في القتال حتى استيلائهم على أنطاكية وأصبح حاكمًا لها؛ كومينيا، الكسياد، ص387؛ الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج 1، ص 110.

ما يقارب العشرة آلاف فارسٍ وعشرين ألفًا من المشاة[1].

وانطلقت الجيوش الخمسة إلى الشام، وكان عليها أنْ تعبر أراضي الإمبراطورية البيزنطية أولًا، وكانت مخاوف الإمبراطور البيزنطي إلكيسيوس كومنين كبيرةً من جراء اجتماع تلك الجيوش على أراضيه عام (490ه/ 1097م) وفي ذلك قالت (أنّا كومينيا): ((**فساوره القلق جراء وصولهم، لعلمه بما هم عليه من اندفاع جموح وطبع فاسد التي لابدّ أنْ يسفر عنهم ما يقع منهم**))[2]، إلا أنَّه قرّر أنْ يحقّق أكبر إفادةٍ ممكنةٍ فحصل منهم جميعًا على يمين الولاء الإقطاعي عدا ريموند الصنجيلي الذي اقسم بحماية شرف الإمبراطور البيزنطي، فنصحهم الإمبراطور البيزنطي بعقد اتفاقٍ مع الفاطميين؛ لأنهم على خلافٍ مع السلاجقة[3]، فوصلت الجيوش الصليبية إلى نيقيه عاصمة السلاجقة، وكان تعدادها مئة ألفٍ من المشاة وخمسمئة ألفٍ من الخيالة، وكان جيش السلاجقة بقيادة قلج أرسلان ومعه مئة ألف مقاتلٍ[4]، ولم تستطع نيقيه عاصمة السلاجقة أنْ تصمد طويلًا أمام الصليبيين فاستسلمت لهم في معركة ضوروليوم (3 رجب 490هـ / 16 حزيران 1097م)[5] بعد حصارٍ دام سبعة أسابيع وثلاثة أيام فكانت هذه هي أول مدينةٍ ترفع عليها راية فيها الصليب، مما شجعهم على مواصلة الزحف نحو أنطاكيا، غير أنَّ بلدوين انفصل بجيشه متجهًا إلى الرها ليسيطر

---

(1) الشارتري، تاريخ الحملة، ص41؛ مونوند، من تاريخ الحروب المقدسة، ص32-33.

(2) ألكسياد، ص397.

(3) لم تكن المفاوضات بين الطرفين متيسرة فكلٌ منهما كان يخشى الطرف الآخر، فالإمبراطور يخاف من تواجد كلّ هذه الجيوش على أراضيه، والصليبيون يتهمون بيزنطة بالاستغلال وربما التعاون مع الأتراك؛ كومنينا، الكسياد، ص418-422؛ مونوند، من تاريخ الحروب المقدسة، ص37-45.

(4) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص125.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص131.

عليها ليكوّن بذلك أول إمارةٍ صليبيةٍ في الشرق[1]، ويتبيّن من ذلك أنَّ سبب انفصال بلدوين جاء لأطماع سياسية، وبالفعل حصل بلدوين على الرها دونما قتال، إذ إنَّ حاكمها الأرميني ثوروس قد طلب الحماية من بلديون ضد الأتراك، وبالفعل توجّه له بلدوين مع عددٍ قليلٍ من فرسانه وبعد خمسة عشر يومًا من دخوله المدينة اغتيل حاكمها من قبل الصليبيين ليعلن بلدوين نفسه حاكمًا على أولى الإمارات الصليبية[2].

وسارت الجيوش الصليبية الثانية بعد احتلال الرها إلى أنطاكيا ففرضوا عليها الحصار، وقد اشترك نصارى المدينة في الحصار مع الصليبيين[3]، واستطاع الصليبيون الاستيلاء على برجين من مقدمة المدينة[4] وعلى الرغم من أنَّ المدينة وقفت سدًا منيعًا أمام الصليبيين، مما أثر في نفوس الصليبيين ودفعهم نحو اليأس، ولاسيما مع استنفاذ المؤن والقوى الصليبية وتفشي المرض فيها[5]، إلّا أنّ الخيانة أدّت دورها، إذ تآمر بوهيموند مع أحد الحراس الأرمن من سكان المدينة يدعى فيروز[6]على فتح أحد أبراج المدينة فدخلها ورجاله في (رجب 491ه/ حزيران 1098م) بعد حصارٍ دام تسعة أشهر ((**وأما أنطاكية فقتل منها وأسر وسبي من الرجال والنسوان والأطفال ما لا**

(1) مجهول (ت بعد 500ه/ 1106م) اعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ترجمة: حسن حبشي، دار الفكر العربي (القاهرة، 1958م) ص44-45.

(2) فوشيه الشارتري، تاريخ الحملة، ص53؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص134.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص131؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص185.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص269.

(5) مونوند، من تاريخ الحروب المقدسة، ص91.

(6) ذكرت المصادر الاسلامية أن الذي سلم المدينة زرّاد اسمه نيروز، وقيل: برزوبه؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص319؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص317.

يدركه حصر))[1]، إلا أنَّ المقاومة الإسلامية وصلت في اليوم التالي عن طريق كربوغا[2] أتابك الموصل، وعددٌ من الجيوش الأخرى وحاصر كربوغا أنطاكيا[3]، وتسرّب الى المدينة اليأس والجوع، غير أنَّ الصليبيين استطاعوا أنْ يتدبروا حيلة البحث عن (الحربة المقدسة) في أنطاكيا، زعموا أنَّه قتل فيها السيد المسيح، والتي تنبئهم بأنهم سينتصرون على المسلمين، وبالبحث عنها قد عُثر عليها بطريقةٍ غامضةٍ ((**لقد وجدنا الحربة المقدسة التي َ طُعن بها جَنب مخّلصنا... في كنيسة المبارك بطرس أمير الرسل، وقد استمدنا الطمأنينة والقوة من هذا الاكتشاف))**[4] وهو ما أعاد الحماس للصليبيين ورفع من معنوياتهم، واستنكر (وليم الصوري) من هذه الحيلة التي اختلقها أحد رجال الدين الذين رافقوا الحملة فقال: ((... **ولعل بطرس بارثولوميو ابتكر هذه المسألة... او لعله توافرت له موهبة المتنبئ فيستطيع أنْ يخبر بوجود قطعةٍ من الحديد))**[5] وتزامن هذا مع الخلاف الذي نشأ بين كربوغا ورجاله أدى إلى انقسامهم، وبذلك خرج الصليبيون من المدينة ووحدوا صفوفهم وأنزلوا الهزيمة بالمسلمين، وبهذا الصدد علّل ابن الاثير فقال: ((**فولى المسلمون منهزمين لما**

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص220؛ في حين يرى المؤرخ اللاتيني بالدريك أسقف مدينة دول الفرنسية المتوفى سنة (524ه/ 1130م) أن الحصار دام ثمانية أشهر ويوم ثم ظلت المقاومة الإسلامية بعد احتلال المدينة ثلاثة أسابيع أخرى؛

Baldrici، episcopi Dolensis، Historia Jerosolimitana، RHCM Historiens Occidentauxm IV (France، 1866) P.84

(2) **كربوغا**: قوام الدين أبو سعيد تركماني الأصل، من مماليك السلطان السلجوقي ملكشاه بن ألب أرسلان، كان أتابك الموصل في الحملة الصليبية الأولى؛ الجميلي، رشيد، كربوقا صاحب الموصل والصليبيون؛ المجلة التاريخية العدد2 (العراق،1972م) ص 229- 232.

(3) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 351-352.

(4) الشارتري، تاريخ الحملة، ص65.

(5) تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص347.

عـاملهم كربوقـا، أولاً مـن الاسـتهانة بهـم، والإعـراض عـنهم، وثانيـاً مَـنَعهم عـن قتـل الفرنج))[1].

وبعد الانتصار في أنطاكيا توّج الأمير بوهيموند أميرًا عليها، وبـدأ الجـيش الصـليبي بالزحف نحو بيت المقدس بقيادة ريموند الصنجيلي وجودفري ومعهم ثلاثون الف صليبي بين فارسٍ ومترجلٍ، وفي طريقهم أبادوا وقتلوا عشرين الفًا من أهل معرة النعمان[2] بعد ما طلبوا منهم الأمان، فعاهدوهم وغدروا بهم، وبالتأكيد كان هذا الغدر رسالة انذار للمـدن الاسلامية الأخرى بالرحيل عن المدن، وهذا هو تهجير قسري هدفه التغيير الديموغرافي، وثم بعد ذلك استولوا على حصن الأكراد، ثـم طـرابلس، وعكـا، وقيسـارية، حتـى وصـلوا بيـت المقدس وحاصروه في (رجب 492هـ/ حزيران 1099م)[3].

واستعد حاكم بيت المقدس افتخار الدولة الفاطمي للحصار، وبدأ بإصلاح الأسوار، وتحشيد الجيش، وبعد أيامٍ قليلةٍ من الحصار بـدأ الهجـوم الصـليبي عـلى القـدس، وعـلى الرغم من نجاح المسلمين في صدّه أول الأمر، إلا أنَّ الصليبيين نجحـوا في دخـول المدينـة في (23 شـعبان 492هـ/ 15 تمـوز1099م) وبـدأ ريمونـد الصـنجيلي بملاحقـة افتخـار الدولـة الفاطمي ورجاله حتى مُنحوا الأمان، وعلى الرغم من وعود الأمان التـي نالهـا السـكان، إلا أن الصليبيين قاموا بارتكاب بمذبحة في بيت المقدس[4].

ب- الحملة الصليبية الثانية (543هـ/ 1147م):

كانت صـدمة الحملـة الأولى كبـيرةً عـلى المسـلمين وقـد أخـذ وقتًـا ليتعـافى منهـا،

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص419.

(2) **معرة النعمان**: مدينة قديمة تقع بين حلب وحماة ومن أعـمال حمـص، فيهـا عيـونٌ وآبـارٌ؛ يـاقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص154.

(3) بوس، مدينة بيت المقدس، ص34-35؛ براور، عالم الصليبيين، ص44.

(4) تاريخ الحملة، ص62؛ بوس، مدينة بيت المقدس، ص38-39.

وكردّ فعلٍ على هذا الحملة ظهرت المقاومة الإسلامية من العراق وتحديدًا من مدينة الموصل[1]، إذ استطاع عماد الدين زنكي[2] حاكم الموصل أن يشكّل جبهةً إسلاميةً لقيادة المقاومة ضد الصليبيين، وجاءت كردّ فعلٍ طبيعي للتواجد الصليبي في الشام ((**وكان هو أول مَن حمل على الفرنج**))[3]؛ لذا سعى عماد الدين زنكي إلى توحيد المسلمين في العراق والشام؛ فسيطر على حلب عام (522هـ/ 1128م) ثم حمص مما جعله متهيئًا للدخول في صراع مع الصليبيين، ولم يتأخر عماد الدين زنكي في ذلك فحاصر الرّها أربعة أسابيع حتى فُتحت في (5 جمادي الاخرة 539ه/ 28 شباط 1144م) ممّا شكّل صدمةً نفسيةً مؤلمةً للصليبيين في أوروبا؛ بسبب مكانتها الدينية عندهم، وكذلك هي أول إمارةٍ صليبيةٍ فُتحت وتكونت في بلاد الشام[4]، وبعد عامٍ من التحرير اغتيل عماد الدين زنكي، ثم خَلفه ابنه الملك الصالح نور الدين محمود على إمارة حلب، وقد عدَّ بعض المؤرخين أنَّ تحرير الرّها، بداية النهاية للصليبيين في الشرق[5].

وعلى إثر ذلك بدأت الأصوات تنادي بضرورة توجيه حملةٍ صليبيةٍ ثانيةٍ لاستعادة الرّها، فذهب وفدٌ صليبيٌّ من بلاد الشام لحثّ البابا إيجينيوس الثالث

(1) السامرائي، قاسم حسن عباس آل شامان، المُطّوّعة وإسهامهم في حروب السلطان صلاح الدين الأيوبي، مجلة دراسات بيت المقدس، المجلد 21، العدد 1 (فلسطين، 2021م) ص112.

(2) **عماد الدين زنكي**: ابو الجود بن آق سنقر بن عبدالله، قلده الخليفة العباسي المسترشد ولاية الموصل سنة (521ه/1127م) واستطاع توحيد كلمة المسلمين ضد الصليبيين، وقتله خادمه وهو راقد على فراشه ليلا ودفن في صفين سنة (541ه/1146م)؛ ابو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج1، ص181؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج2، ص327.

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص123.

(4) ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص135.

(5)O’Neal، The Crusades covers everything، P.91.

Eugenius III[1] على ذلك، فضلاً عن أنَّ قادة أوروبا في الغرب حسدوا القادة المنتصرين الصليبيين العائدين من الشرق على ما حققوه من نجاحٍ فأرادوا أنْ ينالوا بعضًا منه[2] حتى جاءت الاستجابة في الحملة الثانية التي قادها كونراد الثالث إمبراطور ألمانيا، ولويس السابع ملك فرنسا[3].

وتقدّم كونراد الثالث قبيل لويس السابع حتى وصل قرب نيقيه عاصمة السلاجقة سابقًا عام (543ه/ 1147م) فوقع الجيش الألماني في قبضة السلاجقة، حتى أمطروهم بوابلٍ من السهام ولحقت بهم الهزيمة، وجُرح كونراد الثالث[4]، ثم وصلت جيوش لويس السابع متأخرةً، ففاجأهم السلاجقة، ونشبت في هذا المكان معهم رحى معركة قاسية، فاستطاع الصليبيون فيها شقَّ طريقٍ لهم على جسر قرب انطاكيا، ومن ثمَّ متابعة طريقهم إلى أنطاكيا بعد أنْ تكبَّدوا خسائر كبيرة[5].

والتقى لويس السابع بكونراد الثالث في القدس وعقدوا اجتماعًا كان غرضه المتوقع استرجاع مدينة الرَّها، إلا أنَّ هذه الحملة غيَّرت هدفها، وتوجهت إلى دمشق، وحاصرتها محاولةً احتلالها في (534ه/ 1148م) وهنا بدأت تتضح نوايا الصليبيين الحقيقية الاستيطانية والتوسع في بلاد الشام، والتي لا تمتّ باسترجاع قبر المسيح

---

(1) **إيجينيوس الثالث**: راهب إيطاليّ عمل على إصلاح أخلاق الكهنوت (رجال الدين) تولى كرسي البابوية من عام (1145-1153م) ودعا إلى حربٍ صليبيةٍ ثانيةٍ على المسلمين؛

Hor، M، Studien zur Geschichte Papst Eugens III (1145-1153) Peter Lang Verlag، (U.K،1992) pp،34-36.

(1) Li Epstoirt، de Jerusalem et d'Antioche، RHC، Historiens Occidentaux، (Paris، 1895) P.639.

(3) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص49.

(4) ابن الأثير، الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية بالموصل، تحقيق: عبدالقادر احمد طليمات، دار الكتب الحديثة (القاهرة، 1963م) ص 91.

(5) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 433 – 436.

بصلةٍ، ولا حتى تأمين طريق الحجاج إلى القدس، ثم نازل الصليبيون دمشق في عشرة آلاف فارسٍ وستين ألف راجلٍ، فخرج المسلمون في دمشق للمصاف، فكانوا مئةً وثلاثين ألف رجلٍ، وبقيت الحرب سجالًا لمدة خمسة أيامٍ[1]، وفي هذه الأثناء كان قادة الصليبيين على خلافٍ في مَنْ سيحكم دمشق بعد غزوها مع انعدام الثقة بينهم، حتى وصلت الجيوش الإسلامية من حلب والموصل، ثم انسحب الصليبيون إلى القدس، ومنها غادر كونراد إلى ألمانيا، ولحقه الملك لويس السابع إلى فرنسا[2]((**وهكذا انتهت الحملة الصليبية الثانية على نحوٍ غير كفؤ، قوّى ووطّد المشرق الإسلامي، وأضعف المسيحيين، فسقطت وصمة عارٍ على الكنيسة الكاثوليكية، التي لم تستطع في الأوقات الصعبة أنْ تلهم قطيعها بأعمالٍ نبيلةٍ باسم المسيح**))[3].

ج- الحملة الصليبية الثالثة (585ه/ 1187):

يعدّ فشل الحملة الصليبية الثانية نقطة تحوُّلٍ في تاريخ الصراع الإسلامي الصليبي؛ لأنّها وحّدت صفوف المسلمين، وأدَّت إلى كسر شوكة وهيبة الصليبيين في بلاد الشام[4]، فأصبحت الأوضاع في بلاد الشام تنذر بخطرٍ جسيمٍ على الصليبيين، ولاسيما بعدما استطاع نور الدين محمود زنكي السيطرة على دمشق عام (548ه/ 1154م) وتوسيع رقعة حكمه، فامتدت أراضيه طول الحدود الشرقية للمدن التي

---

(1) عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص642-646.

(2) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج 2، ص 557.

(3) Mark، C، "Second Crusade" World History Encyclopedia (2018، Chicago) p. 212

(4) آل فتاح، شكيب، توجهات نور الدين محمود بعد مقتل أبيه عماد الدين زنكي مقاربة ما بين الطموح الشخصي والمحافظة على البيت الزنكي، مجلة دراسات موصلية، العدد 56، تشرين الثاني (الموصل، 2020م) ص64.

استولى عليها الصليبيون، فضلاً عن أنَّه حرّر حصن حـارِم[1]عـام (559ه/ 1165م) وأُسر كـلًا من بوهيموند الثالث Bohemond III أمير أنطاكيـا وريمونـد الثالـث Remond III امـير طرابلس[2]، وهو ما مثّل تهديدًا مباشرًا على مملكة بيت المقدس، وبناءً على ذلـك اسـتنجد أيمريك Aymeric بطريرك أنطاكيا بالملك الفـرنسي لـويس السـابع، وجـاء في رسـالته ((**إنَّ العدد القليل من المسيحيين يصرخ إليك... يتوسلون ويناشدون رحمتك وشـفقتك، والتـي هي بعون الرب كافية لإنقاذنا وتخليصنا، وإنقاذ كنيسة الرب في الشرق**))[3].

وعلى ضوء ذلك كانت أنطاكيا محاطةً بخطر السقوط في أيدي نور الدين محمـود وهو ما تردد صداه في الغرب ودفع البابا ألكسندر الثالـث Alexander III (554- 576ه/ 1159-1181م) للدعوة لشنّ حملةٍ صليبيةٍ ثالثةٍ، مانحًا المشاركين فيها الغفران الكـنسي إذ قال: ((**إنّنا نمنح الصفح عن الخطايا واعتبارها كأنّها لم تكن، كما فعـل أسـلافنا، لكـلّ مَـنْ يبدأ الرحلة المقدسة، ويكملها بكلّ ورعٍ وتقويٍ، أو مات وهو في الطريق إليها**))[4].

إنَّ كلّ تلك الصرخات لم تجد أذنًا صـاغيةً لهـا في الغـرب اللاتينـي، فاسـتمر نـور الدين محمود بتوحيد جبهات المسلمين، إذ دخل في صراعٍ مع الدولـة الفاطميـة في مصر لتوحيدها مـع بـلاد الشـام، وأرسـل أسـد الـدين شـيركوه[5] واصـطحب معـه ابـن اخيـه

---

(1) **حصن حارِم:** بكسر الراء حصنٌ حصينٌ تجاه أنطاكية من أعمال حلب؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص203.

(2) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج7، ص495-499.

(3)) Li، de Jerusalem et d’Antioche، P.639

(4) O’Neal ،The Crusades covers everything ، P.98.

(5) **أسد الدين شيركوه**، شقيق نجم الدين أيوب بن شادي بن مروان والد صلاح الـدين، ولـد في أرمينيـا عام (500 ه/ 1169 م) وشيركوه اسم اعجمي معناه أسد الجبل، نشـأ هـو وأخـوه نجـم الـدين في تكريت والتحق بخدمة عماد الدين زنكي، ثم ابنه نور الدين محمود؛ ابـن الاثـير، التـاريخ البـاهر، ص119؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفَيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبد السلام التـدمري، دار الكتاب العربي (بيروت، 1993م) ج39، ص189.

صلاح الدين[1] على مصر فسيطر عليها، وأصبح وزيرًا على مصر، إلّا أنّ بعد شهرين توفي أسد الدين شيركوه، وتسلم الوزارة من بعده صلاح الدين الأيوبي عام (564 ه/ 1169 م) وبعد ثلاث سنواتٍ من وزارة صلاح الدين توفي الخليفة العاضد بالله الفاطميّ بمرضه، ودون وجود مَنْ يخلفه، أصبح صلاح الدين سلطانًا على مصر، مما دفع عموري الأول ملك بيت المقدس، إلى تجديد الاستغاثة، إذ أصبح موقف مملكة بيت المقدس في غاية الخطورة[2]، حتى أُرسلت سفارة استنجاد إلى أوروبا وهذا ما ذكره المؤرخ اللاتيني (أودو أوف دويل) المرافق للملك لويس السابع أثناء الحملة الصليبية الثانية فقال: **((واختير لتولي القيام بهذه المهمة وبالإجماع كلّ من البطريرك هرنيسيوس Hernesius رئيس أساقفة قيسارية، ووليم أسقف عكا، وكانا رجلين مبجلين وموهوبين بحكمةٍ وفصاحةٍ مقْنعةٍ))**[3]، وحملوا معهم رسائل إلى إمبراطور

(1) **صلاح الدين الايوبي**: أبو المظفر نجم الدين ايوب، ولد عام (532 ه/ 1137 م) ولمّا ملك نور الدين زنكي دمشق عام (459 ه/ 1154م) لازم اباه نجم الدين أيوب خدمته وكذلك ولده صلاح الدين، ولاه نور الدين شرطة دمشق قبل خروجه مع عمه شيركوه إلى مصر ثم تولى وزارة مصر بعد وفاة عمه سنة (564 ه/ 1169 م) وتوفي سنة (589 ه/ 1193 م)؛ ابو شامة، شهاب الدين بن عبد الرحمن بن اسماعيل القدسي (ت 665هـ/ 1276م) الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1997م) ج1، ص27.

(2)الملا جاسم، ومحمد عبيش سباك، الصراع بين نور الدين زنكي والملك الصليبي عموري الأول للسيطرة على مصر في روايات المصادر العربية والصليبية المعاصرة، مجلة دراسات موصلية، العدد 16 (الموصل، 2022م) ص 3-5.

(3) رحلة لويس السابع إلى الشرق، ترجمة وتحقيق: سهيل زكار، وقع ضمن الموسوعة الشاملة للحروب الصليبية، دار الفكر العربي (دمشق، 1995م) ج7، ص 391.

ألمانيا فردريك بربروسا، ولويس السابع ملك فرنسا، وهنري الثاني ملك إنجلترا، ووليم الثاني ملك صقلية، إلا أنَّهم لم يوفقوا في مهمتهم؛ نتيجة انشغال ملوك أوروبا بمشاكلهم الداخلية[1]، ثم تكررت استغاثة بلدوين الرابع ملك بيت المقدس أكثر من مرةٍ، منها في مجمع اللاتران الثالث[2] Lateran Conncil III (574هـ/ 1179م)[3].

ولأجل ذلك فإنَّ الدعوة لحربٍ صليبيةٍ ثالثةٍ لم تنقطع منذ فشل الحملة الثانية، إثر طلبات الصليبيين التي لم تتوقف ولاسيما مع تحول العالم الإسلامي من مرحلة الدفاع إلى الهجوم، إذ حرّر صلاح الدين عسقلان عام (573هـ/ 1177م) ثم الكرك عام (582هـ/ 1186م) حتى أصبح على أعتاب صور ثم طبرية فالتقى بجيشه الجيش الصليبي الذي انهزم شرّ هزيمةٍ، ففي معركة حطين[4] قُتل وأُسر أعدادٌ كبيرةٌ منهم، وكان من بين الأسرى ملك بيت المقدس بوهيمند الثالث Bohemond III ومعه مئة وخمسون من الفرسان، ومعهم صاحب حصن الكرك رينود أرناط[5] Reynold،

---

(1)زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص 193 – 195.

(2) **مجمع اللاتران**: عقد هذا المجمع البابا إسكندر الثالث بروما، وحضره أكثر من ثلاثمئة أسقف، كلّ من إنجلترا، والدنمارك، وإيرلندا، وإسكتلندا، وألمانيا، وإسبانيا، وهنغاريا، ومندوبان من إيطاليا وفرنسا، ومن الممالك الصليبية في الشرق، ناقشوا فيه الخطر الذي يحيط بمملكة القدس، وأعلنوا فيه الحرمان الكنسي على كلّ مَنْ يزوّد المسلمين بأدوات القتال أو حتى التجارة معهم؛ ويندوفر، روجر أوف(ت 634هـ/ 1237م) ورود التاريخ(447 - 1235م) ترجمة وتحقيق: سهيل زكار، وقع ضمن الموسوعة الشاملة للحروب الصليبية، دار الفكر العربي (دمشق، 2000م) ج39، ص297.

(3) باركر، الحروب الصليبية، ص147- 148.

(4) ينظر ملحق رقم (3) موقع لقاء الجيش الاسلامي والصليبي في حطين.

(5) **أرناط**: فارسٌ مغامرٌ قدم إلى بلاد الشام مع الحملة الصليبية الثانية ضمن جيش الملك لويس السابع وبقي في فلسطين بعد فشل الحملة الصليبية الثانية وعودة رجالها إلى أوربا، فأصبح حاكمًا للكرك (574-583هـ/1178-1187م) وكان ((**من شياطين الفرنج ومردتهم، واشدهم عداوة للمسلمين**)) هادن صلاح الدين وغدر به؛ وقد قتله صلاح الدين بنفسه؛ لما بدر منه من اساءة للنبي (صلى الله عليه وسلم)؛ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، تحقيق: جمال الدين الشيال (القاهرة، 1953م)ج 2، ص 179؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج 11، ص 469.

فوصل صلاح الدين إلى بيت المقدس يوم (الاربعاء 20 ربيع الآخر 583 ه/ 1 تموز 1187م)[1]، وبدأت المدينة تستعد للصمود مع حاكم نابلس[2] باليان دي إبلين[3] Balian d'Ibelin وقائد المقاومة الصليبية ضد صلاح الدين[4]، بعدما أعفاه صلاح الدين من قسمه في نابلس بعدم حمل السلاح ضد المسلمين، وبدأ الهجوم في 21 تموز إلا أنَّه لم يحقق نجاحًا، ليتكرر الهجوم يوم 24 تموز حتى استطاع صلاح الدين تحرير بيت المقدس بالكامل[5] ووافق على طلب إبلين بتسليم المدينة[6]، مقابل

---

(1) O'Neal، The Crusades covers everything، P.95.

(2) **نابُلس**: بضم الباء واللام، هي مدينةٌ مشهورةٌ بأرض فلسطين، وفيرة المياه، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ، والفرسخ: ثلاثة أميالٍ، والميل يساوي: 1692م تقريبًا؛ القاضي عياض، مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث (القاهرة، 1978م) ج2، ص153؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص248.

(3) لجأ باليان إلى بيت المقدس؛ للفرار بأولاده وزوجته، غير أنَّ سكان المدينة فرحوا بقدومه ظنًا منهم أنّه جاء ليتولى الدفاع عنها ضد صلاح الدين، وهو ما نفاه باليان تمامًا، غير أنّهم طالبوه بالدفاع عن المدينة فرفض، وإزاء ذلك توجه العامة إلى بطريرك بيت المقدس مطالبين إياه بالتدخل في الأمر، حتى خطب في الناس قائلًا: ((**طلبتم مني أنْ أتولى حراسة هذه المدينة وإدارتها، فأريد منكم أنْ تعلموا أنَّ القضية حرجةٌ وخطيرةٌ، وقد أُعاتب وأُلام دونما ذنبٍ، ذلك أنَّه إذا المهمة فشلت فإنَّ أكبر نصيبٍ من اللوم سيقع عليّ، وإذا نجحت لن يشكرني أحدٌ، وكلّ المديح سيكون لغيري**)) ويتضح أنَّ باليان لم يكن يريد أنْ يقود المقاومة ضد صلاح الدين، وأنّه ارغم عليها إرغامًا، فالوضع في المدينة سيء سواء من الناحية العسكرية أو الانقسامات السياسية لم يكن يسمح له أو لغيره بصدّ هذا الهجوم؛

L'Estorie، Eracles Empereur، RHC، V II، Book 23 to 24، Continuation of William of Tyre from the so-called «Rothelin Mauncript»، Pp،68-70.

(4) ينظر ملحق رقم (4) مخطط لحصار جيش صلاح الدين لمدينة القدس.

(5) للمزيد من التفاصيل عن خطة باليان للدفاع عن المدينة ؛

L'Estorie، Eracles Empereur، p، 80-90.

(6) عن مفاوضات باليان مع صلاح الدين وشهادة المؤرخ الصليبي لمعاملة صلاح الدين لسكان بين المقدس؛

L'Estorie، Eracles Empereur، Pp.91-98.

فدية قدرها 100 ألف دينارٍ، ثـم خفّـض المبلـغ إلى 10 دنـانير للرجـل، و5 دنـانير للنسـاء، ودينارٍ واحدٍ للأطفال[1].

ويبدو أنَّ سقوط حطين في قبضة صلاح الدين في (السبت 24 ربيع الآخر سنة 583 هـ/ 24 تموز 1187م) كان ناقوس الخطر الذي كـان يجـب عليـه أنْ يهـب الغـرب اللاتينـي لينقذ ما تبقى في أيديهم من بلاد الشام، إلا أنَّ البابوية لم تستطع مواصلة الـدعوة لحملـةٍ جديدةٍ؛ لأنَّ البابا المسن أوربان الثالث Urbanus III لم يتحمل خبر استرجاع بيت المقدس بيد المسلمين فسقط ليفارق الحياة[2]، فدعا خَلَفَه البابا الإطالي غريغوري الثامن Gregroy VIII لحملةٍ صليبيةٍ جديدةٍ لاسترجاع الأراضي المقدسة، وبـدأت البابويـة وملـوك الفرنجـة بفرض ضريبة في بلادهم بواقع 10% سميت (عشور صـلاح الـدين) فرضـت عـلى الأمـوال والممتلكات المنقولة؛ للإعداد للحملة الصـليبية الثالثـة وتمويلهـا بعـد تحريـر القـدس بيـد صلاح الدين الأيوبي[3].

وبدأت الحملة الصليبية الثالثة التي أطلق عليها حملة الملوك، بمشـاركة فيليـب أوغسـطس الثـاني Philippe Auguste ملـك فرنسـا، وريتشـارد قلـب الأسـد Richard Coeur de Lion ملك إنجلترا، وفرديـرك بربروسـا Friedrich I Barbarossa إمبراطـور ألمانيا[4] وتكوّن جيش بربروسا الألماني مـن ثلاثـة آلاف فـارسٍ، وثمـانين ألفًـا مـن المشـاة،

---

(1) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص81- 82.

(2) ويندوفر، ورود التاريخ،ج2، ص682-681.

(3) ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 160.

(4) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 126؛ الشامي، أحمد، صـلاح الـدين والصـليبيون، مكتبـة النهضـة العربية (القاهرة، 1991م) ص 240.

وسلك الطريق البري باتجاه القسطنطينية، فواجه عداءً شديدًا من الإمبراطورية البيزنطية فبعثوا إلى صلاح الدين يخبرونه بمسيرة الألمان، إلا أنّهم لم يتمكنوا من منعهم من العبور، وعبروا خليج القسطنطينية (البسفور) فقلّت عليهم الأقوات وقد اشتدت ضائقتهم وحلّ بهم كربٌ شديدٌ[1]، غير أنَّ هذا فقد واحدًا من أهم مقوماتها وهو بربروسا، الذي سقط غريقًا سنة (586ه/ 1190م) في أحد الأنهار الذي اختلف المؤرخون في تحديده، فتشردت صفوف قواته، وهلكهم الجوع والمرض فعاد أكثرهم الى بلادهم في حين أكمل الباقون سيرهم والتحقوا بجيش ريتشارد[2].

أما فليب الثاني وريتشارد فبلغ عدد جيشهما ما يقارب الـ 7000 من الفرسان و 9000 من المشاة، ونحو 200 سفينة[3]، وحينما وصلوا بلاد الشام قرر فليب الثاني العودة إلى فرنسا معللًا ذلك لسوء حالته الصحية، إلا أنَّه اتضح السبب الحقيقي للعودة ألا وهو وفاة والد زوجته أمير مقاطعة فلاندرز الفرنسية ليستولي عليها[4]، ممّا يدلّ على أطماعهم الشخصية والسياسية التي تفوق ما يؤمنون به وقد جاءوا لأجله، وطالب ريتشارد صلاح الدين بردّ بيت المقدس أو الحرب غير أنَّ صلاح الدين فضل الدخول في مفاوضاتٍ مع الحملة قبل اللجوء إلى الحرب[5]، ولإثبات حسن النية أفرج صلاح الدين عن الأسرى الصليبيين ووعد بردّ الصليب المقدس، وتعيين أسقفٍ للمسيحيين في القدس، وإعادة الأديرة والكنائس[6]، وهو ما لم ينل استحسان ريتشارد،

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص400؛ زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص 193 – 195.

(2) ابو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج2، ص154-155؛ الشامي، صلاح الدين والصليبيون، ص244.

(3) ويندوفر، ورود التاريخ، ص301.

(4) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص139.

(5) ويندوفر، ورود التاريخ، ص301.

(6) Saladin'S answer to Frederich، Pp.37-40.

فاستولى على صور وفرض الحصار على مدينة عكا لمدة سنتين، حتى استسلم أهلها واستباحها سنة (587ه/ 1191م) وهذا ما أكده (ابن شداد) حينما قال: ((**... فغدر بهم الملعون، وأظهر ما كان أبطن، وفعل ما أراد... أخذ المال والأسارى... وكانوا زهاء ثلاثة آلاف مسلم في الحبال، فقتلوهم صبراً وطعناً وضربًا بالسيف**))[1].

وسيطر ريتشارد بعدها على عددٍ من مدن ساحل بلاد الشام، واستمرت ضراوة المعارك بين ريتشارد وجيش صلاح الدين، وحاول ريتشارد الاقتراب مرارًا من بيت المقدس؛ إلا أنَّه خاف أنْ يضرب عليها حصارًا طويلاً ليكون سببًا في هلاكه[2]، فضلاً عن أنَّه رأى مشاكل الصليبيين معقدةً، وأكبر من أن يحلها بنفسه، ورأى أنَّ المسلمين مصممون على الدفاع عنها، فانسحب خائفًا[3].

وبدأ ريتشارد بالتفاوض مع صلاح الدين، حتى أُجبر ريتشارد على الالتزام بهدنةٍ مدّتها ثلاث سنوات مع صلاح الدين الأيوبي بموجب معاهدةٍ عرفت بـ (صلح الرملة) عام (588ه/ 1192م) على أنْ يتنازل صلاح الدين عن بعض المدن الواقعة على الساحل للصليبيين، وبالمقابل يحتفظ صلاح الدين بكلّ ما تبقى من فلسطين بما فيها القدس وعسقلان، مع السماح للصليبيين بالحج لبيت المقدس، وبهذا الصدد ذكر المؤرخ (ابن شداد): ((**واختلط العسكران وذهب جماعةٌ من المسلمين إلى يافا في طلب التجارة ووصل خلقٌ عظيمٌ من العدو إلى القدس للحج وفتح لهم السلطان الباب وأرسل معهم الخفراء يحفظونهم حتى يردوهم إلى يافا، وكان غرض السلطان**

(1) النوادر السلطانية، ص 175.

(2) الاصفهاني، ابو عبد الله محمد بن محمد بن حامد (ت 597هـ/ 1201م) الفتح القسي في الفتح القدسي المسمى (حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس) دار المنار (د.م، 2004م) ص342؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص140.

(3)ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 350.

بذلك أنْ يقضوا غرضهم من الزيارة ويرجعوا إلى بلادهم فيأمن المسلمون من شرهم))[1]، وانتهت الحملة بفشلٍ ذريعٍ، وشعور العديد من الصليبيين في الغرب اللاتيني بخيبة أملٍ، حتى شكّلت حدًا تراجع عنده المدّ الصليبي باتجاه بلاد الشام، وبداية النهاية للوجود الاستيطاني الصليبي[2].

د- الحملة الصليبية الرابعة (599هـ/ 1202م):

رأت البابوية أنَّ الحملات الصليبية خرجت من يدها، وأصبحت من شؤون القوى الحاكمة (العلمانية) فدعت إلى حملةٍ صليبيةٍ جديدةٍ لتؤكد زعامتها، فدعا بها البابا إنوسنت الثالث[3] Innocent III الذي عزم على استعادة بيت المقدس من المسلمين، بغزو مصر ومن ثم إلى القدس، إلا أنَّها انحرفت عن مسارها واتجهت إلى القسطنطينية؛ بسبب النزاعات السياسية بين قادات الحملة والتجار من جهةٍ، والحقد على بيزنطة من جهةٍ أخرى[4]، وأسفرت هذه الحملة عن تخريب وتدمير القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية سنة (601هـ/ 1204م) وكان البابا إنوسنت الثالث رافضًا لهذا التحول في مسير الحملة، إلا أنَّه كشف عن حقيقته الاستعمارية

---

(1) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 232.

(2) عوض، محمد مؤنس، الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، عين للدراسات والبحوث الإنسانية (مصر، 2000م) ص 220.

(3) **انوسنت الثالث**: واسمه لوتاري روماني الأصل، ولد في باريس عام (555هـ/1160م) تولى منصب البابوية عام (594ه/ 1198م) الذي أقسم على محو آثار صلاح الدين في المشرق، وتخليص بيت المقدس من المسلمين؛ عبده، محمد عبد النعيم، علاقة البابا انوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، مجلة وقائع تاريخية، المجلد 6، العدد 31 (القاهرة، 2019م) ص292.

(4) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص202.

مباركًا لها، ليسيطر على الكنيسة الشرقية، ولتساعده السلطة الجديدة في بيزنطة في تجهيز حملةٍ إلى مصر واستعادة بيت المقدس، إلا أنَّها باءت بالفشل[1].

ه- الحملة الصليبية الخامسة (614هـ/ 1217م):

استأنف البابا إنوسنت الثالث الدعوة لحملةٍ صليبيةٍ إلى بلاد الشام، وأرسل وعّاظًا ورجال دينٍ إلى أنحاء أوروبا لحثهم على الانضمام للحملة، فتشكلت بقيادة دوق النمسا ليوبولد الثاني، وملك المجر أندرو الثاني، فقبيل انطلاق الحملة توفي البابا انوسنت[2]، فتسلم بعده البابا هونوريوس الثالث Honorius III، فوصلت الى بلاد الشام فعاثوا فيها الفساد ونهبوا مدنها بحثًا عن المؤن حتى وصلوا عكا[3].

واجتمع الصليبيون في عكا وقرروا الاستيلاء على مصر؛ لأنَّها مركز ثقل الجبهة الإسلامية، فركب الصليبيون البحر حتى حاصروا مدينة دمياط، وكان حاكم مصر الملك العادل سيف الدين (538 -615 هـ / 1144 - 1219م) شقيق صلاح الدين الأيوبي الذي توفي عند مجيء الصليبيين إلى مصر[4]، وخلفه ابنه الملك الكامل محمد الذي وقع عليه عبء الدفاع عنها، إلا أنَّهم في النهاية ركنوا إلى الاستسلام؛ بسبب المقاومة الشديدة من المسلمين، فضلاً عن فتح مياه نهر النيل عليهم الذي دمر مراكبهم وأغرق خيولهم وخيمهم، فقرروا الانسحاب ورحلوا جميعًا عن أرض مصر عام (618هـ/ 1221م) ولم يحققوا شيئًا من هذه الحملة[5].

و- الحملة الصليبية السادسة (626هـ/ 1228م):

---

(1) ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص79؛ البيلي، بلاد الشام، ص316.

(2) Jones، The Crusades، pp189-191.

(3) المواعظ والاعتبار، ج1، ص188.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ،ج9، ص315؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص267.

(5) ابو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج4، ص371-375.

بدأ التحشيد للحملة الصليبية السادسة بعد سبع سنواتٍ من فشل الحملة الخامسة، وهي محاولةٌ جديدةٌ لإعادة السيطرة على بيت المقدس، وأتيحت الفرصة لكلّ من البابوية والإمبراطور الألماني فردريك الثاني Frederick II [(1)] فاتفقا على شنّ حملةٍ صليبيةٍ جديدةٍ سنة (625هـ/ 1227م) وقام فريدريك الثاني بتأجيل الحملة، فحُرم كنيسيًا من البابا جريجوري التاسع؛ لتأجيله الحملة، ثم خرج الإمبراطور فردريك بعد سنة من الحرمان مع جيش صغير قوامه 600 فارسٍ وبضعة آلافٍ من المشاة، وأسطولٌ مكون من أربع عشرة سفينة، فقرر البابا منع هذه الحملة الصليبية، واصفًا فريدريك بأنه قرصان يريد سرقة مملكة بيت المقدس، فكانت هذه أول حملةٍ صليبيةٍ لا يباركها البابا[(2)].

وانطلق فريدريك الثاني ووصل إلى عكا، وبدأ المفاوضات مع الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل، فأخذ يرجو الكامل يتودد له ويستلطفه، أسفرت عن عقد صلح مدته عشر سنوات، على تسليم بيت المقدس للصليبيين، وبيت لحم، والشريط الساحلي بين عكا والقدس، مع السماح للحجيج المسلمين بالمرور فيها والإقامة[(3)]، وقد كانت هفوة التنازل عن بيت المقدس صدمة مزلزلة للمسلمين، وأكد ابن الأثير ذلك حينما قال: ((**واستعظم المسلمون ذلك وأكبروه، ووجدوا له من**

(1) **فردريك الثاني**: أحد أقوى الأباطرة الذين حكموا على الإطلاق، يمكن عدّه رمزًا للمعركة بين الكنيسة والدولة في أنحاء القرون الوسطى، حارب الإمبراطور قوة البابوية، نشأ في صقلية ولم يكن صليبيًا، وكان يحترم المسلمين وتعلم العربية ولقب بأعجوبة الدنيا؛

Jones ،The Crusades، P.93-96.

(2) عمران، محمود سعيد، الحروب الصليبية (1195-1291م) دار المعرفة (مصر، 2000م) ص278-280.

(3) ابو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج5، ص228.

الوهن والتألم ما لا يمكن وصفه))[1]، ويبدو أنَّ تسليم بيت المقدس بهذه السهولة، لم يكن يحدث لولا تنازل الملك الكامل وضعفه وتهاونه في ارض المسلمين، الذي فرَط في القدس من دون مقابل.

وفي سنة (635ه/1239م) توفي الملك الكامل فخلفه ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي أعلن الحرب على الصليبيين، وحرر بيت المقدس ليعيدها إلى حضن الإسلام مرة أخرى[2]، وفي سنة (647هـ / 1249م) تواترت الأنباء عن قدوم حملة جديدة بقيادة لويس التاسع Louis IX ملك فرنسا توجهت من قبرص[3] الى مصر، وتلك كانت **الحملة الصليبية السابعة،** التي انتهت بالفشل وأسر لويس السابع الذي افتدى نفسه وعاد الى فرنسا[4]، ثم عاد مرة أخرى بحملة **(صليبية ثامنة)** على تونس عام (669هـ/ 1270م) وفي العام نفسه توفي لويس التاسع، وقيل: إنّ كلمات الملك الأخيرة كانت (بيت المقدس، بيت المقدس) وانتهت هذه الحملة بالفشل أيضًا[5].

تلك هي الحملات الصليبية التي كانت على المسلمين، فكانت بلاد الشام البقعة الجغرافية الأكثر استقبالًا للحملات الصليبية، ومن ثم مصر وتونس، وهذا ما يؤكد أهمية الشام على شتى المستويات، وأثر ذلك في التركيبة السكانية إلى حدٍ بعيد في

(1) الكامل في التاريخ،ج12، ص481.
(2) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص369 - 372.
(3) **قبرص:** جزيرة في بحر الروم، وهي قريبة من بلاد الشام اكثر اهلها نصارى: الاصطخري، المسالك والممالك، ج 1، ص 28 ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص304.
(4)للمزيد عن الحملة الصليبية السابعة؛ العجيلي، زياد عبد الله صالح، الحملة الصليبية السابعة، جامعة تكريت كلية التربية للعلوم الانسانية، المجلد 28، العدد 5 (العراق، 2021م) ص250-268.
(5)للمزيد عن الحملة الصليبية الثامنة؛ الطويلي، أحمد، الحملة الصليبية الثامنة على تونس، مجلة المورد، المجلد 16، العدد 4 (العراق، 1987م) ص 192-201.

قرنين من الزمان، ولكن كيف تأتى للصليبيين تحقيق ذلك؟ ولماذا كان الصـليبيون في حاجـة مُلحة لتغيير التركيبة السكانية في المنطقة؟ حتى أخذت التركيبة السـكانية في الشـام تتغـير من آن لآخر تبعًـا للعـنصر المسـيطر عليهـا فمنـذ الحملـة الشـعبية التـي قضي عليهـا، إلى الحملة الصليبية الأولى التي كانت أنجح الحملات، وأسست إماراتهـا الأربـع في الشرق، إلى الحملات التي تلتها، ولكنها فشلت، ثم حمـلات (رد الفعـل) تلـك الحمـلات التـي جـاءت تتحـدى المقاومـة الإسـلامية، إلا أنّهـا لم تحقـق مبتغاهـا وحتـى الحملـة السادسـة والتـي استعادت بيت المقدس دونما قتال فشلت أيضًا ولم تدم طويلًا ثم عادت الى المسلمين.

الفصل الثالث

التغييرات السكانية (الديموغرافية)
في بلاد الشام وحتى تحرير بيت المقدس
(583هـ/ 1187م)

أولا: الأساليب التي اتبعها الصليبيون في التغيير السكاني (الديموغرافي) عند دخولهم مدن بلاد الشام

ثانيا: الأساليب التي اتبعها الصليبيون في التغيير السكاني (الديموغرافي) بعد دخولهم مدن بلاد الشام

الفصل الثالث

التغييرات السكانية (الديموغرافية)

في بلاد الشام حتى تحرير بيت المقدس

(583هـ/ 1187م)

أولا: الأساليب التي اتبعها الصليبيون في التغيير السكاني(الديموغرافي) عند دخولهم مدن بلاد الشام:

اتبع الصليبيون أبشع الممارسات والأساليب والتي بدورها أدت إلى تغيير في التركيبة السكانية في بلاد الشام، بعد أن أُرتكَبت المذابح والمجازر، وما رافق ذلك لعمليات الاحتلال، والاستيلاء على الأراضي من تهجير وهجرة لعدد كبير من السكان؛ لتحقيق الأهداف الصليبية المتمثلة بتغيير واقعها الديموغرافي السكاني، وطمس عروبة الأرض وسلب هويتها[1]، باتباع برنامج شامل للتنصير، وفرض سياسة الأمر الواقع بإقامة سلسلة من القلاع والحصون والمستوطنات الزراعية، فضلًا عن التغيير في معالم المدن العمرانية؛ لإحكام السيطرة على المناطق المحتلة، وتمزيق المنطقة جغرافيًا وسياسيًا[2]، ومن هذه الأساليب:

أ- المذابح والمجازر الجماعية:

---

(1) مجهول، أعمال الفرنجة، ص481.

(2) براور، الاستيطان الصليبي، ص 83.

ارتكب الصليبيون سلسلة من المذابح والمجازر البشعة عند دخولهم بلاد الشام، ومنذ دخولهم انطاكيا وحتى دخولهم بيت المقدس، وهذه المجازر تركت اثرًا محفورًا في أذهان المسلمين[1] ومن بين هذه المذابح كانت:

1- المذابح والمجازر في انطاكيا والمناطق المجاورة لها:

كانت انطاكيا هي الهدف الأول من ضمن الخطة المعلنة عند بدء الحملة الصليبية الأولى ففي سنة (490ه/ 1097م) حاصر الصليبيون انطاكيا وهاجموا أعمالها، وتمكنوا من السيطرة على الكثير من معاقلها وحصونها وقاموا بارتكاب المذابح والمجازر في كل منطقة استولوا عليها[2].

وفي سنة (491هـ/ 1098م) أخذ الصليبيون يوطدون نفوذهم فيها، وتقدم الجيش بقيادة ادهيمار أسقف لوبري إلى نهر العاصي ووصلوا إلى الجسر الحديدي، وكان هذا الجسر محصنًا ببرجين تم بناؤهما على جانبي مدخله، الا أن الصليبيين استطاعوا أن يهاجموه وقاموا بإعداد عملية حربية، فسيطروا على الجسر وتمكنوا بعد قتال شديد من إحداث مذابح داخل هذا الجسر، والاستيلاء على الماشية والغلال وتركوها خربة[3].

وفي اليوم التالي من مهاجمتهم المنطقة وصل الجيش بقيادة بوهيموند، فدخل الصليبيون المدينة وقاموا بنهب المنازل والمحلات في انطاكيا، الخاصة بالمسلمين والنصارى على السواء وقتلوهم، وفي اليوم الثالث من المعركة لم يبقَ أحد على قيد الحياة حتى الأتراك الذين كانوا يسكنون انطاكيا قاموا بقتلهم[4]، لدرجة أنه لم

---

(1) مجهول، أعمال الفرنجة، ص18.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص134.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص417- 418.

(4) ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص130.

يستطع أحد أن يسير في شوارع المدينة من دون أن تطأ أقدامه جثث القتلى التي تعفنـت سريعًا بفعل حرارة الصيف، وراح الصليبيون ينهبون كل ما في انطاكيا، حتى تقاتلوا بيـنهم على ما يحصلون عليه من كنوز وأسلحة[1].

وفي سنة (492ه/ 1099م) خرجت قـوات كثيفـة متجهـة مـن انطاكيـا نحـو معـرة النعمان، وقاموا بالإغارة والاستيلاء عليها، وقتلوا أهلها واستولوا عـلى منـازلهم، وأحرقوهـا، وتصدى أهل المعرة لهم، ولقي الصليبيون منهم شدة ونكايـة في الـدفاع عـن ممتلكـاتهم، وعندما لقي الصليبيون من أهلها الجد في حربهم[2]، قاموا ببناء برج خشبي يبلـع ارتفاعـه أعلى من سور المعرة واسندوه إلى سورها من الناحية الشمالية والشرقية، وكان هـذا الـبرج متحركا احتمى بداخلـه الصـليبيون، وقـاموا بمقاتلـة المسـلمين مـن انحـاء السـور جميعًـا، ووضعوا السلالم عليه وتسـلّقوا السـور، في الوقـت الـذي كـان فيـه المـدافعون يسـتميتون بالدفاع عن مدينتهم[3].

ثم حرقوا المساجد وقتلوا الأئمة وكسّروا المنابر، ودام القتال ثلاثة أيـام مـن الفجر إلى أذان المغرب[4]، فقام الصليبيون بقتل عدد كثير من الناس فـوق السـور وتحته، ويذكر أنه من شدة الوحشية التي كان يقوم بها الصليبيون ضد الأهالي في

---

(1) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 135؛ السمين، حسن أحمـد عبـد الـرازق، الحيـاة السياسـية في بلاد الشام خلال القرن الخامس هجريًا والحادي عشر ميلاديًا، دار التعليم الجـامعي (الاسـكندرية، د.ت) ص363.

(2) كان لسقوط معرّة الـنعمان ومـا تعـرض سـكانها للمـذابح الجماعيـة التـي ارتكبوهـا، أثـر في نفـوس المسلمين الذين أفزعهم هول هذه المجـزرة وذاع صـيتها في المـدن العربيـة والإسـلامية مـما جعـل حكام تلك المدن يعلنون ولاءهم للصليبيين؛ خوفا منهم وإبقـائهم في الحكـم؛ ابـن العـديم، زبـدة الحلب، ج2، ص 144.

(3) ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص141، الملا جاسم، حصار انطاكيا، ص27-28

(4) ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص142- 143.

المعرة قامت طائفة من الوجهاء في المعرة بالذهاب إلى الكونت الصليبي بوهموند يطلبون الأمان، ووقع الاتفاق بين الأهالي وبينه على أن يبقوا في بيوتهم وعدم الخروج لمواجهتهم في مقابل الإبقاء على حياتهم[1]، ووعدهم الصليبيون بهذا، وبالفعل احتشدت الأسر في بيوت المعرة تنتظر طوال الليل وهي خائفة مما سيقوم به الصليبيون، الا أن الصليبيين لم يصدقوا في وعدهم وغدروا بهم[2].

وفي اليوم الثاني قطعوا على كل دار قطيعة وهجموها وسلوا سيوفهم، وأخذوا يقتلون الأهالي، فقتلوا الرجال وسبوا النساء والصبيان، وأحدثوا مجازر بشعة راح ضحيتها الالف من الأبرياء، ورفعوا الصلبان، وقاموا بنهب ما وجدوه، وطالبوا الناس بما لاطاقة لهم به[3]، وقام الصليبيون بقطع الأشجار؛ بهدف اضعاف أهلها[4].

وأمر بوهيموند أن يجمعوا سكان معرة النعمان رجالًا ونساءً وأطفالًا، وأعمل القتل في بعضهم وأخذ البعض الآخر وقام ببيعهم في انطاكيا، وسلب أموالهم، جميعًا، وما معهم من ممتلكات ومجوهرات من ذهب وفضة[5].

فبعد أن استباح الصليبيون معرة النعمان، نشروا الذعر في البلاد، وراحوا يفتشون عن أهلها الذين اختبئوا في الجوامع والسراديب، واضرموا النيران فيها وتعالت سحب كثيفة من النيران والدخان؛ مما أثار الذعر في نفوسهم والاستسلام ليلاقوا مصيرهم غدرًا، حتى امتلأت شوارع المدينة بجثث القتلى من المسلمين، ومن

---

(1) مجهول، اعمال الفرنجة، ص119؛ معلوف، أمين، الحروب الصليبية كما راها العرب، ترجمة: عفيف دمشقية، دار الفارابي (بيروت، 1989) ص 63.

(2) ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص 149.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص221.

(4) مجهول، أعمال الفرنجة، ص127.

(5) زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص 111.

كثرة اعداد القتلى جراء هـذه المجـزرة البشـعة التـي ارتكبهـا الصـليبيون في المعـرة حـاول المؤرخون تحديد اعدادهم الا أنهم اختلفوا فمنهم من قال: إنهم قتلـوا أكـثر مـن عشريـن ألفًا بين رجل وامرأة وصبي، ومنهم من قال: مئة الف[1]، فقد ذكـر أنـه مـن كـثرة الجثـث التي كانت ملقاة في شوارع المدينة كان من يمر بهذه الشـوارع هـذه المدينـة تطـأ أقدامـه تلك الجثث[2]، مما يدل على بشاعة ما قام به الصليبيون في تعاملهم مع سكان انطاكيا وما جاورها من أماكن.

2- المذابح والمجازر في الرها والمناطق المجاورة لها:

سقطت الرها سنة (491ه/ 1098م) بيد الصليبيين بقيادة بلـدوين الأول مـن دون قتال، وكان أكثر أهلهـا نصـارى، ثـم تـوّج ابـن خالـة بلـدوين الكونـت الفـرنسي جوسـلين الأول Joscelin de Courtenay (513- 525ه/1119-1131م) أمـيرًا عليهـا، وقـام بجمـع قواته فبدأ بالهجوم على قرى المسـلمين المجـاورة للرهـا حتـى وصـل الى مشـارف دمشـق وحلب، وقام بقتل عدد كبير من الأهالي بعد أن زرع فيهم الخوف وأسر عددًا مـن النسـاء والرجال وسلب أموالهم[3].

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص420؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص147.

(2) الحويري، محمود محمد، بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصـدي للصـليبيين، دار المعـارف، (القاهرة، 1922م) ص 53.

(3) ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص194.

ثم اتجه إلى أراضي نقرة بني أسد[1] وبلدة مَنبِج[2] وأماكن أخرى من شرق حلب وشمال الرها، وأسر عددًا من رجالهم ونسائهم، ولم يترك جيشه شيئًا قابلهم الا واستولوا عليه فسابوا عدد كبير من الأغنام والدواب التي وجدوها في تلك المنطقة[3].

واتجه الصليبيون إلى شمال حلب وقصد أعمالها، فأضرم النيران في الراوندان[4] وقتل عددًا من أهلها، وبعث الرعب والخوف في قلوب المسلمين، مما دعا العديد منهم التوجه إلى ديار بكر والاستغاثة بأميرها من الأعمال والمجازر الوحشية التي ارتكبها الكونت جوسلين بحقهم[5].

واستمر الكونت جوسلين واتباعة بتصفية المدن والقرى بوحشية، فنزل وادي بُطنان[6]، وأفسد فيه، وقام بنزع الثياب عن المشايخ والضعفاء، وتركهم في البرد حتى

---

(1) **نقرة بني أسد**: بلدة عامرة بين الرها وحلب؛ وبنو أسد من القبائل العدنانية يُنسبون إلى أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج5، ص75.

(2) **مَنبِج:** بالفتح ثم السكون، اصل الكلمة رومية، مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة بينها وبين حلب عشرة فراسخ؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص206.

(3) مجهول (ت بعد 632ه/ 1234م) تاريخ متى الرهاوي المسمى (الحملتان الصليبيتان الأولى والثانية) عربه عن السريانية ووضع حواشيه: الاب البير ابونا، مطبعة شفيق (بغداد، 1986م) ج2، ص480.

(4) **الراوندان**: قلعة صغيرة على رأس جبل منفرد في مكان لا يحكم عليه منجنيق ولا يصل إليه نبل، تقع شمال غرب حلب؛ الغزي، كامل بن حسين بن محمد، نهر الذهب في تاريخ حلب، ط2، دار القلم (حلب، 1997م) ج1، ص292.

(5) مجهول، أعمال الفرنجة، ص481.

(6) **بُطنان**: بالضم ثم السكون، هو اسم وادٍ بين منبج وحلب، فيه أنهار جارية وقرى متصلة؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص447.

هلكوا من شدة البرد[1]، ثم توجه بعد ذلك إلى تل باشر[2] ودخلها بعد أن حشد قواته مـرة ثانيـة، وفعـل فيهـا كـما فعـل في وادي البنطـان، ولم تنقطـع الأعـمال الوحشـية مـن قبـل الصليبيين على المناطق الواقعة بين حلب والرها، وإنما زادت بشكل كبير، حتـى أنّ البلـدان النصرانية الشرقية لم تسلم من بطشهم، فاتجه بعد ذلك إلى القـرى الواقعـة شرقـي حلـب وقاتل أهلها، واشعل النيران فيهـا، ومـن شـدة مـا حـل بالأهـالي مـن العـذاب طلبـوا منـه المصالحة على أن يعطوه مالا مقابل تركهم[3]، الا أن الصليبيين شددوا قبضتهم عـلى أهـالي حلب أكثر، وغنموا الكثير من أمتعتهم بعدما قاموا بأسر الكثير منهم، وقتل عدد آخر[4].

وقام الكونت جوسلين بعدة حملات أخرى في حلب فاتجه إلى بُزاعة[5] وقتل عـددًا من أهلها، وقام بقطع أشجارها واشـعل فيهـا النـيران، واتجـه إلى المنـاطق الشـمالية منهـا بالقرب من حدود الرها ونهبها، وقام بتخريب مزارع وبساتين تلـك المنطقـة، وقتـل أهلهـا وسباهم[6].

---

(1) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص508؛ الطباخ، محمد راغب، إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهداء تصحيح وتعليق: محمد كمال، دار العلم العربي (حلب، 1988م) ج1، ص385.

(2) **تل باشر:** قلعة حصينة وكورة واسعة شمال مدينة حلب، بينها وبين حلب يومان، وأهلها نصارى أرمن؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج2، ص247.

(3) ابن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، ج2، ص45.

(4) ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص 195.

(5) **بُزاعة:** بالضم، بليدة في طرف وادي بطنان من أعمال حلب بينها وبين منبج نحو ميلين وإلى حلب عشرة أميال وهي عامرة ذات أسواق؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص409.

(6) ابن الشحنة، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص214.

ثم اتجـه إلى الجانـب الجنـوبي القـبلي مـن الرهـا ونـزل جبـل الجوشـن[1]، وهـدم المساجد والأضرحة وأشعل النيران فيها، وفرض الجزية على بعض سـكان المنطقـة[2]، وقتـل عددًا من أهلها وقطع أشجار المنطقة، واستولى على ما يزيد عن خمسمئة فرس من مراعي الخيول، وعاد إلى تل باشر بعد أن ترك المنطقة خاويةً على عروشها[3].

ورأى الصليبيون بعد ذلك أن يحوّلوا هجماتهم إلى شرق الرها، بالاستيلاء على أكـبر قدر من الأراضي، فتوجّهوا إلى منطقة شيخنان جنوب ديار بكر، وأغاروا عـلى سـكانها مـن الأكراد والتركمان، وقتلوا أعدادًا كبيرة من أهالي تلك المنطقة، وسـلب مـا يزيـد عـن عشرة آلاف رأس من الأغنام والخيـول[4]، ثـم اتجهـوا إلى جنـوب الرهـا ونزلـوا سـبخة الجبّـول[5]، وخرّبوها، بعد إضرام النار في مساكنها حتى اختنق أهلها من شدة الدخان، وسلبوا أموالهم وأمتعتهم، وتمادوا في أفعالهم الوحشية وقاموا بنبش القبور وسرقة أكفـان المـوتى[6]، وكـان من الطبيعي في ظل هذه الأعمال الوحشية سيهرب أهلها الى أماكن أخرى وهذا جـزء مـن التغيير السكاني.

وفي سـنة (518هــ/ 1124م) قـام الصـليبيون بعمـل مجـازر وحشـية في مدينـة الرها بقيادة جودفري نائب الكونت جوسلين، الذي قـام بمجـزرة بـين سـكانها الـذي كـان

(1) **جبل الجوشن:** جبل غربي حلب وجنوب الرها، يحمـل في تربتـه النحـاس الأحمـر، يـاقوت الحمـوي، معجم البدان، ج2، ص186.
(2) ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص215.
(3) ابن الشحنة، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص 220.
(4) ابن الشحنة، الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، ص212.
(5) **سبخة الجبّول**: قرية عامرة عليها بحيرة باسمها تبعد عن حلب 40كم؛ الغزي، كامـل بـن حسـين بـن محمد، نهر الذهب في تاريخ حلب، ط2، دار القلم (حلب، 1997م) ج1، ص491.
(6) الطباخ، أعلام النبلاء، ج1، ص51.

غالبيته من إخوانهم الأرمن، ونهب منازلهم[1]، واتفق الصليبيون مع القـادرين عـلى حمـل السلاح من الأرمن والمسلمين؛ لشنّ الغارات والهجوم على المسلمين، وقام الصليبيون بعقد تحـالف مـع سـكان المدينـة وبعـض القـادة المسـلمين، عـرف باسـم التحـالف الإسـلامي الإفرنجي[2]، وفرضوا فيه الحصار على حلب وقـاموا بتضـييق الحصـار عـلى أهلهـا، وبـدأوا يقطعون الأشجار ويدمرون البساتين وينشرون القتل والرعب بين السكان[3].

3- المذابح والمجازر في بيت المقدس والمناطق المجاورة لها:

تمكن الصليبيون من اقتحام مدينة بيت المقـدس سـنة (492هــ/ 1099م) بعـد أن فُرِض حصار دام خمسـة أسـابيع، وتعـرض بيـت المقـدس لأبشـع مجـزرة شـهدها التـاريخ الإسـلامي أدت إلى إبـادة سـكان المدينـة إبـادة شـبه تامـة[4]، وذكـرت المصـادر اللاتينية أنَّ المدينة استبيحت لمدة ثلاثة أيـام وذُبـح فيهـا غالبيـة السـكان مـن المسـلمين واليهود الذين قتلوا بلا رحمةٍ ولا شفقةٍ وبلا اعتبار لا للسن ولا للجنس[5]، وهـو مـا أكـدّه المؤرخ (فوشيه الشارتري) الذي وصل المدينة بعـد سـقوطها إذ قـال: ((**يـا لهـا مـن رائحـةٍ**

---

(1) ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص184؛ الطباخ، أعلام النبلاء،ج1، ص220- 221.

(2) تقدم التحالف الإسلامي الإفرنجي الى حلب، وقام بفرض الحصـار عليهـا، وكـان هـذا التحـالف يضـم الملك بلدوين الصليبي الذي نزل على حلب مـن الناحيـة الغربيـة، والكونـت جوسـلين الـذي اغـار عليها من الناحية الشمالية، ودبيس بن صـدقة مـن أمـراء بنـي مزيـد في العـراق الطـامع بحلـب، ومجموعة من السلاجقة عسكروا في الجانب الشرقي؛ ابن الأثير، الكامـل في التـاريخ، ج8، ص241- 249؛ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج7، ص348- 352.

(3) ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص211.

(4) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص435.

(5)Balduini III Hierosolymitanl Latinorum Regis Quarti، Hisortia Nicaean vel Antiochena (Paris، 1895) P،176.

نتنةٍ من الجثث المتعفنة للشرقيين الذين ذبحهم رِفاقنا وقت استيلائهم على المدينة، تـرى جثثهم ملقاةً حيث لقوا حتفهم))[1].

وذكرت مصادر لاتينيـة أخـرى بـأن الصـليبيين اسـتمروا أسـبوعًا كـاملًا يسـتبيحون ويقتلون في المدينة، ومن شدة بشاعة هذه المجزرة وما حدث فيها من سفك للدماء رُعِب الصليبيون أنفسهم مما فعلوه وأصابهم شعور الخوف والاشمئزاز[2].

ولم يُراعِ الصليبيون حرمة الأماكن المقدسة، فقتلوا عددًا كبيراً من المسـلمين داخـل بيت المقدس من بينهم العلماء والزهاد، والفقهاء والمحدّثين، وحرقوا ما فيه من المصاحف الشريفة[3]، وقد قُدّر عدد القتلى أكثر من سبعين ألـف شـخص، واخـذوا يرفسـون الجثـث بالأقدام التي كانت داخل الحرم الشريف[4] وهذا ما أكده المؤرخ الصـليبي (ريمونـداجيل) حينما قال: ((... **إنهم الفرنجة داسوا بالخيول جثث المسلمين المكدسة في الحرم الشريـف، وكانت الدماء تصل حتى لجام الخيل))**[5]، وهذا يدل على كثرة من قُتل من المسلمين.

وعلى الرغم من حجم الكارثة والمعلومات عن الأرواح التـي زهقـت إلا أنّ وصـول الدماء الى لجام الخيل تبدو مبالغًا فيها، وهذا التعبـير يـدل عـلى البشـاعة بسـفك الـدماء وشدة بطشهم.

---

(1) تاريخ الحملة، ص62.

(2) مجهول، أعمال الفرنجة، ص120.

(3) السمين، الحياة السياسية في بلاد الشام، ص108.

(4) ابن الراهب، أبو شاكر بطرس بن أبي الكرم بن المهـذب، (ت681هــ/ 1282م) تاريخـه، عنـي بـنشره الأب لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت، 1903م) ص 72.

(5) (ت بعد 500ه/ 1106م) تاريخ الإفرنج غزاة بيت المقدس، تقديم: جوزيـف نسـيم، ترجمـة: حسـين محمد عطية، دار المعرفة (الاسكندرية، 2002م) ص247.

وانتشرت المذابح والمجازر في كل مكان في بيت المقدس ولم تتردد الجيوش الصليبية بأن تفعل بجثث القتلى أبشع ما يكون فراحوا يقطعون رؤوسهم ويرمونها في الطرقات في كل ناحية بحيث يتعذر على الماشي أن يسير من دون أن تطأ قدمه هذه الجثث[1]، ولم يسلم أحد حتى النساء والأطفال، وهذا ما أكده المؤرخ الفرنجي (فوشيه الشارتري) عند دخوله للقدس إذ قال: ((**لو أنك كنت موجودًا لغاصت قدماك حتى العقبين في دماء المذبوحين، ترى ماذا أقول؟ إننا لم نترك أحدًا منهم على قيد الحياة، ولم يَنجُ حتى النساء والأطفال**))[2].

ومن بشاعة ما فعله الصليبيون بسكان القدس، أخذوا يمثلون بالجثث ابشع تمثيل فلم يتركوا جثة الا وقاموا بشق ملابسها وأخذها[3]، ووصلت بشاعة أعمالهم أن قاموا بإشعال النيران في جثث المسلمين؛ لتسهيل عملية حصولهم على الدنانير التي ابتلعها المسلمون وهم على قيد الحياة، وأمر الصليبيون بإلقاء جثث المسلمين خارج مدينة بيت المقدس، ومن كثرة عدد الجثث كانوا يضعونها فوق بعضها البعض لدرجة أنها حاذت البيوت ارتفاعًا[4].

وبعد الانتهاء من استباحة القدس وهروب من نجا من أهلها اتجه الجيش الصليبي الى المناطق المجاورة لها مرورًا بحيفا وقيسارية وعكا وطرابلس، ففي سنة (494ه/ 1101م) قام الصليبيون بقيادة ملك بيت المقدس بلدوين الأول بشن حملة عسكرية على قيسارية بعد حصارٍ للمدينة دام خمسة عشر يومًا، وعلى الرغم من مقاومة أهلها إلا أنها سقطت، فاستباح الصليبيون المدينة ونهبوها، فلجأ سكانها إلى

---

(1) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص435.

(2) تاريخ الحملة، ص122.

(3) الشارتري، تاريخ الحملة، ص115.

(4) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص469.

المسجد الجامع في المدينة، إلا أنّ الصليبيين لحقوهم[1]، وجرت مذبحة داخل المسجد حتى صار صحن المسجد بحيرة من الدماء، وذكرت المصادر أنّ الملك بلدوين الأول أراد أن يظهر للمسلمين أنه يحفظ عهد من يسالمه، ولا يرحم من يُحاربه، إلّا أنّه غدر بهم، أما النساء والأطفال فأخذوهم الى سوق العبيد ليواجهوا حياة الرق والعبودية[2].

أما مدينة عكا فقد فرض الصليبيون الحصار عليها لمدة شهر، منتظرين وصول السفن الإيطالية القادمة من جنوة والبندقية، والبالغ عددها سبعون سفينة محملة بالجنود والحجاج والتجار، وبعد أن وعدهم بلدوين بثلث غنيمة مدينة عكا وامتيازات تجارية، اقتحموا عكا ونقض الجنويون والبنادقة العهد مع بلدوين الذي أعطى الأمان لإهلها، فسارعوا في استباحة دماء أهلها ونهبها[3] وهذا ما أكده ابن الأثير فقال: ((**وساروا إلى مدينة عكا استنجدهم الملك بغدوين، ملك الفرنج، صاحب بيت المقدس على حصارها، فنازلوها وحاصروها في البر والبحر... وملك الفرنجُ البلد بالسيف قهرًا، وفعلوا بأهلِه الأفعال الشنيعة**))[4].

---

(1) Albret، d Aix، History of the Journey to Jerusalem Trans، by Susan، B، (Oxford University، 2000)p،540.

(2) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص139؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص27.

(3) ابن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، ج2، ص13.

(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص29.

4- المذابح والمجازر في طرابلس والمناطق المجاورة لها:

شعر الصليبيون بضرورة استكمال الاستيلاء على المدن الساحلية؛ لضمان قدوم المساعدات من أوروبا، فاستباحوا صور، ودخلوا بيروت وقتلوا الكثير من أهلها حتى من النصارى العرب الشرقيين، وفي سنة (500هـ/1107م) فشلوا في دخول صيدا؛ بسبب مساعدة الأسطول الفاطمي لها، فتوجه الصليبيون الى طرابلس بعد سنتين فسقطت بيدهم؛ لأنّ الأسطول الفاطمي هرب إلى مصر، فواجهت المدينة مصيرها وحدها، ولم يكتفِ هؤلاء الغزاة بالاستيلاء على طرابلس، بل عمدوا وبكل وحشية إلى تخريب هذه المدينة والتنكيل بأهلها، فقتلوا رجالها وسبوا نساءها[1]، وقضوا على كل ما يمثل تقدمًا وتحضرًا فيها، وكان من بين أبرز ما خربوه هو دار العلم فيها، فقد عمدوا إلى حرق مكتبة بني عمار التي كانت من أكبر وأروع المكتبات في العالم الإسلامي في تلك الحقبة؛ تعصبًا وكرهًا للإسلام[2].

إن بشاعة هذه الجرائم بحق المسلمين لا يمكن أن تُبرر أبدًا، لأن الصليبيين تلك هي أخلاقهم وأفعالهم، فالوحشية من طباعهم، فهم فعلوها قبل ذلك في بيت المقدس، وقبله في أنطاكيا والرها ومناطقهما، فهم لم يستثنوا أحدًا من القتل، الكبير والصغير والمحارب والمسالم، وفي الحقيقة فإن هذا الأمر ماهو إلا حقد الصليبيين الكبير على الإسلام، وهو الذي دفعهم إلى ارتكاب هذه المجازر الوحشية، ذات الطابع العنصري التعصبي وهو بداية لمشروع استيطاني يهدف الى تغيير سكاني لبلاد الشام.

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج8، ص578.

(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج5، ص182؛ عبد الدايم، عبد العزيز محمود، امارة طرابلس الصليبية في القرن الثاني عشر، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة ام القرى (مكة، 1971م) ص59.

ب- تهجير السكان وطردهم:

لم يكتفِ الصليبيون بسياسة تفريغ المدن من سكانها بما فعلوه من مذابح جماعية وعمليات إبادة للسكان، بل لجأوا إلى سياسة التهجير الجماعي لسكان المدن؛ لتفريغ الأرض من سكانها الأصليين، ثم الاستيلاء عليها ليحلّوا محلهم[1]، ولاشك أن عمليات التهجير البشعة التي مارسها هؤلاء الغزاة الصليبيون أخذت أكثر من طريقة والهدف واحد يتمثل بتغيير خارطة بلاد الشام السكانية[2]، فكانت تتمثل بـ:

1- أعمال القتل والتعذيب التي مارسها الصليبيون عند دخولهم القرى والمدن، والتي أثارت المخاوف في نفوس السكان، كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى زعزعة الاستقرار النفسي في سكان بلاد الشام، ونتج عنها نزوح جموع غفيرة من المسلمين بعد أن حزموا أمتعتهم، وحملوا ما استطاعوا حمله خوفًا على حياتهم وعقيدتهم، لا بل هناك من لا يستطيع حمل ابسط احتياجاته؛ نتيجة الذعر الذي أصابه[3].

فعندما وصل الجيش الصليبي بقيادة جودفري على مشارف مدينة انطاكيا، ترك السكان أماكنهم ومنازلهم وهاجروا الى حلب؛ بسبب مما سمعوه عن الأعمال والمجازر الوحشية التي لحقت بالقرى المجاورة لأنطاكيا[4]، وفي سنة (493هـ/ 1100م) ترك الصليبيون انطاكيا وهاجموا حلب وحاصروها، واستولوا على كفر طاب[5] وبرج

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص29.

(2) عطية، حسين محمد، المسلمون في الإمارات الصليبية في بلاد الشام، مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي (491- 690هـ) كلية الاداب (جامعة اليرموك، 1999م) ص377.

(3) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص351.

(4) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص270.

(5) **كفر طاب:** بلدة بين معرة النعمان ومدينة حلب، اتخذها الصليبيون حصنًا لهم يغيرون منه على حلب؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص470.

الحاضر الذي يقع في غرب حلب، مما دفع جزءًا من سكان حلب وكفر طاب وأهل انطاكيا الأصليين النازحين الى حلب بالهجرة والعودة الى انطاكيا[1]، إلا أن هؤلاء المهاجرين لم ينعموا طويلًا برجوعهم إلى انطاكيا، إذ إنّ الصليبيين في سنة (498هـ/ 1105م) قاموا بالرجوع مرة أخرى إليها؛ بسبب فشلهم في حصار حلب فهاجر المسلمون الى حلب مرة أخرى[2].

وفي سنة (499هـ/ 1106م) غزا الصليبيون مدينة سرمين الواقعة جنوب حلب، وكان غالبية سكانها من المسلمين، فهاجروا إلى مدينة حلب ومنهم من هاجر إلى حماة، ولم يمض وقت طويل حتى عاد صاحب انطاكية الكونت النورماني تنكرد Tancred بالهجوم على حلب من جهة الشرق سنة(503هـ/ 1109م) ووصل إلى بلدة منبج وبالس فوجدهما خاليتين من السكان؛ خوفًا من بطش الغزاة[3]، وبناءً على ذلك يتبين إنّ المدن والقرى التابعة لحلب، والواقعة بينها وبين أنطاكية، كانت تعاني من عدم الاستقرار، وكان سكانها في حالة هجرة دائمة؛ بسبب الحروب المستمرة بين المسلمين والصليبيين، فضلًا عن الأخبار التي ترشدهم عن بشاعة الصليبيين في تعاملهم مع السكان المسلمين.

وهاجر عدد كبير من طرابلس من المسلمين الذي اختلف المؤرخون في اعدادهم جراء الأعمال الوحشية والبربرية التي ارتكبها الصليبيون ضد سكان بيت المقدس[4]، إذ هاجر معظم سكان مدينة يافا الذين قاموا بمغادرة منازلهم بعد وصول الأخبار إليهم

(1) عطية، إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون، دار المعرفة (بيروت، 1989م) ص122.
(2) ابن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، ج2، ص17.
(3) ابن العبري، تاريخ الزمان، ص132؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج2، ص224.
(4) Jacques de vitry، Letters،ed. R.B.C.Huygens(Leiden، 1960) p.93.

عن طريق العيـون والمـراقبين للتطـورات العسـكرية المتسـارعة للصـليبيين في خـبر نيّـتهم الاستيلاء على هذه المدينة[1].

وفي مدينة الرملة عندما علم سكانها باقتراب الصليبيين فرّوا تاركين أمتعتهم، فوجد الغزاة الصليبيون بيوتها مليئة بالأطعمة، وأراضيهم مزروعة ومثمرة من دون حصدها على الرغم من أنّ ذلك كان موسم حصـادها[2]، فقـام الصـليبيون بحمـل كـل مـا وجـدوه مـن محاصيل وغلال على ظهور دوابهم[3]، مما يعني أن المسلمين غادروا المدينة في أقصى سرعة من دون أن يفكروا في حمل أي شيء حتـى طعـامهم؛ بسـبب الأخبـار التـي وصـلتهم عـن وحشيّة الصليبيين واجرامهم بحق سكان المسلمين.

أما سكان مدينة طرطوس[4] فبعد حصـار مـدينتهم التـي أوشـكت عـلى السـقوط والإبادة، بدأ سكانها بالهروب ليلًا مع نسائهم وأولادهـم، ولم يأخذوا أي شيء مـن متـاع أو طعام، حتى قيل: إنهم كـانوا يسـتطيعون الصـمود، إلّا أنّ خـوفهم مـن فضـائع الصـليبيين جعلتهم يتركون ديارهم[5].

2- تصـفية السـكان بقـوة السـيف والجـرائم البشـعة التـي قـام بهـا الغـزاة الصليبيون، ولاسيما بحق العلماء المسلمين، وعلى رأسهم أسرة بني قدامة التي كانت تشتهر بالعلم والمعرفة؛ لتحريضهم وتشجيعهم على مقاومة الغزو الصليبي[6]، وتنبـه

---

(1) دانيال، وصف الأرض المقدسة في فلسطين، ص48.

(2) توديبود، تاريخ الرحلة إلى بيت المقدس، ص29.

(3) مجهول، أعمال الفرنجة، ص108.

(4) **طَرطوس**: مدينة في بلاد الشام بين أنطاكيـا وحلـب بـالقرب مـن البحـر المتوسـط؛ يـاقوت الحمـوي، معجم البلدان، ج4، ص30.

(5) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص 231.

(6) الملا جاسم، وسفانة جاسم الجبوري، علماء بيت المقدس من خلال كتاب الـوافي بالوفيـات للصـفدي (دراسة كمية) مجلة مداد الاداب، العدد 15، (جامعة الموصل، د. ت) ص292.

الصليبيون إلى نشاطات آل قدامه والتحريض ضدهم، فعزموا على قتل الكثير منهم ومن أقربائهم مثل: آل عبد الهادي، وأسرة راجح، وبني عبد الواحد، واسرة المرداوي وغيرهم[1].

ولم يترك الصليبيون أحدًا كان يقابلهم الا وقاموا بقتله وسلبه ونهبه، مثلما فعلوه بحق سكان انطاكيا ومعرّة النعمان والقدس بشهادة مؤرخ الحملة الصليبية الأولى (فوشيه الشارتري) الذي قال: ((**وبقيت أراضي القدس خالية من السكان لهذا السبب- القتل- لم يتوافر فيها من الناس من يدافع عنها**))[2]، أما النساء المسلمات فقد أقدم الاحتلال الصليبي على سبيهنّ وسجنهنّ وإجبارهنّ على العمل جواريًا وخدمًا في بيوت الأمراء، والقيام بتجريدهنّ من أمتعتهنّ، وتعذيبهنّ، ثم بيعهنَ في المدن الأوربية، ولاسيما في المدن الإيطالية، إذ كان كبار التجار الإيطاليين يهتمون بهذا النوع من التجارة[3].

3- التهجير القسري الذي رافق الجيوش الصليبية، بحق الآمنين، وشوهد ذلك جلياً في المدن والقرى التي استسلمت للصليبيين، مقابل الحفاظ على حياتهم والسماح لهم بمغادرتها والنزوح عنها، مثل: مدينة أرسوف[4]، وعكا، وعسقلان والتي خرجوا منها أهلها عنوةً براً وبحراً باتجاه مصر[5].

---

(1) مصطفى، شاكر،آل قدامه في الصالحية، حوليات كلية الآداب، رقم 3 (جامعة الكويت، 1982م) ص 12.

(2) تاريخ الحملة، ص80-82.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص338.

(4) **أرسوف:** مدينة في فلسطين على ساحل البحر المتوسط، تقع بين قيسارية ويافا؛ الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص495؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 151.

(5) ريموندا جيل، تاريخ الفرنج غزاة بيت المقدس، ص186.

وعندما استولى الكونت تنكراد سنة (502هـ/ 1109م) على مدينـة جبيـل[1]، اتفـق مع فخر الملك بن عمار أمير طرابلس الذي آوى إلى جبيل بعدما استولى الصـليبيون عليهـا، على إعطاء مدينة جبيل له مقابل تسليم المدينة، إلا أن تنكراد لم يفِ بعهـده فـأجبره هـو وسكان المدينـة عـلى الخـروج منهـا، فهـاجر قسـم مـنهم إلى شـيزر[2]، والقسـم الآخـر الى العراق[3].

وكان هناك أسلوب آخر للتهجير تمثل بمنح الامان والضمان للسكان مقابـل بقـائهم في مدنهم، ثم يُخيّرون بين البقاء والمغادرة، بعدها يقـوم الصـليبيون بهـدم وحـرق المنـازل وقذفها بالحجارة الضخمة ليلاً[4]؛ لترويع من بقي منهم وإجبارهم على الخروج، مما جعـل العديد من السكان يتركون منازلهم ويهاجرون إلى أماكن يجدون فيها راحتهم وامـانهم، إذ أصبح من الصعب العيش في بلدهم بوجود المحتل الصليبي[5].

4- الضغوط الاقتصادية الخانقة التـي فرضـها الصـليبيون عـلى المسـلمين الـذين قـاوموا بشـتى الوسـائل للبقـاء في أرضـهم، ففرضـت الجزيـة علـيهم، وكـانوا يـدفعون للصليبيين نصف الغلة من أراضيهم، وجزية لكل فرد مرتين في السنة، بلغ قيمتها دينارًا

---

(1) جبيل: من أقدم مدن بيروت تقع على سـاحل دمشـق (البحـر الابـيض المتوسـط)؛ يـاقوت الحمـوي، معجم البلدان، ج3، ص382.

(2) **شيزر**: قلعة حصينة بالشام قرب المعرّة بينها وبين حماة مسـيرة يـوم، في وسـطها نهـر الأردن، فتحهـا صلحًا ابو عبيد الجراح عام 17ه؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج3، ص383.

(3) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص164-165.

(4) حسين، حسن عبد الوهاب، مقالات وبحوث في التـاريخ الاجتماعـي للحـروب الصـليبية، دار المعرفـة الجامعية (د.م، 1997م) ص79.

(5) أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج2، ص307

وخمسة قراريط[1]، مما جعل السكان من المسلمين يُفضلون الهجرة إلى أماكن أخرى لا يدفعون فيها أموالًا مقابل المعيشة فيها[2]، ولم يكتفِ الصليبيون بالضغوطات الاقتصادية على المسلمين، بل قاموا بتشغيلهم عبيدًا عندهم بتحويل ملكية الأراضي التابعة للمسلمين إلى الكنيسة ورجال الدين والنبلاء والإقطاعيين، وكان الذي يمتنع عن ذلك يقومون بوضعه في السجن، فوصلت بهم الوحشية بحق هؤلاء المزارعين الذين امتنعوا عن دفع الضرائب أو عدم الموافقة على العمل عندهم إلى تقطيع إياديهم وأرجلهم؛ لإجبارهم على دفع الضرائب التي كانت تفوق قدراتهم، الأمر الذي جعلهم يهاجرون من أوطانهم بحثاً عن حياة آمنة ولقمة عيش كريمة[3]، مما يدل على سوء الاحوال الاقتصادية التي عانى منها المسلمون.

5- عدم احترام الصليبيون عقيدة المسلمين في بلاد الشام، واضطهادهم، واستفزازهم والتضييق عليهم في ممارسة شعائرهم الدينية، إذ كانوا يقومون بوضع الصلبان في الأماكن العامة، ونشر الفساد الأخلاقي وبيع الخمور بين أزقة المسلمين، وإجبارهم على تربية الخنازير، فكان المسلمون دائمًا ما يشعرون بالاغتراب في بلادهم في ظل وجود الاحتلال الصليبي[4].

---

(1) **القيراط:** ويساوي 24/ 1 من وزن الدينار في دمشق؛ هنتس، فالتر: المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية (عمان، 1970م) ص98.

(2) شنيتر، واقع المسيحيين في بلاد الشام، ص1232.

(3) البيشاوي، سعيد، نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية (492- 690هـ/ 1099- 1291م) مؤتمر تجليات حركة التاريخ في مدينة نابلس (جامعة القدس، 1991م)، ص 296.

(4) ريموندداجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص120؛ السامرائي، الحرف والصناعات في الامارات الصليبية، ص134.

وكان من شدة بطش الصليبيين أنّهم حاربوا من بقي من المسلمين في مدنهم المحتلة، حتى في عقيدتهم، مما دفع بالمسلمين الى اخفاء وكتمان اسلامهم، وعدم اظهار طقوسهم الإسلامية مثل: الصلاة؛ من أجل الإبقاء على حياتهم، والمحافظة على مناصبهم في وظائفهم، وبهذا الصدد ذكر ابن جبير: ((**من عجيب شأن هؤلاء الفتيان إنهم يحضرون عند مولاهم فيحين وقت الصلاة، فيخرجون أفذاذًا من مجلسه فيقضون صلاتهم وربما يكونون بموضع تلحقه عين الملك فسترهم الله**))[1].

6- لم تكن سياسة التهجير التي اتبعها الصليبيون في بلاد الشام تقتصر على العنصر السكاني من المسلمين فقط، وانما امتدت إلى مدن النصارى العرب، فقد كان المسيحيون الشرقيون بطوائفهم كافة، يقطنون في أماكن مختلفة من بلاد الشام، فكانوا يتمركزون في مدينة الرها والكرك وشمال القدس[2]، وقد مثّل هؤلاء الطبقة التي راهن الغرب الصليبي على إنقاذها من الاضطهاد المزعوم الذي روجت له الدعاية الصليبية الكاذبة، فقد جاء في خطاب البابا أوربان الثاني في كليرمونت: ((**عليكم أن تسارعوا لمد يد العون لإخوانكم القاطنين في الشرق الذين يحتاجون إلى مساعدتكم**))[3].

وعندما دخل الصليبيون بلاد الشام اظهروا احتقارهم لهؤلاء النصارى، وعدّوهم هراطقة لا يستحقون الاحترام، وقاموا بمصادرة أموالهم وأملاكهم[4]، وكما هو الحال عند اليهود الذين كانوا من بين الفارين من مناطق سكنهم التي كانت تنحصر في أماكن محدودة موزعة بين الرملة والمدن الساحلية والقدس، وهم أول الفارين من

(1) ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص 300.

(2) القلقشندي، صبح الاعشى، ج4، ص155-156.

(3) الشارتري، تاريخ الحملة الى بيت المقدس، ص36.

(4) مونروند، من تاريخ الحروب المقدسة في المشرق، ج1، ص104.

السكان؛ بسبب وصول الخطابات والتحذيرات من إخوانهم عن المذابح والمجازر المرتكبة في الغرب الأوربي ضد اليهود، فهاجر أهل الذمة من النصارى واليهود مع المسلمين، من أمام مجازر القتل والبطش إلى أماكن أخرى محتمين براية الإسلام[1].

ومن الواضح أن عملية الطرد والتهجير الجماعي كانت سياسة ممنهجة لدى المحتل الصليبي لإفراغ الأرض من أهلها وسكانها الأصليين؛ لكراهيتهم وعدائهم للمسلمين، وبلا شك أنَّ هذه الاعمال هي مناقضة لتعاليم النبي عيسى (عليه السلام) بزعمهم أنَّهم جاءوا لنصرته[2].

ثانيا: الأساليب التي اتبعها الصليبيون في التغيير السكاني(الديموغرافي) بعد دخولهم مدن بلاد الشام:

بعد دخول الصليبيين واستقرارهم في مدن بلاد الشام، اتبعوا طرقًا وأساليب لاستكمال مشروعهم الحقيقي بعد مجازر القتل والتهجير؛ لتغيير هوية وخارطة المنطقة على المستوى السياسي والاجتماعي والاقتصادي[3]، فقاموا بعمل الاتي:

أ- القوانين والتشريعات الخاصة بتمليك الأرض للصليبيين:

اتبعت القوات الصليبية سياسة تهدف إلى مصادرة عقارات وممتلكات المدن التي سيطروا عليها المنقولة وغير المنقولة وفقاً لـ(قانون الغزو The Law of Conquest)

---

(1) بالار، الحملات الصليبية والشرق اللاتيني، ص118.
(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص19.
(3) براور، الاستيطان الصليبي، ص 108.

الذي ينص على حق الكونت أو القائد الصليبي الذي يرفع رايته فوق أي موضع أو قرية من أنْ تصبح هذه ملكاً خالصاً له لا ينازعه فيها أحد[1].

والذي أصبح منذ أن بدأت العمليات العسكرية على بلاد الشام، جزءاً من تشريع الغزو الصليبي، وبعد الاستيلاء على المدن بدأ الصليبيون بوضع قوانين تخص ملكية الأراضي؛ لتتلاءم مع التطورات التي تحصل في الإمارات الصليبية؛ ومن أجل حيازة وشغل أكبر مساحة من الأرض[2]، وبالبحث الدقيق تبيّن أن هناك تداخلًا كبيرًا بين التشريعات والقوانين الصليبية، وكانت دائمة التجديد؛ لأن هذه الجموع الغازية على ما يبدو همجية وغير متحضّرة، لم يصدر منها دستورًا أو قوانين منظمة إلا وقت حاجتها، فيُمكن تصنيف هذه القوانين بحسب الظروف الملائمة لاستحداثها مما يسهل عملية فهمها:

1- القوانين والتشريعات الخاصة لمعالجة نقص العنصر البشري:

أصدر الصليبيون العديد من القوانين والتشريعات؛ لتشجيع وتسهيل هجرة المسيحيين الغربيين الموجودين في أوربا وترك بلدانهم، وقدومهم الى بلاد الشام التي تفيض باللبن والعسل، ولاسيما بعد المجازر والجرائم التي ارتكبها الصليبيون بحق السكان المسلمين، فضلًا عن عمليات الطرد والتهجير[3]، وإنَ قيادات الصليبيين[4]

---

(1) الشارتري، تاريخ الحملة، ص75؛ الصوري، تاريخ الحروب الصليبية،ج1، ص437؛ ريموندأجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص233.

(2) الشارتري، تاريخ الحملة، ص75؛ الصوري، تاريخ الحروب الصليبية،ج1، ص437؛ ريموندأجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس، ص233.

(3) مونروند، من تاريخ الحروب المقدسة في المشرق، ج1، ص104.

(4) حدد (وليم لصوري) أسباب رجوعهم، أمثال: روبرت دوق فلاندر وروبرت النورماندي إلى بلادهما بوصفه أن رحلة الحج التي كانا قد بدأها انتهت بنهاية ناجحة باحتلال مدينة القدس، وبانتهاء المهمة أبحرا بإحدى السفن إلى القسطنطينية، إذ استقبلهما الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين بحفاوة، ومنحهما الهدايا ثم توجها منها إلى أوربا؛ تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 461؛ الزيدي، الصليبيون في بلاد الشام، ص132.

وجنودهم قد غادر معظمهم الى بلادهم، ولاسيما بعد أن تم تحقيق هدفهم الرئيس وهـو الاستيلاء على بيت المقدس[1]؛ مما سيُفشـل الصـفحة الثانيـة مـن المشروع الصـليبي وهـو الاستيطان والاستقرار في هذه الأرض.

لذا طلب جودفري أثناء توديعه لبعض من القادة الصليبيين العائدين إلى أوربا، أن يبذلوا قصارى جهدهم لتشجيع الأوربيين للقدوم إلى الشرق بهدف القتال لأجـل الصـليب، وترغيبًا بسحر الشرق وجماله، مذكراً إياهم بالوضع الحرج الـذي اصـبح عليـه الصـليبيون ولاسيما وان الأخطار بدأت تهددهم وتحيط بهم[2].

وأجرى الصليبيون بعض التعديلات التي تتلاءم مع التركيبية السكانية الجديـدة التي أحدثها التغير الديموغرافي بدخول الصليبيين إلى بلاد الشـام الـذين بـدأوا بمواجهـة الظروف والتحديات الجديـدة[3]، فـتمكن ملـك بيـت المقـدس الأول جـودفري في عـام (493هـ/ 1100م) من اصدار قانون السنة واليوم، يؤكد هذا القانون على أن مـن سـكن منزلًا أو امتلك أرضًـا مـن الفرنجـة مـن مـدة تتجـاوز السـنة واليـوم تصـبح ملكًـا لـه، بشرط ألّا يتركها ويغادر، وبذلك تمكن جودفري مـن الحـد مـن مغـادرة الصـليبيين الى بلادهم[4]، ووصلت أعداد كبيرة من الصليبيين قادمين للحج إلى القدس، وتوجه كل من بوهيموند وبلدوين إلى إقناع قسمٍ منهم بالبقاء في فلسـطين وأنطاكيـا مقابـل مـنحهم

---

(1) الشارتري، تاريخ الحملة، ص79؛ الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص471.
(2) رنسيمان، تاريخ الحروب، ج1، ص 422.
(3) براور، الاستيطان الصليبي، ص457.
(4) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص536؛ الحياري، القدس زمن الفاطميين، ص53.

الضـياع بقـانون مخصـص يحمـي ممتلكـاتهم، واسـتطاع أن يحقـق بعـض النجـاح بهـذا الخصوص[1].

ويبدو أن هذه الإجراءات التي اتخذتها القادة الصليبيون لم تكن كافية لأجل زيادة العناصر السكانية، فقد ذكر (الشارتري) أن المسلمين وصلوا الى أبواب القدس بـالقرب مـن طبرية وكبدّوا الصليبيين خسارة فادحة في معركة الصِّنَّبْرة (507هـ/1113م)[2]، أدى ذلك إلى كشف نقطة ضعف الصليبيين المتمثلة في قلة عدد السكان في المدن التي سيطروا عليها[3].

وهذا النقص في أعداد الافرنج أثـار مخـاوف ملـك بيـت المقـدس الثـاني بلـدوين الاول، إذ لم يكن هناك من القوة البشرية ما يكفي لتثبّت أركان المملكة، مع عدم وجود الامان حتى داخل المملكة[4]، وقد وصف (وليم الصوري) ذلك فقال: **((.... فنادراً ما كان هنالك مكان يستطيع المرء أن يرتاح به بأمان حتى داخـل أسـوار المدينـة، وفي المنـازل ذاتهـا حيـث كـان السـكان قليلـين ومبعـثرين))**[5]، وفي وصـف دقيـق آخـر للأوضـاع في مملكة بيت المقدس جاء وصفه في قوله: **((كانت المدينـة المقدسـة خاليـة تقريبـاً مـن السـكان إذ لم يكـن فيهـا مـن النـاس مـا يكفـي للأعـمال، والخـدمات التـي تحتاجهـا الدولة الجديدة، أهالي بلدنا قليلين جداً ومعـوزين، لدرجـة أنَّهـم لم يسـتطيعوا شـغِل**

---

(1) سميل، الحروب الصليبية، ص 30 ؛ الزيدي، الاستيطان الصليبي، ص134.

(2) **معركة الصِّنَّبْرة:** أول تحالف إسلامي ضد الصليبيين، هُزم فيها الجيش الصليبي بقيادة بالـدوين الأول، والمسلمون بقيادة أتابك الموصل مودود التونكتين وأتابك دمشق طغتكـين، والصـنبرة في موضـع في الاردن قرب طبرية؛ ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص185؛ الشارتري، تاريخ الحملة، ص152.

(3) تاريخ الحملة، ص153.

(4) براور، الاستيطان الصليبي، ص145.

(5) تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص472.

شارع واحد إلا بصعوبة))[1]، وحتى يعوض الصليبيون هذا النقص في القوى البشرية، اتَّبعوا سياسة تهدف الى تشجيع الهجرة الى المناطق التي يسيطرون عليها، بعد اصدار قوانين لإغرائهم ومنحهم اراضي ومنازل المسلمين التي تركوها[2].

وقد أدرك بلدوين تلك الحقيقة، إذ إن المدن التي تحت سيطرته كانت خالية تقريبا من السكان، ولا يوجد فيها من يدافع عنها من خطر هجمات المسلمين المفاجئة[3]، فبدأ باستقطاب العناصر النصرانية الشرقية المستقرة في شرق الاردن مصطحبين معهم نساءهم وأطفالهم، ومنحهم بعض الامتيازات، فأقطع لهم أجزاءً من شرق القدس، في الحي الذي كان يسكنه اليهود قبل المجزرة التي ارتكبها الصليبيون بحقهم ليستقروا فيه[4]، وتوفير أماكن ومساحات زراعية لهم ولقطعانهم ومواشيهم[5].

2- **القوانين والتشريعات الخاصة بالتجار والنبلاء:**

أدت تلك الهجرات الى حدوث زيادة ملحوظة في الاستقرار السكاني، وبدورها أدت تلك الزيادة إلى خلق مشكلة أخرى تتعلق بتوفير الغذاء، فرأى الصليبيون أنَّ من الضروري توفير الطعام لهم، فمنحوا للتجار الإيطاليين من مدن البندقية وجنوه وبيزا امتيازات مغرية جدًا[6]، فقد أصبحوا معفيّين من الضرائب، وغير ملزمين بالنظام الاقطاعي، وكذلك منحت لهم امتيازات الحي الذي كان يشكل مقاطعة أو جزءًا من

(1) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص460.

(2) Benvenisti، The crusaders، p، 218.

(3) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية،ج1، ص 458.

(4) البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس، تقديم: محمود سعيد عمران، دار الشيماء للتوزيع والنشر (رام الله، 2015م) ص145.

(5) رنسيمان، تاريخ الحروب، ج2، ص 164.

(6) هايد، تاريخ التجارة في الشرق الادنى، ترجمة: احمد محمد رضا، تقديم: الهيئة المصرية العامة للكتاب (الاسكندرية، 1958م) ج1، ص 151-153.

ممتلكات الحكومة في بيت المقدس، وهي مستقلة عن السلطة[1]، واستوطن هؤلاء في عكا وشكلوا المحرك الأساس للمجتمع الصليبي في بلاد الشام في جلب مستوطنين جدد مع بضائعهم التجارية، وكان لكل مدينة ايطالية في الممالك الصليبية وكيل خاص بها لرعاية مصالحها التجارية[2].

وفي نهاية عام (492ه/ 1100م) أصدر جودفري قانونًا[3] ينص على توزيع هذه الأراضي على شكل شبه إقطاعات مقسمة بين التجار وطبقة النبلاء، بشرط أنْ يقوموا بجلب مستوطنين جدد لأراضيهم من الغرب الأوربي[4]، وقد منح جودفري الكونت روبرت أبوليا Robert Apulia إقطاعية مدينة أرسوف، وأعطى التاجر الإيطالي جريار أوف سنس jaryar of sns إقطاع الجليل[5]، وأصبحت لجودفري السيادة على هذه الإقطاعات، إذ امتدت سيادته من مدينة نابلس شمالاً إلى مدينة الخليل[6] جنوبًا،

(1) عاشور، الحركة الصليبية، ج1، ص490.

(2) توفيق، دور المدن التجارية الإيطالية في الحروب الصليبية، ص159 - 161.

(3) ويرجع السبب الذي جعل جودفري يعمد إلى إصدار هذا القانون؛ هو النظام الإقطاعي الحربي الذي قام بإدخاله السلاجقة إلى العالم الإسلامي، وذلك عندما أقطع السلطان ملكشاه أخاه تاج الدولة تتش بعض الأراضي التي كانت واقعة تحت حكمه في بلاد الشام لجيشه، لذا كان من السهل أن يحتل الفارس الصليبي مكان الفارس السلجوقي من دون أن يقوم بإحداث أي تغيير في الأوضاع الإدارية والاجتماعية لبلاد الشام؛ البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس، ص63.

(4) الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص62.

(5) **اقطاع الجليل:** يقع على مرتفع في شمال فلسطين وينقسم على قسمين اعلى وأسفل، وأكبر مدنه عكا والناصرة وصفد؛ دانيال، وصف الأرض المقدسة في فلسطين، ص7-8.

(6) **الخليل:** مدينة عربية كنعانية الأصل في فلسطين، اطلق عليها الفرنجة اسم القديس إبراهام؛ الهروي، الإشارات إلى معرفة الزيارات، ص 35؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص337.

ومن نهر الأردن والبحر الميت شرقًا الى ساحل يافا غرباً، وبقيت السيادة الملكية لكل من القدس وعكا لجودفري[1].

وأصدر الملك بلدوين الثاني قانونًا في سنة (511هـ / 1119م) يتضمّن إعفاء التجّار النصارى الشرقيين بطوائفهم جميعًا المتمثلين بالأرمن والسريان وحتى الاغريق من الرسوم والضرائب التي تفرض على السلع والبضائع المستوردة أو الداخلة إلى الإمارات الصليبية، والسماح لهم بالسكن مع الإفرنج، ويبدو أنّ الملك بلدوين الثاني أراد بذلك تشجيع الاستيطان أولًا، وإحياء الوضع الاقتصادي ثانيًا[2].

وشكّل اختلاط هؤلاء التجار الإيطاليين بالسكان والفلاحين، بروز فئة اجتماعية جديدة عرفت بالطبقة الوسطى[3]، التي صار لها دور كبير في الحياة الاقتصادية، ومسؤولة عن الترويج وجلب التجار وتمليكهم أراضي في بلاد الشام، ثم تطور الأمر وأصبحت عكا[4] مركز المدن الواقعة في شريط ساحل البحر المتوسط وسكنًا للجاليات التجارية (الأرستقراطية)[5].

---

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص 427.

(2) هايد، تاريخ التجارة، ج2، ص191؛ السامرائي، الحرف والصناعات في الامارات الصليبية، ص249.

(3) **الطبقة الوسطى**: ظهرت في مدينة القدس وتوسعت في باقي الإمارات الصليبية وبموجب هذه الامتيازات يسمح الملك لرعيته من النبلاء والفرسان والطبقة المتوسطة بهبة مداخلهم أو أجزاء منها الى كنيسة القيامة؛ الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص537.

(4) ذكر الاصفهاني أن مدينة عكا أصبحت ملجأً للنساء الساقطات اللاتي قدمنّ من مختلف أنحاء أوربا مع الحملة الصليبية الثالثة إلى بلاد الشام عام (585هـ / 1189م)؛ الفتح القسي في الفتح القدسي، ص 170؛ الزيدي، الاستيطان الصليبي، ص138.

(5) الحياري، القدس زمن الفاطميين والفرنجة، ص62.

وفي سنة (517هـ / 1124م) عُقد مؤتمر استيطاني في مدينة عكا، تم فيه إصدار قانونٍ يتضمن تسليم مدينتي عسقلان وصور وقراهما الخاليتين من السكان للتجار والجنود البنادقة مقابل اشتراكهم في استكمال الاستيلاء على المدن الإسلامية[1]، ووصل عدد المستوطنين في عسقلان وصور الى مايقارب الخمسةَ عشر ألف نسمة، والقدس وحدها خمسة وعشرين ألفًا، والرها وأنطاكيا عشرة الاف نسمة[2].

3- القوانين والتشريعات الخاصة بالأمراء والجند:

بعد وفاة جودفري (493ه/ 1100م) توّج بلدوين الأول ملكًا على بيت المقدس، فكان أول عمل قام به هو إدخال النظام الإقطاعي الى بلاد الشام الشبيه بالنمط الأوربي، الذي كان قد أرسى قواعده جودفري؛ لتثبيت الجند والقادة في المملكة الصليبية الناشئة في بلاد الشام[3]، وذلك بتقسيم أراضي بلاد الشام وبيت المقدس على كبار الامراء في الدولة، ويذكر أنّ بلدوين قد منح أريحا وقيسارية وصيدا إلى الكونت يوستاس جارنيه[4] Yustas Ghariniih سنة (502هـ/ 1108م)[5]

وفي عهد الملك بلدوين الثاني كانت قد تشكلت البنية الأساسية للخارطة السكانية الصليبية واستمر التوطين متقطعًا حتى القرن (السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد)[6]، وتم تقسيم الإمارات الصليبية الأربع على أربعة أشخاص إقطاعيين، مملكة

(1) الشارتري، تاريخ الحملة، ص 216 ؛ البيشاوي، الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس ص197-198.

(2) سميل، الحروب الصليبية، ص 96.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص459.

(4) **يوستاس جارنييه:** أمير نورماندي سيداً لإقطاعية قيسارية صيدا، وقد عرف بولائه وإخلاصه للملك بلدوين الأول؛ رنسيمان، تأريخ الحروب، ج2، ص 139.

(5) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص542.

(6) براور، الاستيطان الصليبي، ص175.

بيت المقدس تكون للملك، وباقي الإمارات لأمراء المدن، وبدورهم يُقسمونها على أربعة من كبار السادة الإقطاعيين من أمراء الحرب فيتولون شؤون الإدارة والإشراف على الإقطاعيات التي أُسندت إليهم، وبدورهم يقسمونها الى إقطاعيات أصغر، وتكون مقسمة على المدن وإسنادها للسادة الإقطاعيين من النبلاء والتجار وأمراء الحرب، فتمثلت بإقطاعيات أساسية وثانوية، وتمثلت الإقطاعيات الرئيسة بالإمارات الأربع الرئيسة وما جاورتها تعدّ ثانوية تابعة لها[1].

أما الثانوية فكانت منها إقطاعية نابلس، والخليل، وقيسارية وبيروت، واقطاعية بانياس، واثنتي عشرة إقطاعية صغيرة هي: اللد ونابلس والخليل وحيفا وبيسان والقيمون وتبنين وبانياس واسكندرونة والداروم وبيروت، وقد خضعت الملكيات والأراضي جميعاً الى إشراف مباشر من ملك بيت المقدس، مما أدى إلى التكامل الاداري في ظل تكوين حكومة جديدة لاحتلال بشع في البلاد الإسلامية دعي باسم قوة التاج الصليبي[2].

4- **القوانين والتشريعات الخاصة بالهيئات الدينية (كنسية):**

كان لرجال الدين دور بارز في تشجيع الهجرة الى بلاد الشام، بما سنّوه من تشريعات أكدوا فيها على التكفير عن الذنوب والخطايا، وتنفيذًا لذلك بدأت بلاد الشام عامة وبيت المقدس خاصة باستقبال الآلاف من الحجاج في كل عام لزيارة كنيسة الرها وكنيسة القيامة وبيت المقدس وأماكن دينية أخرى[3]، فيبدأ الرهبان

---

(1) زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص 141 ؛ عاشور، ملامح المجتمع الصليبي، ص 32.

(2) براور، الاستيطان الصليبي، ص129؛ البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص 80.

(3) ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص 30 – 46.

بتشجيع هؤلاء على البقاء واستحضار عوائلهم، ووعدِهم بدار وقطعة أرض بمرسوم دينـي، بمجرد وصولهم إليها إذ كان بعضهم يستقر فيها؛ لما فيها من خيرات[1].

وصَدر قانون من الكنيسة الغربية بوجوب تأدية الجند الفرنجة الخدمة العسكرية في المملكة المقدسة لمدة سنة واحدة على الأقـل وإرسـال عـوائلهم معهـم[2]، ولاسـيما بعـد خسارة الصليبيين أمام المسلمين في الحملة الصليبية الثانية سنة (543هـ / 1148م) وهـذه خطة للتوسيع والتغيير الكامل؛ للسيطرة وإشغال اكبر مساحة من المدن الإسلامية[3].

وبدأ الفرنجة القدامى الذين ولدوا في الشرق ينظرون الى الفرنجة القادمين الجـدد نظرة استهزاء واستخفاف، وهذا ما أكده (ابن القلانسي) الذي قـال: ((**وردت الاخبـار مـن ناحية الإفرنج بوقوع الخلاف بينهم من غير عـادة جاريـة لهـم بـذلك، ونشـبت المحاربـة بينهم، وقُتِل منهم جماعة**))[4] مما يدل على أنهم يرون انفسهم متحضرين، فأدى ذلك الى نشوب صراعات بينهم، وزعزعة الأمـن والاسـتقرار في الإمـارات الصـليبية، وتـفشي ظـواهر السرقة والقتل[5].

وفي ظل هذه التطورات بدأت الهيئات الدينيـة العسـكرية المتمثلـة بالإسـبتارية[6]

---

(1) Jones، The Crusades، pp،189-191.

(2) التطيلي، الرحلة، ص 101؛ شنيتر، واقع المسيحيين، ص1320.

(3) ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص 88 ؛ رنسيمان، تاريخ الحروب، ج2، ص 431– 432.

(4) ذيل تاريخ دمشق، ص 374.

(5) باركر، الحروب الصليبية، ص 68.

(6) **الاسبتارية:** من كلمة Hospitaliers الايطالية، ويعـود الفضـل في تأسيسـها إلى مجموعـة مـن تجـار مدينة أمالفي الايطالية وذلك عنـدما قـاموا في عـام (473 ه/ 1080 م) بإنشـاء مستشـفى للعنايـة بالحجاج النصارى اللاتين القادمين إلى الأراضي المقدسة، وتحولت المستشفى إلى مقر هيئـة فرسـان الإسبتارية، وفي عام (507 ه/ 1113م) اعترفت الكنيسة بهيئة فرسان الإسبتارية كفرقة مقاتلة، وتـم تسميتهم بفرسان القديس يوحنا؛ الفيتري، تاريخ بيت المقـدس، ص 86؛ الصـوري، تـاريخ الحـروب الصليبية، ج2، ص 331- ص332.

والداوية[1] بدعوة من رجال الدين، تطالب بمنحها أراضٍ في بلاد الشام، لأنها بدأت بدعوة فرسانًا وجنودًا من الغرب الاوربي؛ لاستيطانهم في بلاد الشام، من أجل تقوية شوكتهم في بلاد الشام والإغارة على بلاد المسلمين، فمنحت لهم إقطاعات خاصة تمثلت بالقلاع والحصون تسلّم فرسان الإسبتارية حصن بانياس وقلعة كوكب الهوى[2]، وفي سنة (544هـ/ 1149م) تسلم فرسان الداوية من بوهيموند الثالث صاحب انطاكيا حصنًا بالقرب من انطاكيا، ومُنحت الداوية أيضًا (562هـ/ 1167م) حصن غزة وقلعة صفد وحصن الأكراد[3]، إذ يبدو أنّ هذه الهيئات كان لها ثقل كبير في عملية التغيير السكاني، ولابد من أنهم ملأوا هذه الحصون والقلاع أعدادًا هائلة من الجند تحت إمرتهم.

5- القوانين والتشريعات التي فرضتها الأحداث السياسية والعسكرية:

أدت الحروب بين الصليبيين والمسلمين وما نتج عنها من قتل وأسر دورًا مهمًا في عملية التغيير المستمر لأصحاب الأرض، وتعدّ بنية المجتمع الصليبي التي كان يغيب فيها الروابط والالتزامات الأسرية سببًا مباشرًا في خلق مشكلة أمام العوائل الصليبية

(1) **الداوية**: يرجع تأسيس هيئة فرسان الداوية الى سنة (512 ه/ 1118م) زمن الملك بلدوين الثاني، وقدم لهم بلدوين الثاني جزء من المسجد الأقصى الذي أطلق عليه الصليبيون اسم المعبد، ولذلك أطلق عليهم فرسان المعبد او الهيكل، وكانت مهمة هؤلاء الفرسان في بداية الأمر حماية طريق الحجاج النصارى، وبعدها تحولت الى هيئة مقاتلة؛ الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص90؛ الصوري، تاريخ الحروب، ج 1، ص 576- 577.

(2) **قلعة كوكب الهوى**: كوكب الهوا بمعنى نجم في السماء، قرية من أعمال فلسطين شمال بيسان؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص 107.

(3) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص60؛ أبو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ص124.

التي كانت تقطن في بلاد الشام، وكان النظام السائد للملوك الصليبيين عند وفاة مالـك أي أرض زراعية أو إقطاع يتم الاستحواذ عليها من الملك، وُيمنع ولي عهد المتـوفي أو ذووه عـن المطالبة بتوريث هـذا الإقطـاع، وفي هـذه الحالـة يصـبح الملـك الصـليبي حـرًا في أن يمـنح الإقطاع الذي يريده لفارس من اتباعه، فكان في أغلب الأحيـان يمنحـه إلى أحـد المهـاجرين الصليبيين الجدد الذي يريد أن يستقر في المملكة الصليبية[1].

وعندما قتل الفارس جالديمار[2] والذي كان يمتلك إقطاعية حيفا، قام الملك بلدوين الأول بمنح هذه الاقطاعية إلى أسرة قادمـة مـن أوربـا، وعنـدما وقـع جـودفري أسـيرًا بيـد المسلمين، قام بلدوين بمنح اقطاعيته لأسرة أخرى محاولًا منه استدعاء أكبر قدر ممكن من المستوطنين، متجاهلًا عوائل القتلى والمأسـورين، فبـدأ سـادة الإقطـاع يسـتاؤون مـن هـذا الفعل، فطلبوا منه أن يجعل الإقطاع وراثيًا[3].

وبعد تتويج بلدوين الثاني ملكًا على القدس في سنة (512هـ/ 1118م) أصـدر قانونًا بتوريث الإقطاع، وينص على أنه في حال وفاة صاحبه فإنه يذهب إلى ابنائه من بعده، ويتساوى في ذلـك الولـد والبنـت، ويؤكـد أيضًـا عـلى عـدم بيـع تلـك الأمـلاك المقطوعة[4]، وينص أيضًا على جواز التنازل عن الإقطاعية المملوكة لمن يريـد، إي: أنـه يجوز للإقطاعي الذي يملك اقطاعًا أن يتنازل عنه أو عن جزء منه لمن يريد من النبلاء الجدد[5]، فقام الاقطاعيون بمنح جزء مـن إقطاعـاتهم إلى الفرسـان والجنـود؛ لحمايـة تلك الأراضي، وكان عليه أن يحلف اليمين ويؤدي الخدمة العسكرية لسيده حتى لـو

---

(1) براور، الاستيطان الصليبي، ص93.

(2) **جالديمار**: هو أحد فرسان الكونت ريموند الصنجيلي قدم إلى الأراضي المقدسة في الحملة الأولى، قتـل في معركة الرملة الأولـى عام (494هـ/1101م)؛ البيـشاوي، الممتلكات الكنسية، ص 74.

(3) براور، الاستيطان الصليبي، ص93.

(4) باركر، الحروب الصليبية، ص 55.

(5) Chalandon، F، Histoire de la Premiere Croisade، (Paris، 1925)p،301.

تعارض ذلك مع المصلحة العامة، وفي حال نشوب حرب يقوم الفارس أو الجندي بالاشتراك مع سيده الذي منحه الإقطاع[1].

وفي عهـد الملـك بلـدوين الثالـث (538-559هـ/1143-1163م) سُـنت قـوانين وتشريعات خاصة تنص على أنه يجوز للملك مصادرة الإقطاعات الخاصة بكبار الإقطاعيين إذا تخلّف هو أو من يملكهم عن الحرب، أو على من ارتكب جرائم كبرى، فيكون بذلك قد أخلّ بفروض الولاء والتبعية وتُوجه لـه تهمـة الخيانـة العظمـى والتـآمر عـلى قتـل الملـك وتعريض أمن البلاد للخطر[2].

ويتبيّن أن فكرة تغيير ديموغرافية المدن الإسلامية في بلاد الشام،قد ظهرت إلى حيـز التنفيذ مباشرةً بعد استيلاء الصـليبيين عـلى مـدن بـلاد الشـام، وقـد جـرى تنفيـذها عـلى مختلف المستويات سواء من ملوك بيت المقدس مباشرة أو الأمراء الإقطاعيين، وحتى رجال الدين، ويمكن القول: إن القـوانين التـي شرّعهـا الصـليبيون في بـلاد الشـام، كانـت سـببًا في احـداث تغيـير سـكاني ديمغـرافي في أرض الشـام، نـتج عنهـا إحكـام السـيطرة عـلى الارض ومسكها، وزيادة أعداد المهاجرين من أوربا الى بلاد الشام.

ب- بناء المستوطنات:

يُعد تشييد المستوطنات الصليبية في بلاد الشام العامـل الأسـاس في السـيطرة على الأرض، وبسط النفـوذ فيهـا، تمهيـداً لاسـتيطان أكـبر عـدد ممكـن مـن العنـاصر الصليبية داخل بلاد الشام، واستكمالًا للمخطط الاستعماري الصليبي الـذي يتمثـل في مواجهة نقص وهجرة الآلاف من العـنصر الأصـلي، في أثنـاء مراحـل الغـزو الصـليبي، فضـلًا عـن الحاجـة إلى الأيـدي العاملـة الفلّاحيـة لتحقيـق الأمـن الغـذائي، وكسـب

(1) Albret، History of the Journey to Jerusalem Trans، pp. 323، 336.

(2) براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين، ص123.

الإيرادات المالية للدولة الصليبية[1]، وكذلك تعد حزامًا أمنيًا حول المدن، فضلًا عن سكان هذه المستوطنات يتم استخدامهم جنودًا في أيام الحرب[2].

وقد اختلف المؤرخون في تحديد عدد المستوطنات الصليبية في بلاد الشام منهم من قال: إن مجموعها بلغ ما يقارب الثمانين مستوطنة[3]، في حين ذهب فريقًا آخر الى أنّ عدد المستوطنات الصليبية قد وصل إلى أكثر من مئة مستوطنة[4]، وشملت هذه المستوطنات الصليبية مدنًا، وقرى زراعية وقلاعًا، تركزت أغلبها في مناطق فلسطين وبيروت والأردن؛ لوفرة الأنهار والبحيرات في تلك المناطق[5].

وقام الصليبيون ببناء المستوطنات بالتدريج، ويرجع السبب في ذلك إلى أن القادة الصليبيين ورجال الدين المسيحي سعوا في توطين عدد من الأوربيين في مناطق بلاد الشام، ومن الواضح أنَّ غالبية من استوطن في بلاد الشام كانوا يرجعون الى أصول فلاحية أوربية، لذا كانوا لا يملكون المؤهلات الفنية في المهن والحرف، والخدمات التي كانت تشكل الاساس في اقتصاد المستوطنات[6].

ولم يهتم الصليبيون في بداية الامر بالاحتفاظ بسكان بلاد الشام، ولا حتى بأسرى المسلمين، بل لجأوا الى قتل كل من وقع في أيديهم[7]، إلّا أنّ الامور اختلفت عندما دعت الحاجة إليهم، فاحتفظوا بأسرى المسلمين؛ للإفادة من خبراتهم في

(1) Benvenisti، The Crusaders، p.218

(2) براور، عالم الصليبيين، ص 93 – 95.

(3) Benvenisti، The Crusaders، p.223.

(4) براور، الاستيطان الصليبي في فلسطين، ص499؛ باركر، الحروب الصليبية، ص79.

(5) ثيودريش، فون ويد (ت 620ه/ 1242م) وصف الأماكن المقدسة في فلسطين، ترجمة: سعيد البيشاوي، رياض شاهين، دار الشروق(عمان، 2003م) ص 123 -124.

(6) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص355.

(7) ابن القلانسي، ذيل تاريخ دمشق، ص136؛ ابن العديم، بغية الطلب، ج2، ص465.

الجانب الزراعي، ومعرفتهم بالكثير من أنواع الحرف والصناعات، إذ انهم لم يفرطوا في هؤلاء الاسرى بسهولة[1]، الامر الذي أدى في أغلب الاحيان بأن يكون فشل المفاوضات بين الجانبين الاسلامي والصليبي، ويستدل على ذلك ما أمر به ريتشارد بذبح اسرى المسلمين سنة (587ه/ 1191م) بعد فشل المفاوضات مع صلاح الدين، وابقى الصليبيون على الأسرى الذين يجيدون فن العمارة والنجارة[2]، وكذلك في عهد الظاهر بيبرس[3] سنة (662ه/ 1263م) حينما رفض الصليبيون اطلاق سراح ما عندهم من الاسرى المسلمين، لإتقانهم العديد من الحرف؛ لأنَّ أرباح الصليبيين ومصدر قوتهم معتمد بدرجة كبيرة على سكان هذه المستوطنات، وكذلك يفقدهم الايدي العاملة التي هم في أشد الحاجة إليها في وقت يعاني الصليبيون من نقص شديد، الامر الذي جعلهم يرفضون صلح السلطان بيبرس[4].

وكانت كنيسة القيامة ورجالها هي اليد اليمنى في إدارة الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية داخل المستوطنات الصليبية، فكانت تتولى أكثر من عشرين قرية في بلاد الشام منحها لهم الأمير جودفري، وقد استغل رجال الدين الصليبيون في كنيسة القيامة تلك المنحة بإنشاء أول مستوطنة عند الصليبيين وأهمها هي

---

(1) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص547؛ السامرائي، الحرف والصناعات في الامارات الصليبية، ص145-146.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 174- 175؛ رنسيمان، تاريخ الحروب، ج3، ص36.

(3) الملك الظاهر ركن الدين ابوالفتوح بيبرس التركي البندقداري، صاحب مصر والشام، ولد عام (620ه/1223م) ولي السلطنة عام (658ه/1260م)، وكان ملكا جبارا وشجاعاً، توفي سنة (676ه/1277م)؛ ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج4، ص154.

(4) مجهول (ت ق7 ه/13 م) ذيل وليم الصوري، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب (القاهرة، 2002م) ص223.

مستوطنة البيرة[1]، بعد ملاحقة وطرد آخر عنصر مسلم منها، ودام بناؤها ما يقارب الخمس عشرة سنة، منذ الاستيلاء على القدس وحتى عام (509هـ / 1115م)[2]، ولم يكن اختيار رجال الدين قرية البيرة كأول موقع استيطاني عبثًا، بل كان بمثابة عملية استقرار أخذتها الكنيسة على عاتقها، ومن ثم موقعها الاستراتيجي المهم الذي يربط مملكة القدس شرقًا ويافا وقيسارية على البحر المتوسط غربًا، ومن ناحية الشمال عكا وطرابلس وانطاكيا، مما جعلها تتوسط المدن التي استولوا عليها، وتشكل خطًا دفاعيًا عن بيت المقدس[3].

والواقع أن معظم المستوطنين الذين استقروا في البيرة هم من فئة الفلاحين والحجاج النصارى الذين قدموا من أوربا إلى الأراضي المقدسة، وقُدر عدد المستوطنين في البيرة ما يقارب المئة وأربعين أسرة، فضلاً عن المسلمين الذين سكنوا معهم في الجهة الجنوبية والشرقية من المستوطنة وعملوا في الزراعة والصناعة مقابل دفع ضريبة على المنتجات الزراعية[4].

وبعدما جاءت الحملة الصليبية الثانية عام (543هـ / 1148م) فإن القادمين من إيطاليا وفرنسا وإسبانيا والنمسا استوطن معظمهم في البيرة، وقُدر عددهم نحو

---

(1) **البيرة:** قرية بين القدس ونابلس، أطلق الصليبيون عليها مستوطنة منطقة التعبد الكبرى أو الدينية الكبرى؛ نظرًا لأهميتها لديهم؛ الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 624؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج1، ص 527.

(2) البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص 185-186.

(3) عوض، عالم الحروب الصليبية، بحوث ودراسات، عين للدراسات والبحوث (القاهرة، 2005م) ص58.

(4) ماير، تاريخ الحروب، ص 230؛ الزيدي، الاستيطان الصليبي، ص213.

أكثر من تسعين عائلة، ثم استقرت خمسون عائلة جديدة أخرى معهم، وبذلك اتسعت المستوطنة وحازت على شهرة واسعة[1].

امّا مستوطنة القبيبة[2] التي شرع الصليبيون في بنائها في الربع الأول من القرن (السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد) فهي من المناطق التي تمتعت بموقع استراتيجي مهم[3]؛ لوقوعها على الطريق الساحلي الرئيس للحجاج المؤدي إلى بيت المقدس، وأقيمت هذه المستوطنة لأغراض اجتماعية وعسكرية واقتصادية ودينية[4].

واستمر الصليبيون في سياستهم على حساب مناطق وقرى بلاد الشام، وامتدوا على شكل خطوط دفاعية عن مدينة القدس؛ فقد ذكرت المصادر أن رجال كنيسة القيامة تمكنوا من بناء مستوطنة **راماتيس**[5] في سنة (556هـ/ 1160) على أرض يبلغ ارتفاعها ثمانين متراً فوق سطح البحر، استوطنها الصليبيون، وقطع رجال الكنيسة من أراضي راماتيس الى السريان الشرقيين لإقامة منازلهم عليها؛ لتشجيعهم على

---

(1) ابن الأثير، الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية، ص91-93؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 433.

(2) **القبيبة**: اسم مصغر لكلمة القبة، أطلق عليها الصليبيون اسم المعبد الصغير، تقع بين دمشق والقدس، وتشتهر قرية القبيبة بزراعة أشجار الزيتون والتين والعنب؛ الدباغ، بلادنا فلسطين، ج8 ص 99-100.

(3) الدباغ، بلادنا فلسطين، ج8، ص 100.

(4) البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص 288.

(5) **راماتيس:** اسم قرية روماني الأصل تحريف لكلمة رامة أو رام، شمال القدس بين عكا وطرابلس؛ البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص164.

الإسهام في تطوير وتشجيع الحركة الاستيطانية[1] إذ كان اقتصادها قائمًا على زراعة الحبوب والأشجار مثل: شجرة الكروم، وشجرة الزيتون [2].

وأقام الصليبيون إلى جانب المستوطنات في المناطق الشمالية التي استولوا عليها **مستوطنة الزيب**[3] التي تقع جنوب مدينة صور[4] تمتعت هذه المستوطنة بتطور كبير سنة (548هـ/1153م) في عهد الملك بلدوين الثالث[5]، إذ قام بتشجيع الفلاحين الأوروبيين على الاستيطان، وقدم معهم اليهود الغربيون وانضم معهم مجموعة من اليهود الشرقيين، ومنح لكل شخص مع عائلته منزلاً مستقلاً وقطعة أرض التي هي بالأصل كانت عائدة للمسلمين، مع حقول من كروم العنب وأشجار الزيتون، ولاشك أيضًا أنّ هذه الحقول تركها أهلها المسلمون العرب، فضلاً عن إعفائهم عن دفع الضرائب على المواد الغذائية التي تفرض في أسواق عكا[6]، وقدر عدد العائلات فيها بأكثر من أربعين عائلة تعود أصولهم إلى سكان المدن الإيطالية والفرنسية، وقد استوطن معهم من العناصر السريانية الشرقية[7].

---

(1) مولر، فولفغانغ فينر، القلاع والحصون أيام الحروب الصليبية، ترجمة: محمد وليد الجلاد، دار الفكر (دمشق، 1984م) ص130.

(2) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص 68.

(3) **قرية الزيب**: وهي قرية كنعانية عرفت باسم أكزيب، سمّاها الصليبيون باسم أمبرت، نسبة إلى الفارس الصليبي الذي استولى عليها سنة (493هـ/1104م) ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج3، ص161؛ بورشارد، من جبل صهيون (ت بعد 630ه/ 1233م) وصف الارض المقدسة، ترجمة: سعيد عبد الله البيشاوي (عمان، 1995م) ص39.

(4) الدباغ، بلادنا فلسطين،ج7، ص344.

(5) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية،ج2، ص795.

(6) Benvenisti، The Crusaders ،p،227.

(7) ميخائيل السوري (ت 595ه/ 1199م) تاريخه، ضمن الموسوعة الشاملة في الحروب الصليبية، ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر (دمشق، 1995م) ص261-262.

وكان هنالك العديد من المستوطنات التي شيدها الصليبيون في بلاد الشام مثل: المستوطنة الزراعية راملي (رام اللــه) الواقعة بالقرب من مستوطنة البيرة، كان فيها معصرة تستعمل لعصر العنب وإنتاج الخمور[1]، ومستوطنة بيت جبرين التي مُنحت لفرسان الداوية والاسبتارية عام (531هـ/1136م) والواقعة شمال غرب الأردن على بعد 20كم من عسقلان[2]، الغرض من انشائها تأمين حدود المملكة الصليبية من جهة الجنوب ضد غارات المسلمين، وعلى الرغم من أن هناك العديد من المستوطنات الأخرى إلا أن هذه كانت أكثر أهمية، وتتشابه في أهدافها الاستعمارية الاستيطانية[3].

ومن الجدير بالذكر أن أغلب تخطيط هذه المستوطنات يتميّز بشكله الطولي، فالمنازل والبيوت التي كانت للعائلات الصليبية التي تقيم فيها كانت ممتدة على طول الشوارع الرئيسة[4]، ومما لاشك فيه أنّ هذا التخطيط هو أوروبي أكثر منه أن يكون شرقيًا اسلاميًا، مما يدل على دور الصليبيين في إجراء تغييرات حقيقية على معالم الطراز العربي الإسلامي لبلاد الشام، وصبغها بصبغة أجنبية؛ بهدف طمس عروبة هذه البلاد[5].

وخلاصة القول: إنّ تعدد قوميات وفئات المستوطنين اللاتين في بلاد الشام، باختلاف جنسياتهم، عكسوا التنوع الذي كانت عليه الجيوش الغازية الصليبية ذاتها، والتي حتوت على خليطًا غير متجانسٍ من السكان، جمعتهم رغبة واحدة، هي إعلان

(1) البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص145.
(2) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية،ج2، ص629؛ الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص48.
(3) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية،ج2، ص682.
(4) براور، عالم الصليبيين، ص167.
(5) عوض، عالم الحروب الصليبية، ص 61.

العداء للمسلمين ولدينهم، والسيطرة على المناطق المقدسة التي فيها قبر السيد المسيح، ومصادرة أراضيهم وممتلكاتهم وتغيير هوية مناطقهم.

ج- تغيير الهوية العمرانية للمدن الإسلامية:

بعد الاستقرار الصليبي سعى الغزو الى تغيير هوية مدن بلاد الشام العمرانية، وباشروا بالبناء والزيادة على قلعة القدس في فلسطين قلعة القدس الواقعة في الجهة الشمالية الغربية لمدينة القدس، واطلقوا عليها:(قلعة داوود) واتخذ الصليبيون من المسجد الأقصى مقراً رسمياً لهم، وفي عام (512هـ/1118م) شرع الصليبيون ببناء قصر للملك لبلدوين الأول شرق برج داوود، ومُنح المسجد الأقصى لرجال الدين من فرسان الداوية؛ ليكون مقراً لهم، وبعدها تم تقسيم المسجد الأقصى خلال حقبة الغزو الفرنجي على ثلاثة أقسام، الأول كنيسة سميت بـ(كنيسة يعقوب) والثاني مسكناً لفرسان الداوية[1]، والثالث مستودعاً للأسلحة، أما السراديب التي أسفل مسجد قبة الصخرة، فجعلوها إسطبلًا لخيولهم[2].

وأما مسجد قبة الصخرة فقد قام الصليبيون بتحويله إلى كنيسة، أطلقوا عليه اسم (كنيسة معبد السيد أو الرب) وجعلوا فيها دكات للمذابح والقرابين وأماكن للتعميد، مزينة بزخارف ورسوم لاتينية غائرة على الجدران والسقوف[3]، شمل هذا التغيير العمراني أغلب المناطق التي استولوا عليها فكان كل مسجد للمسلمين حولوه الى دير أو معبد أو منزل للرهبان والقساوسة، وفي مدينة نابلس حولوا فيها مشهد ضريح زكريا (عليه السلام) إلى كنيسة ومدينة الخليل كان فيها مسجد الإبراهيمي،

---

(1) الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص91.

(2) الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص159.

(3) دانيال، وصف الارض المقدسة في فلسطين، ص57.

غيروه إلى كنيسة عرفت باسم سانت إبراهام[1]، أما عكا التي امتازت بكبر حجم مساجدها فتحولت الى كنائس، وحتى دور العلم مثـل: المدرسـة الشـافعية التـي حولهـا الصـليبيون الألمان الى كنيسة أطلقوا عليها (كنيسة آن)[2].

ولم يكتفِ الصليبيون بتحويل أملاك المسلمين الى كنائس واديرة، بل لجأوا الى بنـاء العديد من الكنائس ودور العبادة النصرانيـة، فقـاموا ببنـاء كنيسـة في إمـارة الرهـا باسـم (القديس جيمس) وقد وصف الرحالة الألماني (ثيودريش) كنيسـة القـديس جـيمس أثنـاء رحلتـه لـلأراضي المقدسـة في (القـرن السـادس للهجـرة / الثـاني عشر للمـيلاد) قـائلاً: ((... **والكنيسة نفسها مستديرة...واسعة من أسفل، وضيقة من أعلى، مدعمة بثمانيـة أعمـدة، ومزينة بالرسومات بأسلوب ممتاز**))[3].

وأقـام الصـليبيون في جنـوب انطاكيـا كنيسـة (جيكـوب)[4]، وكنيســة القديــس جارجيوس في قرية اللد قرب الرملة[5]، وشيدوا بعض الأديرة مثل: ديـر (القديس مـار سابا) الواقع شرق مدينة فلسطين، ويعد من أشهر وأكبر الأديرة، يعود بالأصل للنصارى الشرقيين، إلّا أنّ الصليبيين استولوا عليه، وقد قام الصليبيون بترميم بعض الأديرة النصرانية وصـيانتها التي كانت في بلاد الشام قبل تواجدهم فيه[6]، منهـا ديـر القديسـة مـريم للاتـين والواقـع جنوب كنيسة القيامة، و دير جبل صهيون في جنوب مدينة القدس[7].

(1) التطيلي، الرحلة، ص256.
(2) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص163.
(3) وصف الأماكن المقدسة في فلسطين، ص 84 ؛ الزيدي، الاستيطان الصليبي، ص88.
(4) دانيال، وصف الارض المقدسة في فلسطين، ص 107.
(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص164.
(6) التطيلي، الرحلة، ص258.
(7) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص181.

د – التنصير والتبشير:

بدأ الصليبيون بالتبشير والتنصير في بلاد الشام من أول حملة صليبية، ووقف الصليبيون ضد الإسلام من أول ظهوره، وكانوا ينظرون بحقد شديد إلى المسلمين؛ بسبب شجاعتهم وسرعة انتشار دينهم، إذ رأوا أخيرًا أنه لا يمكن وقف المدِّ الإسلامي إلا بغزوه فكريًا، ولاسيما بعد الهزائم التي أُلحقت بهم، إذ أرسل أحد الأساقفة الصليبيين من بلاد الشام إلى الغرب اللاتيني، رسالة خاصة بشؤون المسلمين، يوصي فيها بإرسال رجالٍ (مُرسلين) التي تعني: منصّرين بدلا عن الجنود؛ لاستعادة البلاد المقدسة[1]، ومارس الصليبيون التنصير الى جانب مجازرهم بشتى الوسائل فتمثلت بـ:

1- **التنصير الذي فرض بقوة السيف:**

ذكر(ابن العديم) أنّه بعد استيلاء الصليبيين على امارة الرها، زحفوا الى معرة النعمان عام (491ه/ 1098م) وأن جماعة من الصليبيين خيروا سكانها على اعتناقهم النصرانية أو الموت، إلّا أنهم رفضوا فدارت بينهم معركة انهزم فيها الصليبيون، ثم تقدمت قوات صليبية اخرى الى المعرة وقتلوا منها ألف رجل، حملت رؤسهم على الرماح[2].

وعندما حاصر الصليبيون القدس (عام 492هـ/ 1099م) بقيادة الكونت بلدوين ورجال الدين الذين معه، وقع في الأسر عندهم مجموعة من التجار المسلمين، وحاولوا كثيراً معهم في اقناعهم باعتناق المسيحية وتركهم الإسلام، إلا انهم فشلوا في تلك المحاولات، فما كان عليهم الا أن قاموا بقطع رأس كل من رفض الدخول في دينهم أمام

(1) حتي، فيليب، تاريخ لبنان، تحقيق: أنيس فريحة، دار الثقافة للطباعة والنشر (د. م، 1959م) ص414.

(2) زبدة الحلب، ج1، ص 498.

احد أبراج بيت المقدس وهو على مرأى ومسمع الحاضرين؛ لمحاولة إدخال الرهبة والخوف في قلوبهم حتى يستسلموا ويعتنقوا المسيحية[1].

وفي عام (532ه/1138م) ذكر (ابن القلانسي) أنّ الكونت جوسلين شن حملة صليبية على أهالي حلب، فاتجه إلى بُزاعة فحاصرها، واضطر قسم من اهلها الى تسليم المدينة مقابل اعتناقهم النصرانية (((... **فتنصر قاضي بزاعة، وجماعة من الشهود وغيرهم، اربع مائة نفس**))[2] ويبدو أنهم اعتنقوا النصرانية قولًا؛ خوفًا من بطش الصليبيين.

ومن الجدير بالذكر أن الصليبيين أسّروا فئة كبيرة من الصبيان والنساء وعرضوهم للبيع في أسواق النخاسة بمختلف المدن، وكان التجار الايطاليون يشترون الأسير من عكا بثمن بخس، فضلاً عن رجال الدين الذين كانوا يشترونهم ويضعونهم في الأديرة[3]، ويبدو أن تلك الأديرة كانت تقوم بتنصيرهم بدليل أن المسلمين بعد تحريرهم حصن بيت الأحزان وجدوا عدداً من المسلمين المتنصرين وكان ذلك في سنة (575هـ/ 1179م)[4].

2- التبشير بين العبيد المسلمين:

وهناك نوع آخر من التبشير قام به الصليبيون بين العبيد المسلمين مقابل الحصول على حريتهم؛ لأن التشريعات والقوانين في بيت المقدس تمنح للعبد المسلم الذي يعتنق المسيحية؛ أن ينال حريته ويصبح حراً[5]، وهذا ما قام به ريتشارد بعد

(1) Albret، History of the Journey to Jerusalem Trans، p،469.

(2) ذيل تاريخ دمشق، ص448.

(3) زابوروف، الصليبيون، ص 135.

(4) أبو شامة، الروضتين، ج2، ص 18.

(5) الأعظمي، اليهودية والمسيحة، ص256.

استيلائه على عكا (586ه/ 1192م) إذ أمر بإطلاق سراح كل من يعتنق النصرانية من عبيد المستوطنات الذين هم من الحرفيين والمزارعين، إلا أنهم سرعان ما هربوا وانضموا الى معسكر صلاح الدين الأيوبي[1].

وبعدها مباشرة أرسل السادة الإقطاعيون ورجال الدين نداءً الى البابا جيجوري التاسع بأنهم سيفقدون عبيدهم في حال اعتنقوا المسيحية، وبدوره أرسل كتابًا الى بطريق بيت المقدس جاء فيه: ((**أن العبيد الذين يقبلون التعمد بنية الحصول على حريتهم طبقًا لعادة البلاد(الأراضي المقدسة) فإنه يتم رفضهم، بل أن بعض السادة ومنهم رجال دين يمنعون عبيدهم عن التحول للمسيحية، لأنهم ببساطة يفقدونهم**)) وقد استجاب البابا ووضع شروطًا كان من بينها من يعتنق المسيحية يبقى تحت إمرة سيده ويعامل بإحسان؛ لأن تحريره من العبودية ليس معناها الخروج عن طاعة مولاه[2].

وأصدر المندوب البابوي مرسومًا آخر عرف باسم (مرسوم يافا) يهدد فيه بحرمان السادة الاقطاعيين الذي يعملون على استغلال عبيدهم ومنعهم من اعتناق النصرانية، او من امتلك أراضيهم؛ لأن بعض الإقطاعيين منعوا عبيدهم من اعتناقها، ويبدو أن هذه المحاولات التي قام بها البابا هي من أجل إغراء العبيد المسلمين في ترك دينهم واعتناقهم النصرانية وهو جزء لا يتجزأ من التغيير الديموغرافي لسكان بلاد الشام[3].

ويمكن القول: إنّ الصليبيين منذ بدء الحملات الصليبية يسعون إلى تحقيق تلك الأهداف الاستيطانية التوسعية، إذ بدأوها باستعمار عسكري سياسي سلبوا فيه

(1) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص 139.
(2) حسين، مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي، ص 92.
(3) براور، عالم الصليبيين، ص98.

العديد من أرواح سكان بلاد الشام، ومزقوا وحدتها، وتمكنوا من استيطان أراضيها ونهب ثرواتها وخيراتها، وفرضوا عليها ثقافتهم، وحاولوا نشر دينهم في تلك البلاد وبالقوة المفرطة.

الفصل الرابع

التغييرات السكانية (الديموغرافية)
في بلاد الشام
بعد تحرير بيت المقدس (583 هـ/ 1187م)
وحتى خروج الصليبيين (691هـ/ 1191م)

أولا: تحرير المدن وهجرات الصليبيين منها

ثانيًا: الوافدون الذين استقروا في بلاد الشام بعد تحرير بيت المقدس

ثالثا: الآثار التي نتجت عن التغييرات السكانية في بلاد الشام

الفصل الرابع

التغييرات السكانية (الديموغرافية)

في بلاد الشام

بعد تحرير بيت المقدس(583 ه/ 1187م)

وحتى خروج الصليبيين (691ه/ 1191م)

أولا: تحرير المدن وجلاء الصليبيين منها:

بدأ المسلمون باسترجاع جزء كبير من الأراضي المحتلة، ولاسيما بعد موقعة حطين سنة (583 ه/ 1187م) المعركة الفاصلة بين المسلمين والصليبيين، والتي كان فيها النصر حليفًا للمسلمين بقيادة صلاح الدين الأيوبي[1]، أسفرت عن سقوط مملكة القدس وتحرير معظم الأراضي التي احتلها الصليبيون، ونقطة تحول في أرض بلاد الشام، أدت إلى هجرة غالب المستوطنين اللاتين بمختلف جنسياتهم، وإعادة العمران الإسلامي الى عروبته[2]، فضلًا عن بدء عودة المسلمين الى أراضيهم مع فئات اسلامية مختلفة شاركت في الفتوحات الاسلامية لبلاد الشام[3].

ولم تكن عمليات تحرير مدن بلاد الشام وطرد المستوطن الصليبي منها دفعة واحدة، بل كانت تتأثر بطبيعة الأحداث السياسية، فيمكن تقسيمها الى:

---

(1) ويندوفر، ورود التاريخ،ج2، ص682-681.

(2) O'Neal ‹The Crusades covers everything‹ P.95.

(3) الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص135-140.

أ- تحرير المدن وهجرات الصليبيين منها في العصر الأيوبي (567 هـ- 648هـ/ 1172م- 1125 م):

بعد ما يقارب القرن من الاحتلال الصليبي لبلاد الشام، استطاع صلاح الدين الايوبي أن يحرر بيت المقدس ومدنًا إسلامية أخرى، ونجح بالاستيلاء على صليبهم الصلبوت الأعظم[1] الذي كان رمزا دينيًا عظيما لهم؛ لأنه كان يعلم أن هذا الصليب يعد من أعظم ما يقدسونه، وبالفعل بمجرد أن قام صلاح الدين بالاستيلاء عليه انهار الصليبيون معنوياً وأخذوا يستسلمون ويفرون من المعارك[2]، وذكر (ابن الأثير) أنّ الملك الأفضل علي ابن صلاح الدين الذي عبّر عن فرحته بهذا النصر وصار يصيح: (هزمناهم) وهنا تبدو مهارة صلاح الدين الايوبي العسكرية وخبرته في ميادين القتال، إذ كان يرى أن الهزيمة لن تتم على الصليبيين إلا بهزيمة قيادتهم، فأجاب ابنه قائلاً: ((**اسكت، ما نهزمهم حتى تسقط تلك الخيمة**)) وكان يقصد خيمة الملك، فهزمهم وسجد لله تعالى[3].

وبعد تحقيق الانتصار أصبحت أغلب المناطق التي سيطرَ عليها الفرنجة خالية من المقاومة، فتقدم صلاح الدين إلى طبرية، ومنح أهلها الأمان على الأنفس والأموال، وخيّرهم بين الإقامة فيها أو الرحيل عنها[4]، فرحلوا عنها، وأكثر سكانها كان من الالمان والبلغار والجنويين، ثم دخل عكا فتسلمها على مثل ما تسلمت به طبرية ورحل عنها ثلاثة

---

(1) **صليب الصلبوت**: قطعة من الخشب يعتقدون أنها صُلب عليها النبي عيسى (عليه السلام) وكانت تمثل رمزاً دينيًا مقدسًا لهم، وكانوا يسمونه (صليب الصلبوت) يبلغ ارتفاعه ما يقارب الأربعة أمتار، وعرضه ما يقارب المترين ونصف، ويبلغ وزنه تسعين كيلو غرام تقريباً وعليه كان حجم صليب السيد المسيح؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص 537.

(2) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج2، ص191.

(3) الكامل في التاريخ، ج11، ص253.

(4) الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص86.

الاف فارس من الأرمن، وسار جيشه الى المدن والقرى المجاورة، ففتحوا الناصرة وصفورية وقيسارية ونابلس وحصن الكرك بالسيف[1]، وهاجر من هذه المدن والقرى ما يقارب السبعة آلاف شخصٍ[2] ثم دخل المسلمون حيفا وقيسارية، ومدينة يافا عنوة، وكذلك صيدا وجبيل، ثم بيروت وإمارة طرابلس وتحرير مدن ساحل البحر المتوسط جميعًا؛ لقطع الإمدادات عنهم من الأساطيل الصليبية[3].

وأمر صلاح الدين بخراب بعض الممتلكات الصليبية في المدن المحررة وكذلك القدس ومستوطنة البيرة، ليمنع الصليبيين من العودة إليها أو المطالبة فيها[4]، وبخراب عسقلان ومستوطنة البيرة وأماكن الصليبيين في القدس هاجر غالب سكانها الذين كانوا من الفرنج والاسبان والاسكندنافيين، وذكرت المصادر أن بلاد الشام أصبحت مملوءة بالضجيج وشبهوا ما حدث بها كأهوال يوم القيامة؛ لخروج السكان الصليبي في الشوارع الذي بلغ في القدس وحدها أكثر من ستين ألف رجل ماعدا الشيوخ والنساء والأطفال، واتجهوا إلى الكنائس والأديرة، وأخذوا يمزقون ثيابهم وينتفون شعرهم ثم يغادرون المدن[5]، وهذا ما أكده (ابن الأثير) فقال: ((**لا يعجب السَّامع من ذلك، فإنَّ البلد كبير، واجتمع إليه من تلك النواحي من عسقلان، والرملة، وغزة، وغيرها من القرى، بحيث امتلأت الطرق، والكنائس، وكان الإنسان لا يقدر أن يمشي**))[6] وهذا يدل على كثرة الصليبيين الذين خرجوا من القدس.

---

(1) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص65.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص81- 82.

(3) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص 265-267.

(4) ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص364.

(5) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص269؛ ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب،ج3، ص32؛ الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص89.

(6) الكامل في التاريخ، ج11، ص270.

ونجحت سياسة القائد صلاح الدين الأيوبي التي اتبعها في فتحه للمدن والحصون، والتي تمثلت في منح أصحابها الأمان مقابل تسليمها فقبل سكانها والمدافعون عنها؛ طعماً بالأمان على أنفسهم وأموالهم، وبمجرد سماع انتصارات صلاح الدين في بيت المقدس قام عدد كبير من سكان المستوطنات الصليبية بالهجرة الى إمارة انطاكيا وطرابلس[1].

وبعد السماح للصليبيين المغادرة أو دفع الجزية، تقدّم بعض الصليبيين إلى صلاح الدين يطالبون بالبقاء داخل بيت المقدس بعد أدائهم الجزية، وتعهدوا له بألا يعتدوا على احد، وأن يقوموا بخدمة أهل المدينة[2]، فوافق صلاح الدين على ذلك، ودفعوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، وعوملوا معاملة أهل الذمة الشرقيين وسكنوا في حارة سميّت بـ(بحارة النصارى)[3]، واستغرب المؤرخ الغربي (ستيفن رنسيمان) من ذلك إذ قال: ((**الواقع أن المسلمين الظافرين اشتهروا بالاستقامة والإنسانية، فبينما كان الفرنج ومنذ ثمان وثمانين سنة، يخوضون في دماء ضحاياهم، لم تتعرض الآن دار من الدور للنهب، ولم يحل بأحد من الأشخاص مكروه، إذ صار رجال الشرطة بناءً على أوامر صلاح الدين يطوفون بالشوارع والأبواب، يمنعون كل اعتداء يقع على المسيحيين**))[4] وهذه شهادة من (رنسيمان) على عدالة الاسلام.

وبعد مضي سنتين على تحرير بيت المقدس وجزء كبير من بلاد الشام جاءت حملة صليبية ثالثة قادها ملوك اوروبا، انتهت هذه الحملة بسلسلة من المفاوضات

(1) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص77.
(2) الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص127.
(3) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج2، ص207.
(4) تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 531.

بين صلاح الدين وملك انجلترا ريتشارد[1]، أُجبر فيها ريتشارد على الالتزام بهدنةٍ مدّتها ثلاث سنوات مع صلاح الدين الأيوبي بموجب معاهدةٍ عرفت بـ (صلح الرملة) سنة (588ه/ 1192م) بتنازل صلاح الدين عن بعض المدن الواقعة على الساحل للصليبيين من يافا الى طرابلس، وبالمقابل يحتفظ صلاح الدين بكلّ ما تبقى من مدن بلاد الشام بما فيها القدس، مع خراب عسقلان، والسماح للصليبيين بالحج لبيت المقدس[2]، ومن الواضح أن المهاجرين لم يعودوا الى المدن التي خرجوا منها؛ لأن صلاح الدين شكّل حدًا لهم، تراجع عنده المدّ الصليبي باتجاه بلاد الشام، وكان بداية النهاية للوجود الاستيطاني الصليبي[3].

وكان لوفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة (589هـ/ 1193م) نقطة تحول كبيرة في تاريخ المسلمين، إذ دب الخلاف بين ابنائه بعد وفاته على ملك بلاد الشام ومصر[4]، حتى بدأ الصليبيون يراقبون أحداث هذا النزاع، إذ أعطت هذه الخلافات الفرصة للصليبيين أن يستعيدوا قوتهم ويسيطروا على عكا التي جعلوها مملكة على إماراتهم، واستولوا على ساحل دمشق وجبيل سنة (593هـ/ 1193م) وبعدها بيروت بسنتين، وأصبح الصليبيون على أسوار القدس، حتى استتب أمر النزاع الى الملك العادل أحمد شقيق صلاح الدين (595ه/ 1201م) إذ استطاع توحيد مصر وبلاد

(1) الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص 342؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص140.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 232.

(3) عوض، الحروب الصليبية، ص 220.

(4) كنعان، عاصم اسماعيل، وغالب محمود، صراع السلطة بين ابناء البيت الأيوبي بداية النهاية لحكمهم، مجلة كلية التربية للعلوم الإنسانية العدد 66(جامعة ديالى، 2015م) ص309-315.

الشام، ووقف بوجه الغزو الصليبي[1]، واستولى على يافا وهاجر غالب المحتلين منها[2]، واستطاع إجلاء ثلاثة الاف شخص من أصول ايطالية الى ديارهم، وتمكن ابن الملك العادل المعظم عيسى (615- 624هـ/ 1218- 1227م) من الخروج بجيش من دمشق لإرجاع المدن الإسلامية، فاستولى على قيسارية وهدم حصونها وهرب أهلها الى عكا، وأغار على إمارة طرابلس سنة (616ه/ 1219م)[3].

وتمكن فردريك الثاني قائد الحملة الصليبية السادسة (626هـ/ 1228م) من السيطرة على دمياط وأصبح على أسوار القاهرة، الأمر الذي دعا الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل بعقد صلح مدته عشر سنوات، على تسليم بيت المقدس، وبيت لحم، والشريط الساحلي بين عكا والقدس، مقابل وجود ألف جندي مسلم لحمايتها، مع السماح للحجيج المسلمين بالمرور فيها والإقامة[4].

وفي سنة (635ه/1239م) توفي الملك الكامل فخلفه ابنه الملك الصالح نجم الدين أيوب (635- 647ه/ 1237- 1249م) الذي أعلن الحرب على الصليبيين، مستعينًا بعشرة الاف فارس من الخوارزميين بعد انكسار وانهيار دولتهم من قبل الزحف المغولي سنة (628ه/ 1239م)[5]، وقدر عدد الخوارزميين اثني عشر ألفًا بين فارس وراجل ونزلوا إمارة الرها، واشترى نجم الدين جموعًا غفيرة منهم وزجهم في جيشه، وأمر بإرسال المحاربين والسلاح إلى جبهات القتال، وأعلن النفير العام في مصر

---

(1) الحنبلي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد(ت 928ه/ 1521م) الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس، مكتبة دنيس (عمان، دت) ج1، ص402.

(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج15، ص 283-287.

(3) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج1، ص607.

(4) ابو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج5، ص228.

(5) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6، ص322.

وبلاد الشام، وراحت المساجد تدعو الناس إلى الجهاد[1]، وشن المسلمون هجمات موجعة على الصليبيين وأصابوهم بخسائر فادحة، واستطاع نجم الدين أيوب الاستيلاء على عسقلان وطبرية ونابلس، وتمكن من تحرير بيت المقدس عنوة بعد حصار دام واحدًا وعشرين يومًا، ليعيدها إلى حضن الإسلام مرة أخرى فخرج كل الصليبيين من القدس والمستوطنات المجاورة لها، وهذا بالتأكيد شكّل تهديدًا جديدًا على الوجود الصليبي في بلاد الشام[2].

ب- تحرير المدن وهجرات الصليبيين منها في العصر المملوكي (648هـ- 692/ 1250 - 1291م):

يُعد الظاهر بيبرس المؤسس الحقيقي لدولة المماليك[3](648- 784هـ/ 1250-1382م) في مصر وبلاد الشام، حافظ على وحدة البلاد في مواجهة الصليبيين طوال مدة حكمه (658- 676ه/ 1260-1277م)[4] إذ استطاع شن هجمات عسكرية ضد

(1) ابن إياس، زين العابدين محمد بن أحمد الحنفي (ت 930ه/ 1524م) بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة، 1983م) ج2، ص663؛ ابن العديم، زبدة الحلب، ج2، ص300-304.

(2) المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص361 - 372.

(3) **المماليك:** مفردها مملوك أي: عبد، بالأصل كانوا فرسانًا وجنودًا محاربين يؤسرون أو يكونون سبايا في الحروب، ويتم افتداؤهم بمبالغ مالية، استعان فيهم الملك الصالح بفتح القدس، وسحِقْ حملة لويس التاسع على المنصورة، وبعد وفاة الملك الصالح سنة (647هـ/ 1249م) أساء لهم ابنه توران شاه؛ فتآمروا مع زوجته شجرة الدر عليه وقتلوه، ثم حكمت زوجته ثمانين يومًا حتى تزوجت المعز إيبك المملوكي وتنازلت عن عرشها له، وقويت شوكتهم في مصر ثم الشام؛ المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج1، ص257-259؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6، ص315.

(4) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/ 1505م) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية (مصر، 1967م)، ج2، ص95- ص96؛ الناصر، صفوان طه، سيرة الملك الظاهر بيبرس، مجلة التربية والعلم، المجلد، 17، العدد3 (الموصل، 2010م) ص82.

الصليبيين، واتجه من مصر إلى بلاد الشام سنة (663ه- 1265م) وضرب الحصار على قيسارية وفتحها عنوة، ورحّل سكانها، وحرر ارسوف، والرملة وحصن الأكراد، ثم شن هجومًا مفاجئًا على عكا، وحاول اقتحام أبوابها إلا أنه لم يتمكن؛ لحصانتها وكثرة من بها من الجنود الصليبيين، ثم استولى على قلعة صفد التي كانت معقلًا لفرسان الداوية، وأمر بإخلائها من السكان الصليبيين، ثم أمر بإعدام قادتها من فرسان الداوية؛ لبشاعة جرمهم بحق المسلمين[1].

ونَزل الرعب والهلع في قلوب الصليبيين؛ من فتوحات الظاهر بيبرس، وبدأ سكان القرى والحصون يفرون إلى أماكن أكثر أمنًا، وبعد قرابة الخمسة شهور توجه إلى إمارة انطاكيا، فوصله وفد صليبي قرب غزة ومعهم الهبات والهدايا وأسرى من المسلمين، الذين سبق وأن أسروهم ورفضوا التخلي عنهم؛ لكونهم صناعًا ماهرين، محاولة منهم استرضاءه، فغير مساره الى صفد؛ لتحصينها وليُعيد تجهيز جيشه، وبهذا الصدد ذكر (ابن عبد الظاهر): ((**وهو على صفد... كان الفرنج قد اطمأنوا بإرسال رسلهم إليه فما حسوا إلا العساكر قد وصلت إليهم**))[2]، ثم انطلق الظاهر بيبرس الى انطاكيا التي ظلّت في رهن الأسر الصليبي منذ الحملة الصليبية الأولى، وتمكن من الاستيلاء عليها سنة (666هـ/ 1268م) بعد هروب حاميتها؛ لعدم قدرتهم على الصمود

(1) ابن عبد الظاهر، محي الدين ابو الفضل عبد اللـه (ت 692هـ/ 1292م) الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر (الرياض، 1976م) ص259-264.
(2) الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص279-280.

امامه، فطلب أهلها الأمان من السلطان بيبرس، وغنم منها غنائم وفيرة، وأسر العديـد مـن الصليبيين، وفرّ العديد منهم إلى عكا ومنهم من هرب الى اوروبا[1].

وكان لرجوع انطاكيا بأيدي المسلمين مـن أعظـم مـا حققـوه منـذ اسـترداد صـلاح الدين الايوبي لبيت المقدس، واكد في هـذا القائـد بيـبرس قوتـه وجـدارة جـيش المسـلمين، فبسقوطها يُعد إعلانًا جديدًا لحركة الجهاد الإسلامي[2]، نتج عنها شعور الصليبيين بالضعف والخوف من المسلمين، فقد انقطعت صلة الصليبيين في عكا وطـرابلس بأرمينيـة الصـغرى، وبذلك غدت مصالح الصليبيين في الشام مهددة بشكل مباشر، مما جعل ملك مملكة عكـا الفرنسي هيو الثالث يعقد هدنة مع السلطان بيبرس مقابل أن يتنـازل عـن نصـف أمـلاك مملكة عكا[3]، فوافق بيبرس على الهدنة؛ ليعيد استعداد وتجهيز جيشه، إلا أنه أدرك قدوم الحملة الصليبية الثامنة سنة (669هـ/ 1270م) التي يقودها لويس التاسـع، والتـي غـيّرت مسارها الى تونس ومات لويس التاسع فيها[4]، ويتبيّن من ذلـك أن سياسـة الظـاهر بيـبرس كانت تعتمد على مهادنة بعض قادتهم من دون البعض الآخر، حتـى تمكـن مـن خـداعهم واسترجاع أراضي المسلمين، وتفريغها من المستوطنين، وبذلك لم تعد للصليبيين أيةَ مـدن أو قلاع أو حصون داخل بلاد الشام سوى مملكة عكا وإمارة طرابلس، وبعضٍ من قراها.

---

(1) المقريـزي، السـلوك لمعرفـة دول الملـوك، ج1، ص568؛ قاسـم، في تـاريخ الأيـوبيين والمماليـك، عـين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة، 2012م) ص 230- 231.

(2) قاسم، تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص232.

(3) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص478.

(4) الطويلي، أحمد، الحملة الصليبية الثامنة على تونس، ص 192-201.

وبعد وفاة الظاهر بيبرس سـنة (676ه/ 1277) تـولى حكـم مصر والشـام المنصـور قلاوون (ت689هـ/1290م)[1] استكمل تحرير الـبلاد الإسـلامية مـن الصـليبيين، ففـي عـام (684هـ/ 1255م) فتح قلعة المرقب وبانياس من أيدي فرسـان الإسـبتارية، بعـد حصـارها ورميها بالمنجنيق[2]، ثم عزم المنصور قلاوون على المسير إلى عكا إلا أنه جاء أجله[3]، فخلفه ولده السلطان الأشرف صـلاح الـدين خليـل (689-693هــ/1290-1294م) الـذي اسـتطاع تحرير إمارة طرابلس من قبضة الصليبيين بعد أربع سنوات من حكمـه، وكانـت طـرابلس تضم أكثر فئة سكانية بعد بيت المقدس وعكا، وأكـثر سـكانها كـان مـن الأمـراء النورمـان، وهرب أكثرهم الى قبرص وعكا[4].

ولم يبق للغزاة مأوى لهم سوى مملكة عكا، فأرسل السلطان الأشرف قـلاوون إلى وليام أوف بوجيه رئيس فرقة فرسان المعبد في عكا، يُعلمه بأنه قـد عـزم الهجـوم على عكا، وطلب منه عدم إرسال الهبات والهدايا، لأن ذلـك لـن يثنيـه عـن مهاجمـة

---

(1) **المنصور قلاوون**: سيف الدين التركي (ت689هـ/1290م) أحد سلاطين دولـة المماليـك البحريـة التـي حكمت مصر والشام; كان من جنود الملك الصالح نجم الـدين ثـم أصـبح أمـيرًا في جـيش بيـبرس؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ج15، ص640.

(2) شـاهده ووصـفه المـؤرخ الفـرنسي (جوانفيـل) المرافـق للملـك لـويس التاسـع في الحملـة الصـليبية السابعة وقال: ((**كانت النار الاغريقية تبدو مثل برميل كبير من العصير، وذيله المشتعل الطويل، واثناء طيرانها يصدر صوت كالرعد، وتبدو كتنين طائر في الهواء، ويصدر عنها ضوء قـوي بدرجـة تجعلك ترى معسـكرنا في وضـح النهـار**))؛ جـان دي (ت 716ه/ 1317م) القـديس لـويس حياتـه وحملاته على مصر والشام، ترجمة: حسن حبشي، دار المعـارف (د. م، 1968م) ص69؛ السـامرائي، الحرف والصناعات في الامارات الصليبية، ص133.

(3)المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج2، ص264-268.

(4) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص386؛ ابـن تغـري بـردي، النجـوم الزاهـرة، ج8، ص18.

المدينة[1]، وتقدم جيش المسلمين إلى عكا، وسمع صليبيّو عكا دقات طبـول المسـلمين التـي حُملت على ثلاثمئة جمل؛ لإنزال الرعب في صدور الصليبيين خلف اسوار مملكة عكا[2].

وقام المسلمون بحصارها لمدة أربعة وأربعين يومًا، وايقنـت الجيـوش الصـليبية أن نهايتهم قد حانت، وبدأ سكانها بركـوب البحـر المتوسـط نسـاءً وأطفـالًا قبـل بقيـة فئـات السكان؛ هربًا بتوصية من أمراء الصليبيين، وفي يـوم (الجمعـة 4 جـمادي الآخـرة 680ه/ 5 نيسان 1290) تمكن المسلمون مـن فتحهـا ((**فلـم ترتفـع الشـمس حتـى علـت الصـناجق الإسلامية على أسوار عكا، وهـرب الفـرنج في البحـر وهلـك مـنهم خلـق كثـير**))[3]، وبعـد سقوط عكا بدأ المسلمون بملاحقة الهاربين الذين نزحوا الى الحصون والقـرى مثـل: حصـن الكرك وصور وصيدا، وهُجروا الى الغرب من حيث قدموا[4]، وبذلك انتهى الوجود الصليبي في بلاد الشام الذي قارب وجوده القرنين من الزمان.

ثانيًا- الوافدون الذين استقروا في بلاد الشام بعد تحرير بيت المقدس:

أ- المحاربون المشاركون في تحرير بلاد الشام:

كـان لاشـتداد الهجـمات الصـليبية عـلى الأراضي الإسـلامية بهـدف التوسـع الاستيطاني؛ أنْ خلق رد فعل عنيف من عامة الناس وخاصتهم، إذ تطوعت أعداد كبـيرة من هؤلاء في حروب استرداد أراضي المسـلمين، وقـد قـدم هـؤلاء المحـاربون مـن خـارج

(1) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص278.

(2) ابو الفـدا، المخـتصر في أخبـار الـبشر، ج4، ص 35؛ المقريـزي، السـلوك في معرفـة دول الملـوك، ج2، ص279.

(3) المقريزي، السلوك لمعرفـة دول الملـوك، ج2، ص499؛ رنسـيمان، تـاريخ الحـروب الصـليبية، ج2، ص 276.

(4) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص397.

حدود بلاد الشام، هدفهم من المشاركة هو قربة لله وتلبية لواجب الجهاد، فمنهم من كان لا يبتغي اجراً ولا مالاً سوى مرضاة الله[1]، فعمل قادة المسلمين على وجوب استقرارهم ومسك الأرض في المناطق المحررة، نتج عن ذلك تغييرات وتحولات في طبيعة وفئات العنصر السكاني، حتى صارت بلاد الشام مجتمعًا إسلاميًا مصغرًا مكوّنًا من خليط متنوع[2]، قدم من أماكن مختلفة[3]، وتمثل بـ:

1- المغاربة وإسهامهم في مقاومة الغزو الصليبي:

المغاربة كان مصطلحًا يُمثل الجزء الغربي من العالم الإسلامي، مثل: الأندلس والمغرب، وكانت تُمثل مدينة القدس عند المغاربة والاندلسيين من أهم المدن على الإطلاق، فكان الدافع الأول لهجرات المغاربة لبلاد الشام ورحلات الحج المكانة الدينية للمسجد الأقصى والحرم الإبراهيمي[4]، وقد قدِم اليها الكثير منهم مثل: الشيخ ابراهيم بن الحارث المغربي القرطبي، الذي أقام في القدس عام (291ه/ 904م) وبدأ بتدريس طلاب العلم والتف حوله الكثير من طلاب العلم من المغاربة ومن بلاد الشام، فكان المغاربة من أوائل المدافعين عنها منذ استيلاء الصليبيين على القدس سنة (491ه/ 1098م) ومن أشد الناس قتالًا لهم، مما دفع بالصليبيين إلى إبادتهم، وقُدر عدد الذين استشهدوا على أسوار القدس وداخلها ما يقارب الثلاثة الاف شخص، وقد أثارت هذه المجزرة واحتلال بيت المقدس حمية علماء وفقهاء الدين المغاربة[5].

---

(1) السامرائي، المُطّوّعة وإسهامهم في حروب السلطان صلاح الدين الأيوبي، ص112-113.

(2) ينظر ملحق رقم (5) أحياء ومحلات القدس بعد تحرير بيت المقدس.

(3) ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص252.

(4) المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج1، ص240-252.

(5) الحنبلي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص269-272.

وشارك المغاربة مع جيش نور الدين زنـكي ضـد الصـليبيين، وكـان مـن بيـنهم أبـو الحجاج يوسف بن دوناس الفندلاوي المغربي[1] الـذي قـدم الى بـلاد الشـام بعـد أن سـمع باستعداد نور الدين زنكي لتحرير بيت المقدس[2]، وفي عهد صلاح الـدين الأيـوبي اسـتدعى اعدادًا كبيرة من المغاربة؛ لشهرتهم ومهارتهم ومعرفتهم بالجهاد البحري وفي قيادة السفن والملاحة، وكان يطلق عليهم اسم فرسان البحر، فضلًا عـن تميّـزهم بـأنهم مقـاتلين أشـداء، وبهذا الصدد ذكر المؤرخ (أبو شامة) أن أحد المغاربة يدعى: ابـن بَرَّجـان[3] ذَكـر بتفسـيره للقران أوائل آيات سورة الروم قـال تعـالى: (غُلِبَـتِ الـرُّومُ* فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُـمْ مِـنْ بَعْـدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ*) وقال: فيها غلبة ثانية للروم على المسلمين، وفيها غلبة للمسلمين تخص تحرير بيت المقدس من الروم (الصليبيين) وسيُفتح بيت المقدس في رجب سـنة (583 هــ/ 1187م)[4].

وبالبحث الدقيق عن مؤلفات ابن برجان وجـد الباحـث تفسـيره، وفيـه نـص يتعلق بتنبؤ ابن برجان الذي فسرّ الآيات إذ قال: ((**ثم أديلوا بغلبةٍ ثانية-الروم- عام تسع وثمانين وأربعمائة، فغلبوا على أرض الشام كلها وعلى بيت المقدس، وذلك عنـد آخر السنة السادسة التي هي من الـف شـهر، ومـن شـهور العـرب تصـديقًا لقولـه**

---

(1) سكن قرية بانياس، ثم انتقل الى حلب ثم دمشق، وكان يـدرّس الحـديث والفقـه، وشـارك مـع نـور الدين في حربه حتى استشهد سنة (543ه/ 1149م)؛ ابن القـلانسي، ذيـل تـاريخ دمشـق، ص209، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج20، ص209.

(2) ابو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج2، ص104.

(3) **ابن بَرَّجان**: أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمـد بـن اللخمـي المغـربي (ت 536 هـ ـ / 1141 م) عاش بمدينة مراكش ومات فيها كـان مـفسرًا صـوفيًا مقرئـًا ومحـدثًا، لـه كتـاب بتفسـير القرآن، وكتاب شرح اسماء اللـه الحسنى، الذهبي؛ سير أعلام النبلاء، ج20، ص72.

(4) الروضتين في أخبار الدولتين، ج2، ص104.

في بضع سنين التي سادس أيامها رأس الخمسمائة سنة الى تمام الخمسمائة وثلاث ثمانين، وثلث السنة تمام سنينها، ونحن في عام اثنين وعشرين وخمسمائة))[1].

وقد سمع هذا التفسير صلاح الدين واستحسن المغاربة على ذلك، مما جعل صلاح الدين الايوبي يرسل وفدًا الى المغرب في سنة (580 هـ/ 1184م)[2] ومعه رسالة جاء فيها: ((**وأحوج ما كنا إلى النجدة البحرية والأساطيل المغربية، فإن عاريتنا بها ترد وان عاديتنا بها تشد**))[3]، وطلب إرسال الأساطيل البحرية لسواحل الشام، وغلق البحر الأبيض المتوسط في وجه الأساطيل الأوربية التي هي في طريقها إلى بيت المقدس فوصلت مجموعة من الأساطيل البحرية المحملة بالجنود، بلغ عددها مئة وثمانين سفينة[4].

وقام صلاح الدين برفع أجور رجال الاسطول؛ من أجل تحسين حالتهم المعيشية، ونال هؤلاء المغاربة المحاربين، موضع احترام وتبجيل من أهالي بلاد الشام، فكان يقال لهم المجاهدون في سبيل الله والغزاة في سبيل الله[5]، وكان المغاربة ينقسمون على مجموعتين:

---

(1) تنبيه الافهام الى تدبير الكتاب الحكيم، وتَعَرُّف الآيات والنبأ العظيم، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية (بيروت، د. ت) ج4، ص325.

(2) استقبل هذا الوفد سلطان دولة الموحدين بالمغرب يعقوب بن يوسف المنصور بالله، وكان هذا الوفد محملًا بالهدايا أرسلها صلاح الدين متمثلة بمصحفين كريمين، وخمسين قوسًا عربيًا، وستمئة مثقال من المسك والعنبر؛ السامرائي، عبد الحميد حسين، علاقة صلاح الدين الأيوبي بالمغرب الإسلامي، مجلة سر من رأى، كلية التربية، المجلد3، العدد 8 (جامعة سامراء، 2007) ص13-14.

(3) ابن خلدون، العبر، ج6، ص265.

(4) السامرائي، علاقة صلاح الدين بالمغرب الإسلامي، ص25.

(5) ابو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج2، ص 146.

أ- **المجموعة الأولى**: محاربين أشداء مدججين بالسلاح (الجند النظامي) شاركوا بشكل مكثف في المعارك التي خاضها المسلمون ضد الغزاة، ولاسيما الأسطول البحري في تضييق الخناق على الصليبيين القادمين الى بيت المقدس ومن ثم عكا وقطع الطريق بحراً على الإمدادات الايطالية البحرية، إذ كانوا كلما رأوا لهم مركباً غنموه[1].

وذكر (أبو شامة) في عام (578ه/ 1182م) بأن المحاربين المغاربة تصدوا للصليبيين عندما علموا بتهديد القائد الصليبي أرناط صاحب حصن الكرك، بتجهيز اسطول بحري لشن هجوم على المدينة المنورة؛ لأجل هدم الكعبة ونبش قبر النبي (صلى الله عليه وسلم) وإخراجه من الضريح، وبالفعل ركب أرناط هو ومجموعة من الفرسان الصليبيين البحر الأحمر ((**فأبحر نحو عيذاب**[2]**، فقطعوا طريق التجار وشرعوا في القتل والنهب والأسر، ثم توجهوا إلى أرض الحجاز وتعذر على الناس وجه الاحتراز فعظم البلاء، وأشرف أهل المدينة النبوية منهم على خطر**))[3] وقبيل وصولهم الى مكة المكرمة قبض عليهم جيش المسلمين بقيادة العادل شقيق صلاح الدين وبمشاركة المغاربة، وهرب أرناط بأعجوبة، في حين أنّ جنده أسروهم المسلمون وأغرقوا أسطولهم، وعادوا بهم إلى السلطان صلاح الدين فأمر بضرب أعناقهم[4].

---

(1) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص167.

(2) **عيذاب**: موضع على البحر الأحمر يقع في الجهة المقابلة من مكة، من ثغور مصر ورباطاتها الساحلية، والميناء الرئيس الذي يربط مصر بالحجاز واليمن والهند؛ الاصطخري، المسالك والممالك، ص35؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص50.

(3) الروضتين في أخبار الدولتين، ج2، ص87-90.

(4) ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص 32؛ أبوشامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج2، ص89.

وفي عام (583هـ/ 1187م) نال الجنود المغاربة شرف التصدي لحماية الأماكن الإسلامية المقدسة، ومشاركتهم في حصار الصليبيين لبيت المقدس والدفاع عنه[1]، وذُكر بأن عددهم أصبح في جيش صلاح الدين منذ موقعة حطين وحتى حصار عكا عام(587ه/ 1192م) ما يقارب الأربعة عشر ألف جندي، بجانب المحاربين المتطوعة والمتصوفة[2].

وتولى هؤلاء المقاتلون المغاربة أعلى المراتب في التنظيمات البحرية في بلاد الشام، فقد عيّن صلاح الدين رجلًا يدعى عبد السلام المغربي رئيساً للأسطول، وهي مهمَّةٌ ومسؤولية صعبة تتمثل في تدبير أمر قيادة الأسطول بالريح أو بالمجاديف وأمر إرسائه في مرفئه؛ لحذاقته وشجاعته[3]، وكان من قادة المغاربة من الفرسان الشيخ أبو مدين الغوث[4] الذي قطعت ذراعه ودفنت في ثرى المسجد الأقصى، وعبد العزيز بن شداد بن تميم بن المعز بن باديس، الذي كان جده المعز بن باديس الصنهاجي[5]،

---

(1) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج2، ص301.

(2) جب، آ.ر. هاملتون، صلاح الدين الأيوبي دراسات في التاريخ الاسلامي، ترجمة: يوسف حسين إيبش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر(د.م، 1973م) ص159.

(3) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص 158.

(4) **أبو مدين:** شعيب بن أبي عبد الله محمد بن أبي مدين شعيب الأندلسي التلمساني (509 ـ- 594 هـ/ 1115 - 1198م) فقيه متصوف وشاعر أندلسي، ولد في قطنيانا إحدى قرى إشبيلية، ودرس بفاس وقد ارتحل إلى بلاد الشام للجهاد؛ الخزماوي، محمد، وزعيم الخنشلاوي، وقف سيدي أبو مدين في القدس الشريف (720هـ/1320م) منشورات المركز الجزائري للبحوث (الجزائر، د.ت) ص6-7.

(5) **المعز بن باديس**: معز بن باديس بن المنصور التَّميمي الصنهاجي (398 - 454 هـ / 1008 - 1062م) من ملوك الدولة الصنهاجية بإفريقية ولد بالمنصورية من أعمال إفريقية وتولى حكم أفريقيا وساد الأمن في أيامه، وكانت خطبته للفاطميين، فقطعها للعباسيين، وهو أول من حمل الناس بإفريقية على مذهب مالك وكان الأغلب عليهم مذهب أبي حنيفة؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج6، ص211؛ الزركلي، الأعلام، ج7، ص249.

فقد اشتهر هؤلاء بمواجهة الصليبيين على أسوار القدس، وظهر دورهم جلياً في الجهاد أثناء حصار صلاح الدين لمدينة صور في سنة (583 هـ/ 1187م)[1] وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى التقدير والاحترام من صلاح الدين لجهودهم التي قاموا بها في حروب التحرير ضد الغزاة.

ب- **المجموعة الثانية**: هم المحاربون الآخرون التي كانت أسلحتهم بسيطة أغلبهم من المتطوعة والمتصوفة، وهؤلاء هم مرافقين للجيش لديهم واجبات مثل: تقديم الطعام وتجهيز المياه للشرب وتجهيز الحمامات من أجل الاستحمام بعد المعارك الحربية للجنود[2]، وذُكر أنه كان في معسكر صلاح الدين محاربون مغاربة يقومون على أكثر من ألف حمام خدمةً للجنود، فضلًا عن فِرق للطبابة لمداواة المصابين، وكان يرأسهم عبد المنعم الجيلاني[3]، والطبيب ابن ميمون[4] القرطبي[5].

---

(1) الحنبلي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص160.

(2) الحنبلي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج2، ص129.

(3) **عبد المنعم الجيلاني**: ابو الفضل بن عمر بن عبدالله، طبيب وشاعر ومتصوف قدم من المغرب الى بغداد وتعلم صناعة طب العيون، وعند سماعه بعزم صلاح الدين على تحرير بيت المقدس ترك بغداد والتحق بخدمة صلاح الدين في دمشق، وانتقل الى ميادين القتال لطبابة الجنود، وألّف كتاب (روضة المآثر والمفاخر في خصائص الملك الناصر) سنة (589هـ/ 1193م) وتوفي في دمشق سنة (601ه/ 1204م)؛ فروخ، عمر، تاريخ الأدب العربي، ط2، دار العلم للملايين (بيروت، 1985م) ج5، ص 475-476.

(4) **ابن ميمون القرطبي**: ابو عمران بن موسى من عائلة يهودية ولد في قرطبة وتتلمذ على يد ابن رشد وابن باجة، قرأ القرآن وحفظ منه وقيل: أسلم، انتقل الى فلسطين ومارس الطب في جيش صلاح الدين حتى توفي سنة (604ه/ 106م)؛ ابن شداد، النوادر السلطانية، ص156-157.

(5) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص 94.

وبعد أن افتُتِحت القدس، قـرَّر المغاربـة العـودة إلى بلادهـم، إلا أنّ صـلاح الـدين الأيوبي تمسَّك بهم وألحَّ عليهم أن يستقرّوا في القدس، وتعجَّب الجنود من هـذا الطلـب في حين أنَّه خيّر الشاميين والعراقيين بالبقاء أو الرجوع إلى بلادهم[1]، مـما يؤكـد رغبـة صـلاح الدين بجعل المغاربة حائط صـد للـدفاع عـن القـدس، ولاسـيما بعـد رؤيتـه لكفـاءتهم في القتال.

وجعـل صـلاح الـدين الموضـع الواقـع قـرب الزاويـة الجنوبيـة الغربيـة لحـائط المسجد الأقصى وقفًا لهم، وسمي هـذا المكـان بــ(بـاب المغاربـة) وأوقـف لهـم بسـتانًا، وتقديرًا لمجهودهم أمـر بإنشـاء مدرسـة لطلبـة العلـم المغاربـة[2]، وقـام صـلاح الـدين الايوبي بدفع فدية أسرى المحاربين المغاربة جميعًـا وتخليصـهم مـن سـجون الصـليبيين، وكانت هذه الفدية تُدفع من أمواله الخاصة[3]، وبعد وفاة صـلاح الـدين أوقـف الملـك الأفضل بن صلاح الدين عام (589 هـ/ 1193م) الحـي بأكملـه للمغاربـة عـلى اخـتلاف اوصافهم وتباين حرفهم وجنسهم سمي بـ(حي المغاربة)[4]، وأقام لهم مدرسة لتـدريس المـذهب المـالكي الــذي كـان عليـه المغاربــة سـميت بالمدرسـة الأفضـلية، وبنـى لهـم مسجًدا(مسجد المغاربة) وقد شغلت حارة المغاربة مساحة تقدر بخمسة وأربعين ألـف

---

(1) ابن منقذ، أسامة بـن مرشـد الكنـاني الشـيزري (ت 584ه/ 1188م) الاعتبـار، تحريـر: فليـب حتـي، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة ، د.ت) ص80-82.

(2) ابن جبير، تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص226.

(3) ابن جبير، تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص279.

(4) في يوم (1967/6/10م) توجهت جرافـات الكيـان الصـهيوني إلى حـي المغاربـة داخـل أسـوار مدينـة القدس، فهجّر الصهاينة أهل الحي وهدموه بالكامل وسَووه بالأرض، وحولوه إلى سـاحة أسـموها (ساحة المبكى) عند حائط البراق، وكانت مساحة الحي تبلغ 116 دونمًـا، وقـد دمّـر الاحـتلال 136 منزلًا وأربعة مساجد من بينهم جامع المغاربـة والمدرسـة الأفضـلية؛ عثامنـة، خليـل، فلسـطين في العهد الايوبي والمملوكي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية (بيروت، دت) ص 206 ؛ ينظر ملحق رقـم (6) و(7) بدايات هدم حارة المغاربة.

متر وهي تشكل نسبة 5٪ من مساحة القدس في ذلك الوقت وقد تباينت مساحة الحارة تبعاً لاختلاف حدودها بين الحين والآخر[1]، ولم تنقطع هجرات المغاربة الى بلاد الشام بعد تحرير بيت المقدس، فقد وفدت جماعات في العصر المملوكي، وأسهموا مع جيش المنصور قلاوون في فتح طرابلس عام (688ه/ 1289م) ثم نزلوها واستوطنوا فيها[2]، ويمكن القول: إنّ المحاربين المغاربة الذين سكنوا بلاد الشام قد اسهموا في تحرير بلاد الشام من يد الصليبيين، وقد تعددت أشكال مشاركتهم في ذلك، وكانت مشاركتهم متميزة في عطائهم العسكري والخدمي في تحرير بيت المقدس وعودته إلى حضنه العربي واعلاء كلمة الله.

2- العراقيون وإسهامهم في مقاومة الغزو الصليبي:

كان للمحاربين العراقيين اسهام فاعل في الدفاع عن بلاد الشام عامة وبيت المقدس خاصة ضد الخطر الصليبي[3]، بوصفهم مركزاً للدولة العربية الاسلامية وعاصمتهم بغداد حاضرة الخلافة العباسية، إذ كان لهم الأثر الكبير في ساحات المعارك ودعم الإدارة العسكرية، وعلى المستوى الثقافي، ابتداءً من مرحلة البناء والإعداد في عهد عماد الدين زنكي ونور الدين محمود ثم مرحلة التحرير في عهد صلاح الدين[4].

---

(1) الخزماوي، وقف سيدي أبو مدين، ص7.

(2) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج2، ص385.

(3) السامرائي، المُطّوّعة وإسهامهم في حروب السلطان صلاح الدين الأيوبي، ص114.

(4) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص110-113؛ حديس، دور علماء العراق في تحرير بيت المقدس، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 16، العدد1 (جامعة تكريت، 2009) ص562.

وذكر (ابن الاثير) أنّ أول جيش وصل الى الشام للدفاع عن فلسطين هو الجيش العراقي، الذي انطلق من الموصل بقيادة عماد الدين زنكي حاكم الموصل واستطاع زنكي أن يشكّل أول جبهةٍ إسلاميةٍ لقيادة المقاومة ضد الصليبيين[1] واشترك العراقيون مع جيش بلاد الشام وحرّروا الرّها في عام (539ه/ 1144م)[2]، ثم خرج عماد الدين زنكي من الموصل الى بلاد الشام؛ لحصار الصليبيين في حلب سنة (543ه/ 1137م) فاستعان عماد الدين بمجموعة من المقاتلين العراقيين لفك الحصار عن حلب[3]، ومن ثم ابنه نور الدين الذي خرج من حلب على رأس جيش تعداده عشرات الآلاف من الفرسان العراقيين والشاميين، وتمكن من فك الحصار عن دمشق وفتح حصون انطاكيا وطرابلس وأسر أمرائها[4].

وقد شارك معهم مجموعة من العلماء والفقهاء العراقيين[5]، وكان من بين هؤلاء العلماء القاضي أبو الفضل كمال الدين محمد الشهرزوري من أهل الموصل، جعله عماد الدين سفيرًا ومستشارًا له حتى دُفن بدمشق سنة (ت 572 هـ / 1176 م) والقاضي ابن شداد صاحب كتاب النوادر السلطانية، الذي ولد في الموصل ودرس في المدرسة النظامية ببغداد، ثم خدم صلاح الدين وشاركه معه في الجهاد، وجعله قاضيًا على بيت المقدس ودفن بحلب سنة (632هـ/1234م) [6].

---

(1) الكامل في التاريخ، ج9، ص123.

(2) ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب، ج5، ص11، ابن كثير، البداية والنهاية، ج12، ص338.

(3) ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ج1، ص135.

(4) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج7، ص497-499.

(5) ابو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج1، ص41.

(6) سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت 654هـ/ 1256م) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق وتعليق: محمد بركات، واخرون، دار الرسالة العلمية (دمشق، 2013م) ج1، 338؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، ج4، ص240؛ الملا جاسم، سيرة صلاح الدين الأيوبي، ص104-106.

وفي عهد صلاح الدين الأيوبي وقبيل معركة حطين (583 ه/ 1187م) قام امير حصن الكرك الصليبي أرناط بنقض الهدنة المبرمة مع المسلمين؛ وذلك بالإغارة على قافلة تجارية قادمة من مصر وسلب اموالها وأسر رجالها[1]، فبدأ صلاح الدين بإرسال رسائل إلى اقاليم العالم الإسلامي يدعوهم فيها إلى الجهاد والحث عليه، فلبّت الدعوة جموع غفيرة من ابناء تلك الأقاليم وكان من بينها العراق[2] فأمر صلاح الدين بإرسال جيش يتألف من سبعة آلاف مقاتل عراقي من أربل بقيادة مظفر الدين[3] الى منطقة عكا، والتقى بجيش عراقي من الموصل فشاركوا في تحرير طبرية والقدس[4]، وذكر (ابن واصل) أن العراقيين هم من قاموا بإشعال النار في هشيم الحشائش لتأجيجها تحت حوافر خيل العدو في حطين[5]، إذ كانت هذه العساكر مزودة بكميات كبيرة من النفط الأبيض والرماح والأسهم قد جلبتها معها من العراق، وعبّر صلاح الدين عن شكره لأهل العراق وقال:((**وصل السلاح وتم للإسلام من قروح الكفر الاقتراح،**

---

(1) O'Neal ،The Crusades covers everything، P.84.

(2) ابن شداد، النوادر السلطانية، ص 73-74؛ السامرائي، المُطّوّعة وإسهامهم في حروب السلطان صلاح الدين الأيوبي، ص114.

(3) **مظفر الدين**، ابو سعيد كوكبري بن زين الدين علي بن بكتكين بن محمد ولد في اربل سنة (549هـ/1153م) دخل في طاعة صلاح الدين الأيوبي وتزوج أخته، وولاه إمارة أربل وشارك في معظم الحروب التي خاضها صلاح الدين ضد الصليبيين، توفي سنة (630هـ/1232م)؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج4، ص114-115.

(4) ابن الوردي، تتمة المختصر في أخبار البشر، ج2، ص155.

(5) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج3، ص73.

واستجيدت التراس والرماح، وفارقت للقائها اجساد الاعداء الارواح، واتصل بالنفط الأبيض الواصل الى أهل النار الاحتراق))[1].

وكان القائد صلاح الدين في مشوراته يعتمد على العراقيين، ففي عام (588ه/ 1192م) قام باستدعاء القاضي ابن شداد في اجتماع طارئ واستشاره لوضع الخطط العسكرية والتدابير اللازمة، ولاسيما بعد سماع صلاح الدين قدوم الصليبيين نحو بيت المقدس، فقد وصف القاضي (ابن شداد) هذا الاجتماع قائلا: ((**ولقد جلست في خدمته في تلك الليلة ـ وكان الزمان شتاءً، وليس معنا ثالث إلا اللـه تعالى، ونحن نُقسِّم أقساماً، ونرتِّب على كل قسم مقتضاه))**[2]، مما يدل على دور واضح من أهل العراق في عملية التخطيط والإشراف والمتابعة واتخاذ التدابير اللازمة في مواجهة الغزو الصليبي، فالكثير من الأحيان كان يلجأ إليهم صلاح الدين في أوقات الأزمات.

وفضّل الكثير من العراقيين البقاء بجوار بيت المقدس، بعدما أقطع لهم صلاح الدين في طرابلس وصور وعكا وغزة وطبرية[3]، وذكر المؤرخون أن أهل العراق من أفضل الذين عاشوا في بلاد الشام وانسجموا مع سكانه بسرعة كبيرة، وكأنها بلدهم الأصلي؛ لتقارب عاداتهم وتقاليدهم مع أهل الشام، فقد مارسوا مهنة التجارة والتدريس ومنهم من استمر بالجهاد مع المماليك حتى نهاية الصليبيين[4].

---

(1) الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص232؛ ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج12، ص28.

(2) النوادر السلطانية، ص 10-11.

(3) الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص231.

(4) ابن منقذ، الاعتبار، ص81-82؛ ابن جبير، تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص238؛ ابن شداد، الروضتين في أخبار الدولتين، ج3، ص267-270.

3- الخوارزميون وإسهامهم في مقاومة الغزو الصليبي:

أدت وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي الى صراع سياسي على بلاد الشام ومصر بين ورثته، ابتداءً بأخيه العادل أبي بكر بن أيوب وابن أخيه الكامل محمد، وكان لهذا التصارع أثره السلبي على مسار الجبهة الإسلامية ضد الصليبيين، فضلاً عـن تفكـك البنيـة الداخليـة للدولة الأيوبية[1].

واستمرت الخلافات حتى بدأ كل سـلطان يبحـث عـن دعـم عسـكري في مواجهـة صاحبه، فاستعان الأخوان الأشرف موسى بـن العـادل، والمعظّـم عـيسى بالصـليبيين في بـلاد الشام ضد أخيهما الكامل محمد سلطان مصر[2]، ثـم اسـتعان الكامـل بـالإمبراطور الألمـاني فردريك الثاني القادم على رأس الحملة الصليبية السادسة (626هــ/ 1228م) وانتهـى هـذا التحالف بتسليم بيت المقدس لفردريك الثاني[3].

ولم تكن وفاة الكامل في العام (635هـ/ 1227م) عـاملاً حاسـمًا في إيقـاف ذلـك الصراع داخل البيت الأيوبي، فسرعان مـا نشـب الصراع ذاتـه بـين ابنـي الكامـل العـادل الثاني والصالح أيوب وأولاد أعمامهـم[4]، واسـتغل الصـليبيون هـذا الصراع ليعـزّزوا مـن وجودهم في بلاد الشام وبيت المقدس، فأغاروا على القرى والمـدن المجـاورة لـه، وبـدأوا بتحصين وبناء القلاع، وعلى الرغم من أن المعظّم عيسى صاحب دمشق كان قد أجلاهم إلى بلادهــم وهــدم معظمهــا في ســنة (637هــ/ 1239م) إلا أن النــاصر داوود ســلّم بيت المقدس للصليبيين في نهاية العام ذاتـه؛ نكايـةً في ابـن عمـه الصـالح أيـوب الـذي

(1) الحنبلي، الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج1، ص400- 403.
(2) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج5، ص263-265.
(3) ابو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج5، ص228.
(4) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6، ص322.

أخلف وعده معه بردّ دمشق وماحولها إليه بعدما ساعده في خلع أخيه العادل الثاني من حكم مصر[1].

ومن جهة أخرى نشب صراع بين الصالح إسماعيل صاحب دمشق وابن أخيه الناصر داود صاحب الكرك، وطلب الصالح إسماعيل من الصليبيين مساعدته مقابل تسليمهم ما فتحه صلاح الدين الأيوبي جميعًا، ثم تطور هذا الصراع إلى إقامة حلف مناهض ضد ابن أخيه الصالح نجم الدين في مصر واستعدوا للهجوم على مصر[2]، بل اتصلوا بالصليبيين مرة أخرى في عام (641هـ/ 1243م) بعد أن علموا بمراسلة الصالح نجم الدين لبقايا الخوارزمية في جنوب شرقي الأناضول، وبهذا الصدد ذكر ابن واصل فقال: ((**ولما اجتمعت كلمة هؤلاء على حرب الملك الصالح نجم الدين أيوب ومباينته، وعلموا مكاتبته إلى الخوارزمية، صالحوا الفرنج واتفقوا معهم على تسليم القدس إليهم وعلى تسليم طبرية وعسقلان، فتسلم الفرنج ذلك كله وعمروا قلعتي طبرية وعسقلان وحصنوهما**))[3].

ولم يكن أمام الصالح نجم الدين أيوب إلا الاستنجاد بالخوارزميين الفارين من بطش المغول، فاندفعوا باتجاه بلاد الشام عبر نهر الفرات في نحو عشرة آلاف مقاتل، يقودهم الأمير بركة خان وولداه الأميران بدر الدين وحسام الدين، فحرروا بعلبك ثم طبرية ونابلس، ثم ساروا إلى غزة والتقى الخوارزميون بالجيش الاسلامي الذي أرسله نجم الدين أيوب بقيادة المملوك ركن الدين بيبرس البندقداري، أما الصالح إسماعيل

(1) الدَوَاداري، أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (ت بعد 736هـ / بعد 1432م) كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة عيسى البابي الحلبي (القاهرة، 1961م) ج6، ص490- 492.
(2) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص403.
(3) مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج5، ص323.

فجهز جيشًا من دمشق[1]، والتقى مع القوات الصليبية القادمة من عكا والتي كانت تضم فرسان المعبد (الداوية) والاسبتارية، والفرسان الألمان، وجيشًا صليبيًا من بيت المقدس بقيادة فيليب منوتفورت ووالتر الرابع، ورفع الصليبيون الصلبان فوق رؤوس حشود جيش بلاد الشام وساروا جميعاً بحلفهم نحو غزة[2].

وفي سنة (642ه/ 1244م) اصطدم الجمعان بالقرب من غزة في معركة عرفت باسم معركة الحربية، واطلق عليها الصليبيون موقعة La Forbie أو حطين الثانية، انتهت بهزيمة جيش الصالح اسماعيل، وكان للخوارزميين دور كبير في هذه المعركة، فقد أحاطوا الصليبيين وسحقوهم، وأشهروا سيوفهم في وجوه الصليبيين المتواجدين في بيت المقدس بعد دخولها، فمنهم من قُتل ومنهم من هرب[3]، وقدر عدد القتلى من الصليبيين بأكثر من خمسة الاف قتيل، وقيل: ثلاثين ألفاً، وتم أسر ما يقارب الثمانمئة أسير[4]، وقد أشار (سبط ابن الجوزي) المعاصر لهذه المعركة إلى ذلك فقال: ((**كان يومًا عظيمًا لم يجرِ في الإسلام مثله، ولا في زمان نور الدين وصلاح الدين**))[5].

واستقر الخوارزميون في مناطق مختلفة من بلاد الشام وانصهروا فيها ولاسيما المدن الساحلية التي خلت من الفرنج مثل: عكا وصور وطرابلس، ومنهم من استقر في

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6، ص372.
(2) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ص403؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص276.
(3) ابن واصل، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج3، ص248؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص145.
(4) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص286.
(5) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، ج8، ص396.

الرها[1]، وسكن القدس الأمير الخوارزمي بركة خان وولداه الأميران بدر الدين وحسام الدين[2] ودفنوا على يسار المسجد الأقصى[3].

ب- الجاليات الوافدة الى بلاد الشام بعد تحرير بيت المقدس:

1- المشارقة:

بعد قضاء المماليك على المغول في عين جالوت (658هـ / 1260م) واستقرار الحكم المغولي في بلاد المشرق الاسلامي، بدأ المماليك باستعادة الأراضي من الصليبيين في بلاد الشام، فترتب على ذلك خلو هذه المدن من السكان، فدعت الدولة المملوكية كل من يستطيع إعمارها والاستيطان فيها للقدوم إليها، وفي الوقت نفسه الدفاع عنها في حال عودة الصليبيين لمهاجمتها[4]، فضلًا عن زيادة القوة العسكرية للمماليك لمواجهة الخطر الصليبي، وبدأت تتوافد فئات سكانية من دول المشرق، وكان من بينهم المغول والهنود والفرس والأتراك، فالمغول كانوا أول من قدِم الى بلاد الشام، ومنهم الأمراء وقادة المعارك في الجيش المغولي، وقد مُنحوا اقطاعات فيه، وبدأوا بالاستيطان مع صغار جنودهم، استخدمهم المماليك للعمل في المستوطنات وبناء القلاع[5].

وأطلقت المصادر التي أرّخت للحقبة المملوكية على هؤلاء الوافدين المستأمنة والمستأمنين؛ لأنهم أغلب الأحيان وفدوا باحثين عن ملجأ لهم، وكانت أول هجرة لهم الى بلاد الشام عام (660ه/ 1261م) معظمهم من النساء والأطفال سكنوا فلسطين[6]،

---

(1) المقريزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج1، ص329.

(2) ينظر ملحق رقم (8) مشهد دفن بركة خان وولديه في القدس.

(3) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة،، ج6، ص 318.

(4) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر، ص94.

(5) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج4، ص 57.

(6) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص85-89.

وبعد سنة من ذلك التاريخ وَفَدَ 1300 فارس مغولي الى بلاد الشام، وفي السنة نفسـها قَـدِم خليط من المغول والفرس والاتراك من المشرق وبالتحديد من خراسان أطلـق علـيهم اسـم (السـلاحدارية او الركبداريـة) لانهـم يمتـازون في صـناعة الأسـلحة وآلات الحصـار، وكـانوا يجوبون شوارع الشام بمواكب عسكرية منظمة[1]، على إثر ذلك أرسـل الظـاهر بيـبرس الى نوابه في بلاد الشام بريدًا يأمرهم باستقبال هذه الهجـرات وإكرامهـا، وتقـديم المسـاعدات لهم ((... **فسيرت إليهم الخلع والانعام، والسـكر والأغنـام والخيـول والعليـق وغـير ذلـك لكثرتهم**))[2]، وتلتها موجات اخرى بلـغ مجموعهـا ثمانيـة عشر الـف فـارس، ولاسـيما بعـد سماع انتصارات المسلمين وقرب نهاية الصليبيين[3].

وكان للهنود نصيب من هذا في الاستيطان ببلاد الشام، فقد قدموا من شمال الهند وأسلموا، وسكنوا في الخوانق والزوايا الواقعة على ثغور شمال وشرق بلاد الشام مع الحدود البيزنطية[4]، واندمج كل هؤلاء الوافدين سريعًا مع سكان بلاد الشام وانصهروا فيها، وأسلم أغلب هؤلاء الوافدين من المغول والمشارقة؛ لسماحة الـدين الإسـلامي أولًا، ولأن إسـلامهم يتيح لهم المشاركة في القتال ثانيًا، وهـي كانـت مهنـتهم الأساسـية[5]، واسـتوطن هـؤلاء في مناطق مختلفة من بلاد الشام مثل: حماة وبعلبك والمدن الساحلية، وتزوج المسلمون مـن نسائهم؛ لحسن جمالهن[6].

---

(1) كرد علي، خطط الشام، ج5، ص197.

(2) النويري، أحمد بن عبد الوهاب شـهاب الـدين (ت 733هــ/ 1332م) نهايـة الارب في فنـون الادب، تحقيق: مفيـد قميحـة وآخـرون، دار الكتـب العلميـة (بـيروت، 2004م) ج29، ص67؛ المقريـزي، السلوك في معرفة دول الملوك، ج3، ص119.

(3) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص136 - 137.

(4) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج7، ص67.

(5) المقريزي، المواعظ والاعتبار، ج3، ص226.

(6) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص187.

2- النصارى الصليبيون:

بعد تحرير بيت المقدس على يد السلطان صلاح الدين الأيوبي بدأ الصليبيون يتوافدون على المدن الإسلامية لعدة أسباب؛ تمثلت بسماعهم أخبارًا طيبة في تعامل صلاح الدين مع سكان المدن المحررة من الصليبيين[1]، وفتح السلطان صلاح الدين لهم ابواب مدن بلاد الشام، وأرسل معهم الخفراء يحفظونهم حتّى يردّوهم إلى حيث يذهبون، وسمح لهم بتعيين اثنين من رجال الدين الكاثوليك في كلّ من كنيسة القيامة وكنيسة بيت لحم وكنيسة الناصرة في فلسطين، إلى جانب ما كان في تلك الكنائس من رجال الدين الأرثوذكس واليعاقبة والسريان[2].

أما المدن التي لم يتم تحريرها فذكرت المصادر اللاتينية نشوب صراعات عرقية داخل الإمارات الصليبية[3]، وهو أمر أصبح معه تحقيق الامن مستحيلاً؛ إذ إنَّ مرتكب الجريمة في حيٍ معين، ما أن أُكتشف أمره وانتقل الى حي آخر لا يحاسب بعدها، إذ اصبح هنالك تخوف كبير من السكان[4].

وفضلًا عن أنه كان هناك في الامارات الصليبية صراع طائفي بين الصليبيين الغربيين الجدد والصليبيين الشرقيين الذين ولدوا في الشرق، مما سبب حالة من عدم الاستقرار داخل المدن المحتلة؛ إذ تفشت فيها السرقات وارتفعت معدلات

---

(1) رحيل، محمد فوزي، نهاية الصليبيين (فتح عكا 648- 690هـ- 1250- 1291م) عين للدراسات والبحوث الانسانية (مصر، 2002م) ص110.

(2) ابن منقذ، الاعتبار، ص 172.

(3) مجهول، أعمال الفرنجة، ص46.

(4) رحيل، نهاية الصليبيين، ص117.

الجريمة، وكثر السلب والنهب، فضلًا عـن ضـعف السـلطة الحاكمـة وصراع الأوصـياء عـلى العرش، وهي سمة النصف الثاني من القرن الثالث عشر للميلاد[1].

فلجأ الكثير من سكان طرابلس الفرنجة الى حكام المسلمين الى صلاح الدين فـارّين من بطش فرسان الداوية؛ لأنهم رفضوا تعيين أمير من الداويـة علـيهم بعـد مـرض ريمونـد الرابع ودنو أجله، وأدى ذلك الى فرار العشرات مـن العوائـل ليـدخلوا المعسـكر الإسـلامي قرب طبرية[2]، ثم وفدت جماعة من سكان صور وعكـا عـام (586ه/ 1190م) بعـد قـدوم فردريك وجيشه الألماني الى بلاد الشام، فكانوا متوجسين منه خيفـة؛ لخلافـه مـع أمـرائهم، وبعد سنتين قَدمت أعداد كبـيرة مـن انطاكيـة الى القـدس ولبنـان؛ نتيجـة بطـش أمـيرهم بوهيموند الثالث، وحلـول المجاعـة واضـطرابات داخليـة حـدثت في انطاكيـا، فاسـتأمنهم خلفاء صلاح الدين فدخلوا في أراضي المسلمين[3].

وفي العصر المملوكي ازدادت أعداد المستأمنين في بلاد الشام، فوصـلت جماعـة من الصليبيين سنة (665ه/ 1266م) قـادمين مـن قـبرص أسـكنهم الظـاهر بيـبرس في الأردن[4]، ثم وصلت هجرات اخرى من اليونان وقبرص في عهد السلطان قلاوون عـام (682ه/ 1282م) سكنت حلب وفلسـطين، وسـمح لهـم قـلاوون بـأن تكـون كنيسـة الناصرة وأربعة بيوت من أقرب البيوت للكنيسة مخصّصة للحجّاج النصارى وغـيرهم من الزائرين ومن الأعراق اللاتينية جميعًـا، وأن يتمتّـع القساوسـة والرهبـان بحرّيـة

---

(1) عوض، عالم الحروب الصليبية، ص66.
(2) الاصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص216؛ باركر، الحروب الصليبية، ص35- 36.
(3) مجهول، ذيل وليم الصوري، ص46-48.
(4) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص213 - 214.

العبادة في هذه الكنيسة، وأن يكونـوا آمنـين عـلى أرواحهـم في مـدن الشـام، وألّا يتعـرّض القساوسة والرهبان لأي مكروه[1].

وبعد طرد الصليبيين من بـلاد الشـام بقـي الكثـير مـنهم فيهـا عـلى اسـتئمان مـن المسلمين لهم، فتبين فـيما بعـد أنهـم جواسـيس يرسـلون أخبـارًا الى إخـوانهم الفرنجـة في الغرب، ووجدت الدولة صعوبة في ترحيلهم؛ لتناسلهم ومصاهرتهم مع سكان بـلاد الشـام، فضلًا عن توسع أملاكهم[2].

ثالثا: الآثار التي نتجت عن التغييرات السكانية في بلاد الشام:

تركت الحروب الصليبية على المجتمعين الفرنجـي والإسـلامي آثـارًا بعيـدة المـدى؛ بفعل ما شهدته بلاد الشام من غزو استعماري وما نـتج عنـه مـن خسـائر بشريـة بسـبب عمليات القتل والتهجير، ووفود فئات بشرية مختلفـة المضـارب، فضـلًا عـن أن الصـليبيين تركوا تأثيرًا واضحًا في البنية السكانية والبيئة في بلاد الشام[3]، وذلك لأن ((**المغلوب مولع... بالاقتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحوالـه وعوائـده... والسّـبب في ذلـك أنّ النّفس أبدا تعتقد الكمال في من غلبهـا وانقـادت إليـه**))[4] وفي الوقـت نفسـه لم يسـتطع الفرنجة الصليبيون البقاء على عاداتهم وتقاليدهم الغربية نقية إلا وأصابها شيء من التأثير الإسلامي، وقد نقلوها معهم الى أوروبا، ويمكن تقسيم هذه التأثيرات على:

أ- تأثير النازحين المسلمين على الأوضاع العامة في بلاد الشام:

---

(1) المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج3، ص385.
(2) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج12، ص202.
(3) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص469.
(4) ابن خلدون، العبر، ج1، ص185.

خلت أغلب المدن التي سيطر عليها الصليبيون من المسلمين؛ نتيجة سياسة التفريغ التي اتبعها الغزاة من أعمال القتل والإبادة والتهجير، ونزحت أعداداً كبيرة الى المناطق المجاورة والقريبة من مدن ترحالهم مثل: حلب ودمشق، ومنها من نزح الى العراق ومصر[1]، وكان لهذه الهجرات آثار سلبية على الناحية السكانية (الديموغرافية) فقد تحولت بعض المدن ذات الأغلبية الإسلامية الى أقليات وبالعكس[2]، فالمسلمون أصبحوا أقليات في المدن الصليبية، والنصارى الشرقيون والغربيون ازدادت أعدادهم في الإمارات الصليبية، بعد توافد هجرات الى المدن الإسلامية من اوروبا[3].

وكانت دمشق وحلب أكثر استيعابًا لهؤلاء اللاجئين من الإمارات الصليبية، حتى أصبحتا تعانيان من زخم سكاني شديد الذي بلغ ضعف سكانهما، فضاقت بالمدينتين الأزقة وسكنوا الأسواق، حتى برزت الغرف على الطرق، ومن الجدير بالذكر أن غالبهم أغنياء وتجار اضطروا الى الهجرة من دون اصطحاب امتعتهم معهم[4]، فأصبحت هاتان المدينتان تعانيان من وضع اقتصادي سيء، فزاد الطلب على المنتجات وقلّت المواد الغذائية وارتفعت الأسعار وزادت الضرائب وانتشرت المجاعة والاوبئة[5]

وأصبح الكثير من المهاجرين بلا مأوى، وقد أدى ذلك الى تحول الكثير منهم الى لصوص وقطاع طرق وعصابات منظمة لا تفرق بين غني وفقير، سكنت الشعاب وقمم

(1) التطيلي، الرحلة، ص91-93.
(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج11، ص511.
(3) قاسم، ماهية الحروب الصليبية، ص200- 202.
(4) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص471؛ براور، عالم الصليبيين، ص65.
(5) ابن العديم، زبدة الحلب في تاريخ حلب، ج2، ص164؛ عطية، المسلمون في الامارات الصليبية، ص82.

الجبال بعيدًا عن أنظار الدولة[1]، وكذلك كانوا يغيرون على الفرنج ويغنمون منهم، وأظهر صلاح الدين معهم نوعًا من التسامح؛ لأنه عدّهم جزءًا من المقاومة الشعبية، ونتج عن ذلك انتشارهم بشكل كبير[2].

ب- تأثير الصليبيين والمشرقيين في البنية السكانية لبلاد الشام:

1- ازدياد عدد الأجناس الأجنبية وانصهارهم في مجتمع بلاد الشام: تمخض عن استيطان الغزاة الصليبيون والهجرات الشرقية الوافدة الى بلاد الشام على اختلاف قومياتهم ولهجاتهم انقلابًا في البنية السكانية[3]، ونتج عنه خلق كيانات عرقية جديدة مستقلة، إلا أنها سرعان ما امتزجت وذابت، بعد أن صارت جزءًا من البنية السكانية لبلاد الشام الى جانب المسلمين[4].

وعلى الرغم من ان الصليبيين كانوا قد منعوا تزويج بناتهم للمسلمين، وحرّموا زواج ابنائهم من بنات المسلمين بقانون في مجمع نابلس الكنسي عام (514هـ/1120م) ووضعوا له مادة تنص بعقوبة الخصاء للذكر وجدع أنف الأنثى[5]، إلا انهم لم يلتزموا بتنفيذه، بدليل عرض الزواج الذي قدمه الملك الإنكليزي ريتشارد قلب الأسد للملك العادل الايوبي شقيق صلاح الدين وسعيه إلى تزويج أخته الملكة جوانا Joanna ملكة صقلية؛ بعد إعجاب ريتشارد بشجاعة صلاح الدين وسعيه إلى إقامة الصلح معه[6].

---

(1) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج4، 187-190.

(2) ابن منقذ، الاعتبار، ص80- 89؛ ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج10، ص203.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج7، ص87.

(4) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص471.

(5) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص229؛ الزيدي، الاستيطان الصليبي، ص293.

(6) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 114.

وبعد تحرير بيت المقدس في معركة حطين بدأ الأيوبيون والمماليك في اسكان القبائل العربية على طول ساحل البحر المتوسط لبلاد الشام؛ ويبدو ذلك لأجل حماية مدن بلاد الشام وصد الغزوات القادمة من البحر، مما أدى الى انحسار وجود النصارى الشرقيين في هذه المناطق[1]، فضلًا عن الهاربين من وحشية الصليبيين ودخولهم في المدن الاسلامية، ومنهم من نزح الى شمال لبنان وبيروت وصور وسكنوا الجبال المطلة على ساحل البحر المتوسط[2]، ثم بعد ذلك التحق بهم النصارى الصليبيون من الافرنج والايطاليين واليونانيين ممن آثر البقاء في بلاد الشام واعتنقوا المذهب الماروني (اتباع تعاليم الكنيسة الشرقية) وتركوا تعاليم الكنيسة الغربية وتصاهروا معهم[3].

وبطبيعة الحال فان مصاهرة المستوطنين الفرنجة من النصارى الشرقيين أدى إلى ظهور جيل هجين جديد أطلقت عليه المصادر الفرنجية اسم (البولان **Pullani**) أو(الفتيان) و (الأفراخ) وهم أحفاد المستوطنين الصليبيين[4]، وسرعان ما انتشرت المصاهرة بينهم وبين سكان بلاد الشام بنسبة كبيرة، وتزوج منهم قادة الأيوبيين والمماليك[5]، ونشأ عن ذلك ولادة مجتمع جديد مزيج بين الشرقي والغربي اطلقت عليه المصادر الإسلامية اسم (التركبولية) وكانوا من الأمهات الفرنجيات واليونانيات

(1) الجبوري، محمد ابراهيم، دور البدو في مقاومة الحروب الصليبية رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة سامراء، كلية التربية، قسم التاريخ (العراق، 2023م) ص148-151.

(2) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 470.

(3) الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص 360 - 363.

(4) الشارتري، تاريخ الحملة، ص 218 ؛ماير، تاريخ الحروب الصليبية، ص 231.

(5) ول ديورانت، ويليام جيمس، قصة الحضارة، تقديم: محيي الدين صابر، ترجمة: زكي نجيب محمود وآخرون، دار الجيل (بيروت، 1988م). ج17، ص314.

وآباء من الترك والعرب مجهولي النسب[1]، فمنهم من التحق بالجيش الصليبي، ومنهم من فضّل البقاء بجيش المسلمين، وكانوا يُعرّفون بذكر نسب الأم بدل الاب مثل: الأمير الأيوبي ابراهيم ابن الافرنجية الذي كان واليًا على مدينة حماة عام (657ه/ 1259م [2].

وقد أرسل البابا الايطالي الكسندر الرابع سنة (656ه/ 1255م) الى الكنيسة المارونية في الشرق خطابًا يوصي فيه الحفاظ على ((**أولئك الصليبيين الذين لجأوا الى جبال لبنان أخيرًا**)) وكذلك من فضّل البقاء مع المسلمين[3]، مما يؤكد على نيتهم في استرجاع مدن بلاد الشام واستيطانها متى ما تهيأت لهم الظروف، وثقتهم من مساندة هؤلاء لهم ووقوفهم الى جانبهم.

وبهذا الصدد وصف (فليب حتي) كيف أثّر هذا الاختلاط في ديموغرافية بلاد الشام على المدى البعيد إذ قال: ((**ليس غريبًا اليوم مشاهدة عدد من الناس من ذوي العيون الزرق والشعر الاشقر في مدن شمال لبنان، وبيت لحم، وهناك أسر أغلبها نصرانية... من أسلاف فرنجة مثل: فرنجية (Frankish) وصليبي Crusading ودويهي Douai وصوايا Savoie، وكذلك قريتين في فلسطين وهما صنجيل Saint Cilles** – نَسبُ عائلة الكونت ريموند الصنجيلي- **والرينة Reynaud** –نسبةً للفارس الصليبي أرناط)) [4].

---

(1) البنداري، قوام الدين الفتح علي بن محمد (ت 643هـ/ 1245م) سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي، مطبعة الجبلاوي (القاهرة، 1979م)؛ براور عالم الصليبيين، ص65.

(2) البيشاوي، الممتلكات الكنسية، ص 271؛ كروسيه، الحروب الصليبية، ص 100.

(3) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج 3، ص 583؛ حتي، تاريخ لبنان، ص389.

(4) تاريخ العرب المطول، ترجمة: ادورد جرجي، وجبرائيل جبور، دار الكشاف، ط2 (بيروت، 1965م) مج3، ص790؛ الزيدي، الاستيطان الصليبي، ص259.

واما الأجناس الأخرى مثـل: المغـول والهنـود والفـرس الـذين اسـتغلوا خلـو المـدن المحررة من السكان من جهة، وحصلوا على الأمان من المسـلمين مـن جهـة أخـرى[1]، فقـد وفدوا هؤلاء على الأغلب بشكل جماعي نتج عنه تضخم بأعداد السكان ترتب عليه نتـائج اجتماعية واقتصادية كبيرة، ووصف المؤرخون من أعدادهم بأنهم كانوا يعيشون وينـامون في الشوارع مع عوائلهم[2]، حتى أنشأت الدولة المملوكية لهم مساكن، وملّكت لهم الأراضي في شمال وشرق بلاد الشام[3].

وتزوج الكثير من المسلمين بهؤلاء المشـارقة النـازحين الى بـلاد الشـام مـن النسـاء؛ لأنهم يتمتعون بحسن جمالهم وهذا مـا أكـده (ابـن كثـير) فقـال: ((**إن كثـيراً مـن فسـقة المسلمين تحيّزوا لهم من أجل هذه النسوة**))[4]، إذ تنج عـن هـذه المصـاهرات بـروز فئـة جديدة اخرى في المجتمع الشامي تسنمت مناصب ادارية وعسـكرية، ومـنهم مـن طالـب بحكم مصر وبلاد الشام مثل: مظفر الدين موسى ابن الأمير علي بن قلاوون بعد زواجه من الأميرة المغولية منكبـك الـذي خـرج عـلى عمـه النـاصر محمـد بـن قـلاوون سـنة (710ه/ 1309م) مطالباً بالحكم، إلا أنه سرعان ما قبض عليه وتم سجنه حتى فارق الحياة[5].

2- **انتشار الفجور والانحلال الخلقي:** تأثرت الحيـاة العامـة كثـيراً بـالظروف التـي عاشـها الصـليبيون في بـلاد الشـام؛ لطـول حقبـة اسـتيطانهم، وابتعـاد الكثـير مـن الجنـود

(1) ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، ص88-90.
(2) ابو الفـدا، المخـتصر في أخبـار الـبشر، ج4، ص 35؛ المقريـزي، السـلوك في معرفـة دول الملـوك، ج4، ص279؛ كرد علي، خطط الشام، ج5، ص197.
(3) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج28، ص187.
(4) البداية والنهاية، ج12، ص324.
(5) النويري، نهاية الارب في فنون الادب، ج31، ص17.

والرجال عن بلادهم وأسرهم، مما أدى ذلك الى فسادهم وانحلال أخلاقهم[1]، ولم يقتصر ذلك على الرجال بل كانت النساء لهنّ الدور الأكثر تأثيراً على المجتمع الصليبي في الشام، لذا رفضت البابوية في بداية انطلاق الحملات الصليبية أن تشارك النساء في الحملات، وأن تكون مقتصرة على الرجال فقط[2]، وبعد استقرار الصليبيين وتأسيس الإمارات الصليبية انتشرت المفاسد ومنها البِغاء[3]بشكل واسع[4].

واعتقد الصليبيون ان مجرد المشاركة في الحروب الصليبية يُغفر لهم خطاياهم، وهذا الغفران المزعوم استغله رجال الدين والامراء والتجار لترويج البغاء وقاموا بتأجير أماكن العبادة؛ لأجل أن تُمارس الفاحشة فيها، للإفادة عليهم من أرباحها الكبيرة، وذكر (الفيتري) أنّ ((**مدينة عكا كانت تعج ببيوت الدعارة**[5]**، وكان**

(1) باركر، الحروب الصليبية، ص68 ؛ السامرائي، الحرف والصناعات في الامارات الصليبية، ص140.

(2) قاسم، الحملة الصليبية وثائق، ص 85- ص 87.

(3) **البِغاء**: عند العرب هو الزنى، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ** ﴾ سورة النور، الاية 33؛ والزنا عند النصارى هو الفعل الذى يتم بين الرجل و المرأة برضاء الطرفين خارج اطار الزواج على شرط ان يكون الاثنان متزوجين او احدهما، اما اذا كانا في غير رباط الزواج فتسمى هذه الحالة بـ(سقوط في شهوة الجسد) و لا تسري عليه احكام الزنا؛ ابن كثير، تفسير القران العظيم، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العمية (بيروت، 1998م) ج6، ص42؛ صموئيل، واخرون، قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية (بيروت، د. ت) مج 4، ص 357.

(4) مجهول (ت بعد 588ه/ 1192م)، الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) ترجمة: حسن حبشي، الهيئة العامة للكتاب (القاهرة، 2000 م) ج1، ص177.

(5) **الدعارة**: هو فعل الزنا والفاحشة؛ لغرض كسب المال، وهي فضيحة علنية ودائمة؛ مجموعة مؤلفين، شروحات مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، المكتبة البوليسية (لبنان، 2005م) ص 1495.

المومِسات[1] **يدفعنَّ أعلى الايجارات ليس المدنيون فحسب، بل ورجال الدين يقومون بتأجير منازلهم في جميع أنحاء عكا للمومسات))**[2]، ووصف المؤرخ (المجهول) الذي كان مرافقاً للملك ريتشارد في حملته على عكا، مجالس الدعارة وما فيها من شرب ووصفاً دقيقاً لكؤوس الخمر، وما يصاحبها من لهو ومجون، وانغماس الناس فيه، ووصف الراقصات، وما يرتدين من ملابس فاضحة ((**لتبرز من أجسادهم ما يثير شهوة الناظرين**))[3] واشتهرت مدينة عكا بوجود حي بها مخصص لهذه الأعمال عرف بـ(الحي الأحمر) ومنها ما كان في يافا والقدس[4].

وما نتج عن استقبال المجاميع الشرقية واستقرارهم في بلاد الشام إلى انتشار فساد اخلاقي بين المغول، الذين كانوا يُقيمون احتفالاتهم في حانات كبيرة مع الصليبيين، وما يصاحبها من شرب الخمور والسفور وفعل الفاحشة، وقد تأثر به ضعفاء النفوس من المسلمين[5].

وصاحب مع فعل الفواحش انتشار الامراض المعدية والاوبئة وانشاء مصانع للخمور[6]، وقد اشار الرحالة الالماني (بورشارد) الى أنّ النصارى الشرقيين الذين كانوا يقيمون حول القدس هم الذين يقومون بصناعة الخمور للصليبيين؛ لأن المسلمين لا

---

(1) **المومِسات**: مفردها مومِسة، امرأة مجاهرة بالفجور تلين لِمَنْ يريدُها، ونهى الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) عن كسب المومسة؛ ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد ابن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ/ 855م) المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة (بيروت، 2001م) ص296؛ ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص 224.

(2) الفيتري، تاريخ بيت المقدس، ص62.

(3) الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص177.

(4) ريموندااجيل، تاريخ الفرنجة، ص120.

(5) ابن منقذ، الاعتبار، ص180.

(6) باركر، الحروب الصليبية، ص69.

يشربونه[1]، وان الامارات الصليبية كانت تصدّر كميات هائلة من النبيذ الى أوربا بوساطة التجار الايطاليين، اذ بلغت احدى شحنات النبيذ والخمر الطرابلسي على متن احدى السفن الجنوية ما يقارب العشرة أطنان[2]، ويتضح من انتشار ظاهرة المتاجرة وتعاطي الخمور بكثرة في المدن التي سيطر عليها الصليبيون أنّها قد تسربت الى المسلمين، وتأكيدًا على ذلك أمر الناصر محمد بن قلاوون (684- 741هـ/1285-1341م) بإغلاق عددٍ من الحانات في طرابلس كانت للمسلمين[3].

وعلل (غوستاف لوبون) خسائر الصليبيين المتعددة أمام جيش المسلمين؛ لانغماس الكثير من الجنود في اللهو والزنا ((**وحينما خرجوا من أوربة... فأخذت... الأوبئة والدعارة والوقائع والمنازعات تُبيد هذا الجيش العظيم الذي كان يمكنه فتح العالم**))[4].

3- انتشار كلمات دخيلة على اللغة العربية: كان من آثار التغييرات السكانية مع الاحتكاك بين المسلمين والصليبيين على مدى قرنين من الزمان، ودخول عناصر مختلفة الى بلاد الشام، انتشار ألفاظ اجنبية بين السكان، لدرجة انها أثرت حتى على المؤرخين المعاصرين للحروب الصليبية، ويُستدل من ذلك على ما ذكره ابن الأثير في أحداث سنة (523ه/ 1229م) عند كلامه عن محاصرة الصليبيين لدمشق فاستعمل كلمة (قومص) إذ قال: ((**... وغيرهم من الفرنج وقمامصتهم**))[5] وفي معرض آخر ذكر:

(1) وصف الارض المقدسة، ص260-261.

(2) مجهول، الحرب الصليبية الثالثة، ج1، ص178؛ وصف الارض المقدسة، ص260.

(3) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج7، ص67.

(4) حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، هنداوي للتعليم والثقافة (القاهرة، 2012م) ص338.

(5) الكامل في التاريخ، ج6، ص 622.

((**وتولى القمّص ريمند تدبير الملك واليه الحل والعقد عـن أمـره يصـدرون**))[1] والقـومص تعريب حرفي للّفظة اللاتينية (Comes) وتعني: الأمير أو الرفيق، وذكر (ابن تغري بـردي) كلمة (سير Sir)[2] عن اللاتينية بمعنى: السيد[3].

وكذلك ماذكره (ابن شداد) حول قبول هدنة صلاح الدين مع الصليبيين بعد حصار عكا وقال:((**وفدية تدفع في تروم ثلاثة، كل ترم شهر**))[4] و(الـترم Term) كلمـة انجليزيـة تعني: الفصل أو الجزء، وكلمة (كند) الفرنسية ايضًا كانت تعني: الأمير، واوردها ابن الاثير قائلًا: ((ومن الأرمن الكند سطبل))[5] وكلمات أخـرى مثـل: (الأبـرنس Prince) او الـبرنس تعريباً من اللاتينية وتعني الامير، والكلمة الفرنسية (طارقة (Targe وتجمع طارقيات التي تعني الدرع الصليبي الطويل[6]، ومن الايطالية كلمة (بركوس Barco) وتجمع على براكيس وهي نوع من انواع السـفن الصـغيرة التـي اسـتعملها البنادقـة في حـروبهم البحريـة مـع المسلمين[7].

وهناك ألفاظ أخـرى دخيلـة عـلى العربيـة مـن أجنـاس مختلفـة وعُرّبـت، وشـاع استعاملها، ولاسيما من النازحين المغول الى بلاد الشام بعـد تفريغهـا مـن الغـزو الصـليبي، مثل: كلمة (دربند) التي تعني الممر أو المضيق، وكلمة (صـولق) وتعنـي الحقيبـة، وكلمـة (قازان) التي أخـذها الاتـراك مـن المغـول وعرّبـت فتعنـي القِـدر الكبـير الـذي تُعـد فيـه

---

(1) الكامل في التاريخ، ج10، ص 382.

(2) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6، ص322.

(3) الكرملي، انستاس ماري، القاب الشرف والتعظيم عند العرب، العدد 411، 19/ 5 (القـاهرة، 1941م) ص28.

(4) النوادر السلطانية، ص171.

(5) الكامل في التاريخ، ج10، ص112؛ الكرملي، القاب الشرف والتعظيم عند العرب، ص29.

(6) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج7، ص67.

(7) ابو شامة، الروضتين في أخبار الدولتين، ج6، ص158.

الولائم وطعام الجند[1]، وكلمة (تمغة ودمغة) دلالة على التوثيق للكتب والرسائل بالشـمع الأحمر[2]، ومن اليونانيـة نصيـب في التـأثير عـلى العربيـة فكلمـة (سـقلاطون) التـي شـاع استعمالها كانت تطلق على القماش المصنوع من الحرير المزركش، و (زركَش) لفظ فـارسي يعني بخيوط الذهب والفضَّة[3]، فضلاً عن كلمـة (قنطاريـة) تصـغير مـن اللفـظ اليونـاني قونتـوس وتُجمـع قنطاريـات والمقصـود بهـا: الرمـاح القصـيرة والعريضـة المصـنوعة مـن الخشب[4].

ج- التأثيرات الحضارية الإسلامية في الصليبيين:

تركت التغيّرات الديموغرافية في بلاد الشام تأثيرًا إيجابيًا في أكثر من مجال على الصليبيين؛ لأن هؤلاء الأجلاف غير متحضرين، رمت بهم أوروبا الى بلاد الإسلام بقصـد الغزو والاستيطان، وكان يمثل قلب العالم المتحضر في ذلك الوقـت، وبعـد اسـتقرارهم في بلاد الشام وتـأقلمهم وتعايشـهم واحتكـاكهم في بيئـة العـرب المسـلمين اكتسـبوا عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم بسرعة كبيرة[5]، حتى إنَّ المؤرخين اخذوا يلمسون فروق الطباع بين الصليبيين القادمين حديثاً والمقيمين، إذ اتضح أنَّ الحجاج الجدد القـادمون الى بـلاد الشـام لايُحبـذون الاخـتلاط مـع المقيمـين؛ لانهـم في نظـرهم مـن أنصـاف المسلمين[6] وبمرور الزمن تأثروا أكثر بحضـارة الشرق وتراثـه، ونسي ابنـاؤه الكثـير مـن

---

(1) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج7، ص82.

(2) ابو الفدا، المختصر في أخبار البشر، هامش رقم 4، ج2، ص 339.

(3) العنيسي، طوبيا بستاني، تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربيـة مـع ذكـر أصـلها بحروفـه، مكتبـة العرب (القاهرة، 1932م) ص47.

(4) دوزي، رينهارت بيتر آن، تكملة المعاجم العربية، ترجمـة وتعليـق: محمـد سـليم النعيمـي وجـمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام (العراق، 2000م) ج8، ص379.

(5) ديورانت، قصة الحضارة، ج11، ص18-19؛عاشور، الحركة الصليبية، ج2، ص487.

(6) ابن جبير، تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص226؛ كروسيه، الحروب الصليبية، ص 98.

موروثهم الاجتماعي مقابل الافادة من المحيط الذي يعيشون فيه، فأقاموا أثناء وجـودهم في بلاد الشـام علاقـات اجتماعية مع أهل البـلاد[1].

وعلى الرغم من الحروب المستمرة بين الجانبين الاسلامي والصـليبي إلا أنـه كانـت هناك علاقات ودية وإنسانية أبداها المسلمون معهم، فعندما مرض ملك انجلـترا ريتشـارد قلب أرسل صلاح الدين الأيّوبي اليه أحد الأطبّاء لمعالجته، فظـلّ إلى جانبـه يعالجـه حتّـى شفي تمامًا، وأوصاه الطبيب بتناول بعض الفاكهة وأن يكثر منهـا، فـأمر صـلاح الـدين بـأن يزوّد الملك ريتشارد قلب الأسد أنواعًا من الفواكه التي تميّز المسلمون بزراعتها، وذكر(ابـن منقذ) أنه كان له اصدقاء فِرنجة في أنطاكيا وبيت المقدس أنقذ أحـدهم مـن محنـة ألمّـت به[2]، وبهذا الصدد وصف (ابن جبير) هذه العلاقات قائلًا: ((**والاتفاق بينهم والاعتـدال في جميع الأحوال، وأهل الحرب مشتغلون بحربهم، والناس في عافية والدنيا لمن غلب**))[3].

والحقيقة بدأ التأثير الإسلامي بالغزو الصليبي للمرة الأولى بعـد تأسـيس الامـارات الصليبية واستقرارهم فيها، وقد واجهوا مشكلة ألا وهي عدم توافر النقود التي تسهل من معاملاتهم التجارية بينهم وبين المسلمين، وكذلك دفع فديـة للإفـراج عـن الاسرى، وكانـت عملية ضَرب النقـود هـي ضرورة ملحـة لاسـتقرارهم السـياسي وتثبيـت اقـدامهم في بـلاد الشام[4].

فكانت كلٌ من مدينـة انطاكيـا وطـرابلس وصـور وعكـا، تملـك داراً لضَرب النقـود الفاطميــة قُبيــل قــدوم الصــليبيين الى الشرق، لــذا شَرَع الصــليبيون بضرب الــدنانير في

---

(1) باركر، الحروب الصليبية، ص69- ص71.
(2) الاعتبار، ص180.
(3) تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص226.
(4) براور، الاستيطان الصليبي، ص457.

دور ضَرْب الفاطميين ولاسيما في مدينة صور، متأثرين بـالنقود الفاطميـة التـي ضُربـت في زمن الخليفة الفاطمي العاشر الآمر بأحكام اللــه (495- 524ه/ 1101-1130م)[1]، واشـار (ابن خلكان) الى ذلك اذ قال: ((... **لما ملكوا صور ضربوا السكة**[2] **باسم الآمـر مـدة ثـلاث سنين ثم قطعوا ذلـك))**[3]، وضُربـت في زمـن بوهيمونـد الاول امـير انطاكيـا (492-505ه/ 1198- 1111م) دنانير ذهبية كانت تحمل في الوجـه الاول صـورة رجـل بلحيـة[4]، مرتـدياً عمامة اسلامية، وفي يده اليمنى سيفاً، حوله حـروف لاتينيـة، وفي الوجـه الثـاني صـليب[5]، وكان هذا النـوع مـن الـدنانير نقشـت عليـه كتابـات عربيـة مثـل: لفـظ الجلالـة(اللــه) معكوسة، واسم النبي محمد (صلى اللـه عليه وسلم)[6] وعدّت هذه النقـود مـن اصـعب النقود المقلدة؛ لأنها غير تامة الوضوح ويصعب قراءتها، لجهل الصانع بالعربية[7]،

وفي سنة (648ه/1250م) مَنَع تداول النقـود التـي تحمـل نقوشـاً اسـلامية النائـب البـابوي إيـودس (ت671ه/ 1273م) الـذي كـان بصـحبة الملـك الفـرنسي لـويس التاسـع قائد الحملـة الصـليبية السـابعة عـلى مصر (647ه/ 1249م)، اذ قـال: ((**انـه مـن المخـزي**

---

(1) النبراوي، رأفت محمد، النقود الصليبية في مصر والشام، مكتبة القاهرة للكتـاب (القـاهرة، 2004م) ص 25.

(2) **السكة**: هي الختم على النقود المعدنية، او القوالب المنقوشة التي تصب فيها النقود، وكذلك تطلـق على الدار التي تصنّع فيها النقود؛ الماوردي، ابـو الحسـن عـلي بـن محمـد (ت 450هــ/ 1085م) الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبـارك البغـدادي، دار ابـن قتيبـة (الكويـت، 1989م) ص 132؛ ابن خلدون، العبر، ج1، ص 281.

(3) وفيات الأعيان، ج1، ص103، السامرائي، الحرف والصناعات في الامارات الصليبية، 116.

(4) ينظر ملحق رقم (9) دنانير صليبية متنوعة مقلدة للدينار الاسلامي.

(5) براور، الاستيطان الصليبي، ص 458.

(6) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج3، ص490.

(7) براور، الاستيطان الصليبي، ص466.

والمؤسف ان تحمل البيزنتات والدراخمات اسم نبي الاسلام وتاريخ مولده بشكل واضح))[1]، وهذه الدنانير أطلقت عليها المصادر العربية اسم الدينار الصوري، نسبةً الى مدينة صور، وقيل: لأن هذه الدنانير تتمتع بشهرة واسعة في تصوير وتقليد الدنانير الاسلامية، بدليل أنّه كان يُطلق اسم الدنانير الصورية على النقود المقلدة كافة، سواء ضُربت في صور او عكا او طرابلس او انطاكيا[2]، واما المستشرقون فاطلقوا عليها اسم البيزنت الاسلامي[3].

ومن الواضح أنّ الصليبيين قد تأثروا في سك عملاتهم، ويبدو أنه لم يكن لديهم أية معرفة بعمليات سك النقود وهذا ناتج عن جهلهم وعدم تحضرهم، ولم يتعامل المسلمون بهذه النقود ورفضوها؛ لوجود صلبان كبيرة في مركز النقود بين الكتابات، وكذلك رفض تجار البندقية التعامل بها، وبعد ثمان سنوات تم ايقاف ضرب مثل هذه النقود، وضَربوا نقوداً ذات كتابات يونانية ولاتينية وفرنسية[4].

ونتج عن التغيير السكاني إفادة الصليبيين من الاسرى المسلمين ولاسيما الصنّاع والحرفيين، اذ أجبَر الصليبيون العرب الأسرى على تعليمهم أسرار صناعة آلات الحصار وبناء الحصون والقلاع وأخذوا منهم هذه المهنة[5]، أما النساء فبعد استيلاء الفرنجة على قيسارية سنة (494ه/ 1101م) وقعت اعداد منهنّ في الاسر فتحولنّ الى جاريات يستخدمن في إدارة طواحين الحبوب وتعليم طريقة عملها للصليبيين، وتأثروا

---

(1) النبراوي، النقود الصليبية؛ براور، الاستيطان الصليبي، ص461.
(2) ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ج9، ص440؛ القزويني، آثار البلاد، ص217.
(3) براور، الاستيطان الصليبي، ص456.
(4) براور، الاستيطان الصليبي، ص459- ص 466.
(5) السامرائي، الحرف والصناعات في الامارات الصليبية، ص125.

حتى بالطعام الشرقي[1]، ويستدل من ذلك بما ذكره (اسامة بن منقذ) عندما دعاه احد الفرسان الصليبيين من امارة انطاكيا إلى تناول الطعام معه فامتنع، فقال له الصليبي: ((**كُل طيب النفس، فأنا ما آكل من طعام الإفرنج، ولي طباخات مصريات... ولا يدخل داري لحم خنزير**))[2].

وأُعجب الغرب الاوربي بالصناعات الشامية بوجه خاص، واشتد الاقبال عليها، وقد نقل الصليبيون العديد من الحرف والصناعات واسمائها التي لم تكن تعرفها أوربا من قبل[3]، ولاسيما صناعة قصب السكر، وأنواع متعددة من الحلوى؛ لأنهم كانوا يستعملون عسل النحل بدلاً من السكر لتحلية طعامهم، أذ أصبحت أوربا تستهلك معظم سكر بلاد الشام[4] ولم يقتصر استعمال السكر على الحلوى فحسب بل استعمله الصليبيون في العلاج أيضاً، ونقلوا صناعة السكر الى أوربا وانتقلت معها كلمة (معصرة) العربية بوساطة الاسرى المسلمين الى اللغات الاوربية باسم (Ma'asera) [5].

ونتيجة لاستقرار الصليبيين في الشرق وتعلّمهم علوم المسلمين نقلوا الى أوربا أنواع التوابل، واستعملوها على موائدهم التي أضافت طعمًا مميزًا لطعامهم، ودخلت التوابل في صناعة الدواء[6]، مثل: الحناء التي انتقل اسمها معهم الى أوربا

---

(1) الشارتري، تاريخ الحملة، ص115.

(2) الاعتبار، ص 180.

(3) باركر، الحروب الصليبية، ص69- ص71.

Goitein، Mediterranean Society، P.78 .1

(2) Benvenisti، The Crusaders،p. 253.

(2) ابن منقذ، الاعتبار، ص 140.

(Alkanaa)[1]، فضلًا عما نقله الصليبيون من القماش الابيض المعروف بالشاش، الذي يستعمل في تضميد الجروح، وانتقلت كلمة شاش العربية الى اوربا وتعرف بـ ((Shash[2]، وتم نقل صناعة العقاقير الطبية، إذ حرصوا على نقل أسرار هذه الصناعة الى بلادهم، ودخل لفظ دواء الى اللغات الاوربية تحت مسمى ((Dogue[3].

وتأثر الصليبيون في الطب العربي الإسلامي، فقاموا بإنشاء البيمارستانات[4] التي كان لها دور بارز في معالجة المرضى والجرحى، ووصف (ابن جبير) البيمارستانات الصليبية أنّها كانت على هيئة بيمارستانات المسلمين، وأنها تشابهها في صفاتها ومرافقها المعمارية ونظامها الداخلي[5]، وذكر (ابن عبد الظاهر) أيضاً أنَّها تقسم على عدة أقسام؛ قسم خاص للشفاء، والآخر للمرضى، وثالث للعمليات، ورابع للعيون، وخصص قسم منها للأمراض العقلية[6]، والى جانب البيمارستان كانت هنالك أماكن لتصنيع الدواء فقد صنعت الادوية بأنواعها من قبل الصيادلة والعطارين ويتم توزيعها على المرضى على وفق ما يراه الاطباء[7].

---

(1) واط، وليم مونتغمري، تأثير الاسلام في أوربا العصور الوسطى، ترجمة: سارة الذيب، مراجعة: سحاب الاحدب، جسور للترجمة والنشر (بيروت، 2016م) ص 238.

(2) براور، عالم الصليبيين، ص123؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص507.

(3) واط، تأثير الاسلام في أوربا، ص 258.

(4) **البيمارستان**: بكسر الباء وسكون الياء بعدها وكسر الراء، كلمة فارسية مكونة من مقطعين بيمار بمعنى مريض أو مصاب، وستان بمعنى المأوى؛ السامرائي، ابراهيم، المجموع اللفيف معجم في المواد اللغوية التاريخية الحضارية، دار عمار (الاردن، 1987م) ص52.

(5) تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار، ص283.

(6) تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كمال، مراجعة: محمد علي النجار (القاهرة، 1961م) ص226.

(7) فرزبورغ، وصف الاراضي المقدسة، ص87.

وفي الكثير من الاحيان اعتمـد الصـليبيون عـلى الاطبـاء المسـلمين وفضـلوهم عـلى أطبائهم وتعلّموا منهم، وقد أشار الى ذلك (وليم الصوري) ووبخهم عـلى ثقـتهم في كفـاءة هؤلاء الاطباء كما جاء في قوله: ((...**لأن أمرائنا الشرقيين يحتقرون معالجات اطبائنا اللاتين ولا يعتمدون سوى الاطباء المسلمين، فلقد وضعوا أنفسهم بطريقة طائشة للغايـة تحـت رعاية وعناية أطباء كهؤلاء**))[1].

وتأكيداً على تفضيل الصليبيين الاطبـاء المسـلمين مـا ذكـره (أسـامة بـن منقـذ) ان دُمّلاً[2] بسيطاً من ساق أحد فرسانهم جعلهم يستدعون له طبيباً عربياً لأجل فتح وإخـراج ما به من صَديد؛ لأن الاطباء الصليبيين يبترون له تلك الساق دون القدرة على علاجها[3].

وهذا يدل عـلى ثقـة الصـليبيين بالأطبـاء العـرب، وهـو مـا أكدتـه أيضـاً (زيغريـد هونكة) حينما قالت: ((**انَّ النبلاء الصليبيين كانوا لا يثقون مطلقاً بفن العلاج الشائع عند ابناء جلدتهم، بل يُؤْثرون دوماً في الارض المقدسـة الاطبـاء العـرب في مـداواة التهابـاتهم الجلدية واضطراب معدهم وآلامهم الاخرى**))[4].

وتـأثرت المنسـوجات الاوربيـة بالصـناعة العربيـة ولاسـيما المنسـوجات الحريريـة الدمشـقية التـي عرفـت في أوربـا باسـم (Damaks) وتعنـي القـماش الدمشـقي، وكـذلك

---

(1) تاريخ الحروب، ج2، ص786.

(2) الدُّمّل: هو الخُراج او البَثْر، وهو ما يظهر على الجلد ويحدث انتفاخاً ويتكـون بداخلـه القـيْح؛ ابـن زكريا الرازي، أبـو بكـر محمـد(ت 313هــ/ 925م) الحـاوي في الطـب، اعتنـى بـه: هيـثم خليفـة طعيمي، دار احياء التراث العربي (بيروت،2002م) ج2، ص21.

(3) الاعتبار، ص240-241.

(4) شمس العرب تستطع على الغرب، ص217.

الحرير الذي يصنع في بعلبك والذي عرف بالحرير البعلبكي[1]، وتـأثرت النسـاء الصـليبيات بملابس المسلمين فارتدين قميصًا طويلاً فضفاضاً يصل الى القدمين، وبعضه منسوج بخيوط من الذهب والجـواهر، وعنـد الخـروج مـن المنـزل كُـنَّ يرتـدين الحجـاب، وكـان الفـارس الصليبي يرتدي ملابس من الحرير ويضع العمامة على رأسه، ويجعل عـلى خوذتـه كوفيـة كالتي يضعها الفارس العربي على رأسه[2]، ونقل الصليبيون صناعة الحبال؛ لأهميتها بالنسبة إلى السفن إذ حرص الصليبيون على نقـل هـذه الصـناعة الى الغـرب الاوربي والـدليل عـلى نقلها انتقال كلمة الحبل بالعربية الى اللغة الاوربية وعرف باسم (Cable)[3].

ونتيجة لتقدم صناعة الزجاج وازدهاره في بلاد الشـام أعجـب الصـليبيون بهـا ولاسيما التجار الايطاليون، إذ تعلّموا أسرار عملها ونقلوها الى أوربا مما أسهم في انتاج أنواع وأشكال مختلفـة مـن الزجـاج[4]، ونجحـوا في صـناعة المرايـا الزجاجيـة المطليـة بغشاء معدني لتحل محل المرايا المصنوعة في ايطاليا، التي كانت تصنع من البرونـز أو الصلب المصقول الرديء[5]، وللتأكيـد عـلى تـأثير الصـناعات الزجاجيـة الشـامية عـلى صناعة الزجاج في أوربا ما موجود في كنيسة سانت دونيس الفرنسية[6] زجاج يعود الى

(1) ماركو بولو، الرحلات، ص38؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 508.

(2) رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 509.

(3) ماركو بولو، الرحلات، ص38؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، ج2، ص 508.

(4) عبود، هالة عبد الكريم، الحياة الاقتصادية في الدولة الأيوبية مصر وبـلاد الشـام والجزيـرة الفراتيـة (567- 648ه/ 1171- 1250م) رسـالة ماجسـتير (غـير منشـورة) جامعـة سـامراء، كليـة التربيـة (العراق، 2015م) ص 138.

(5) ريسلر، الحضارة، ص120- ص126.

(6) **كنيسة سانت دونيس**: هي كنيسة تقع في منطقة سان دوني في شـمال العاصـمة الفرنسـية بـاريس، وكان لها اهمية دينية في القرون الوسطى، وتعدّ مقـرًا لـدفن الملـوك الفرنسـيين؛ النحـاس، نيفـين، التأثيرات المعمارية الإسـلامية عـلى العـمارة الأوروبيـة في العصـور الوسـطى، مجلـة كليـة الآداب، المجلد 68، العدد91 (جامعة الاسكندرية، 2008م) ص114.

منتصف القرن (السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد) وهو الزجاج نفسه الذي يصنع في الشام[1].

ومن التأثيرات الأخرى هي صناعة الصابون عُرفت في ايطاليا باسم (Sapponn) وفي اسبانيا باسم (Jabon) وفي فرنسا باسم (Savon)، ودخلت كلمات عربية الى الاوربية مثل؛ جرة(Jarro)، وكلمة قالب (Calibre)، والطوب (Aldobe) [2].

أما عن المنازل التي سكنها الصليبيون ولاسيما منازل القادة، فقد تأثرت بالطراز العربي الشرقي اذ كانت توجد بها ساحة تحيطه بها غرف ونافورة في الوسط تتدفق منها المياه، وكسيت نوافذها بالزجاج الملون[3]، وتأثروا في فن الرسم والنحت والنقوش على البناء، ورسم الشعارات على الدروع والسيوف والخوذ والخناجر، وكان اتخاذ الشعارات والنقوش معروفة عند المسلمين، فقد كان صلاح الدين له خوذة عليها رسم نسر، وكانت خوذة الظاهر بيبرس على شكل رأس اسد، وتم نقل اسس الهندسة المعمارية مستعملين القباب المستديرة اسموها (Alcopa) الشبيهة بقبة الصخرة [4].

وتأثر الصليبيون من البيئة العربية بعادات المسلمين في الاستحمام، فبنوا الحمامات العامة والخاصة وربّوا لحاهم ولبِسوا العمامة، وحرصوا على النظافة الشخصية واستعملوا العطور والمرطبات والمنظفات[5]، وتعلّموا من الشاميين

---

(1) النحاس، التأثيرات المعمارية الإسلامية على العمارة الأوروبية، ص113؛ عبود، الحياة الاقتصادية في الدولة الأيوبية، ص 138.

(2) ريسلر، الحضارة، ص 198؛ واط، تأثير الاسلام في اوربا، ص 257.

(3) باركر، الحروب الصليبية، ص 86- ص88.

(4) زابوروف، الصليبيون في الشرق ص328- ص330؛ باركر، الحروب الصليبية، ص 85.

(5) ابن منقذ، الاعتبار، ص 138.

استعمال الآلات الموسيقية واسمائها مثل؛ آلـة العـود (Oud) وعـزف المؤلفـات الموسـيقية العسكرية أثناء القتال، والحمام الزاجل في نقل الرسائل[1].

ويمكن القول: إنّ التغيّرات السكانية التي أفرزتها الحروب الصليبية في بـلاد الشـام كانت فصلًا مهمًا في حياة الشرق والغرب، من حيث كونها عاملا في يقظة اوروبا وانتشـالها من ظلام التوحش الى ساحة التمدن والتحضّر.

(1) واط، تأثير الاسلام في اوربا، ص249؛ زابوروف، الصليبيون في الشرق، ص345- ص 349.

الخاتمة

توصلت الدراسة الى استنتاجات رئيسة يمكن اجمالها بما يأتي:

1- تبيّن أنّ مدن بلاد الشام بحكم تمتعها بموقعً جغرافي وسياسي مهـم؛ هـي منطقـة صراع منذ القِدم، بدءًا من الصراع بين الفرس والروم البيزنطيين، حتى استقرت بعد تحريـر المسلمين لها، ولاسيما بعد أن أصبحت دمشق عاصمة للدولة العربية الاسلامية.

2- شاركت أعدادٌ كبيرةٌ من العرب في الفتح الإسلامي لبلاد الشام، واسـتقرت أعـدادٌ كبـيرةٌ منها من النصارى فيها، مثل: قبائل من لخم، وجذام، وعاملة، وكندة، وقيس، وكنانة، وبعد انهيار الدولـة الأمويـة في الشـام وانتقـال مركـز الخلافـة إلى بغـداد انقسـمت القبائل العربية في بلاد الشام بين مؤيد ومعارض، وظهور فرق ومِلل ظالّة، وأدى ذلك إلى حدوث فوضى وصراع دموي أثر على أوضاعها العامة.

3- نتج عن دخول البويهيين ومن بعدهم السلاجقة بغداد؛ انقسامات سياسية كانت تعج بالأمة الاسـلامية والتـي أثّـرت كثـيرًا عـلى الوضـع في الشـام؛ فسَـعت قـوى مختلفـة ومعارضة للخلافـة العباسـية ببغـداد، وبـدأت بتأسـيس نفـوذ لهـا مثـل: الفـاطميين والسـلاجقة الاتـراك، وهـذا لا يمنـع حالـة التنـافر والتنـاحر بيـنهم، وانعكـس هـذا الاختلاف على الواقع الاجتماعي بظهور تباين بين غني وفقير بين فئات المجتمع.

4- مكّن هذا الضعف والانقسـامات لتهيئـة أرض خصـبة لأي معتـدٍ؛ نـتج عـن هـذا استيلاء الصليبيين على غالب مدن بلاد الشام وتأسيس أربعة كيانات لهم وسلب كل مقدّراتها، وتغيـير بنيتهـا الاجتماعيـة وتحويلهـا الى مسـتعمرة لاتينيـة، مـما

يُفسّر وصول الصليبيين إلى أهدافهم في بيت المقدس في أول حملة شنّوها على المشرق، الأمر الذي أبهر الصليبيين قبل المسلمين.

5- بيّنت الدراسة زيف ادعاء هؤلاء بهدم كنيسة القيامة بفلسطين والاعتداء على حجاجهم، وتسترهم حول أطماعهم الحقيقية المتمثلة بالغزو والاستعمار وتحويل المناطق العربية الاسلامية الى كيانات صليبية لتنفيذ مشاريعها التوسعية، وأنّ الحروب الصليبية ماهي إلا المقدمات الحقيقية لقيام الكيان الصهيوني في فلسطين، وتجربة المستوطنات الصليبية هي ذاتها المستنسخة من قبل الكيان الصهيوني في تطويق المناطق العربية وتمزيقها.

6- أظهرت الدراسة حقيقة الغزو الصليبي لبلاد الشام؛ بصفته مشروعًا استيطانيًا يعمل على تغيير ديموغرافية المنطقة، باستقدام المهاجرين الأوربيين وإحلالهم في الأراضي العربية طول حقبة استيطانه، عن طريق شن حملات عسكرية منظمة يقودها ملوك أوروبا.

7- تجلّى في الدراسة بأن الصليبيين قدموا على تصفية الوجود الاسلامي وتفريغه من المدن بممارسة أبشع الجرائم التي مرت بتاريخ الإنسانية، وحتى من كان يتفق معهم بعقيدتهم التي هم بعيدون كل البعد عنها، مارسوا القتل والسلب وعمليات تهجير السكان من مدنهم وهذه كانت ضمن السياسة الاستيطانية التي تبنّتها الكنيسة الغربية في الأراضي المقدسة.

8- أفرزت الدراسة الأهداف الحقيقية وراء بناء المستوطنات الزراعية والعسكرية، وتحويل المساجد الى كنائس؛ التي كانت تضمن لهم البقاء مدة طويلة من جهة، وتشجيع الفرنجة على الهجرة والاستيطان في بلاد الشام من جهة أخرى.

9- أثبتـت الدراسـة أنّ المسـلمين يمرضـون ولا يموتـون، إذ اسـتطاعوا تشـكيل أول جبهـةٍ إسلاميةٍ من العراق بقيادة عماد الدين زنكي ومن بعـده نـور الـدين، اللـذين وحّـدا جبهة المسلمين في العراق والشام واسترجاع الرها وهي أول مدينة احتلها الصليبيون.

10- أوضـحت الدراسـة بـأنّ الصـليبيين يسـعون إلى تحقيـق تلـك الأهـداف الاسـتيطانية التوسعية ليس بطابع عسكري وسياسي فحسب؛ بل حاولوا نشر دينهم والتبشـير بـه بعد أن رأوا أخيرًا أنه لا يمكن وقف المدّ الإسلامي إلا بغزوه فكريًا.

11- أدى ظهور الأيوبيين بشكل عام وصلاح الدين بشكل خـاص واعـلان النفـير لاسـترجاع حقوق المسـلمين واراضـيهم المسـلوبة؛ الى خلـق رد فعـل عنيـف مـن عامـة النـاس وخاصتهم، إذ تطوعت أعداد كبيرة من العراقيين والمغاربة والخـوارزميين في اسـترداد أراضي المسلمين وتحرير بيت المقدس، ونتج عن ذلك رجوع غالب النازحين منها، مع بقاء المحاربين المتطوعين واستقرارهم في بلاد الشام تحسبًا لأي هجوم محتمل.

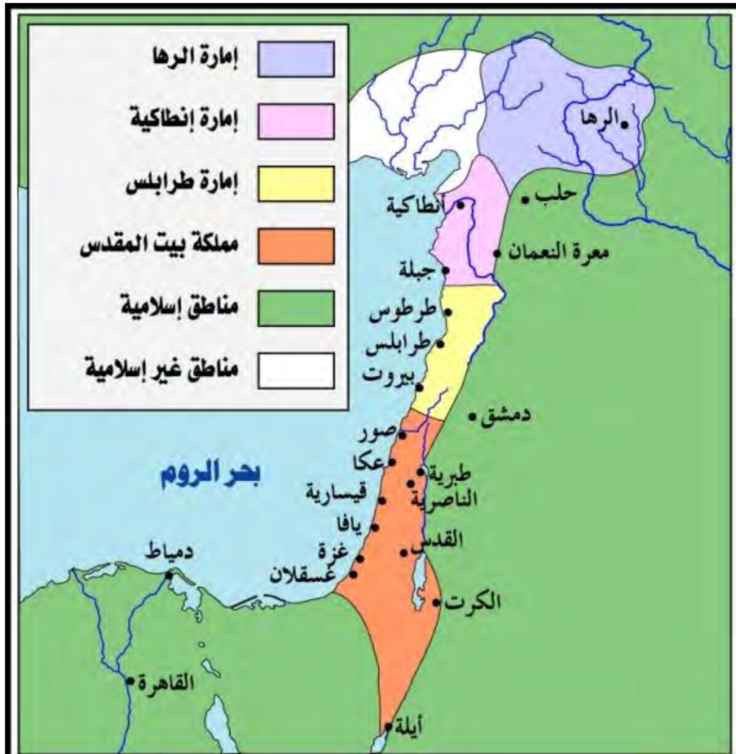
12- ذكرت الدراسة أن ظهور دولة المماليك وقـرب نهايـة الصـليبيين أدّى ذلـك إلى ظهـور قوة جديدة تمثلت بالمغول، فبعد انكسارهم بعين جالوت تفرّقت جمـوعهم وطلبـوا الأمان، الى جانب الصليبيين الفارّين من بطـش قـادتهم، فاسـتأمنهم قـادة المسـلمين ومنحـوا لهـم ضـياعًا في بـلاد الشـام، وأدى هـذا الى تحـوّل كبـير في البنيـة العرقيـة السكانية الديموغرافية لبلاد الشام، ولازالت الى يومنا هذا.

13- تركت هذه الأجناس المختلفة آثارًا سلبية عصفت بواقع بـلاد الشـام الاجتماعـي مـن بينها الانحلال الأخلاقي وتفشي الفساد والسرقات وشرب الخمور.

14- ومن النتائج التي بيّنتها الدراسة بأنّ الكثير من الصليبيين الذين تخلّفوا عن الرحيل لازالوا يُقيمون في البلدان الشامية، مثل: آل فرنجة وآل صليبي، فمنهم لايزال يتمتع بدور سياسي رسمه الاستعمار لهم.

15- اتضح أنّ الصليبيين لم يستحدثوا أية أساليب حضارية جديدة في بلاد الشام، وأنّ جهلهم بالكثير من الصناعات جعلهم يعتمدون على السكان المحليين، وعلى الاسرى المسلمين؛ لإتقانهم الكثير من الاحتياجات الصناعية والزراعية، وقد تأثروا بالمحيط الاسلامي، فاقتبسوا عنهم اسلوب المعاملات، وصناعة العملات النقدية وتقليدها، ولم يقتصر تأثرهم على ذلك، بل في حياتهم اليومية وسلوكياتهم، وتمسكوا بالعادات والتقاليد العربية ولبسوا الملابس العربية، وتأثروا بأسلوب طعامهم، وتعلموا النظافة الشخصية ونقلوا الكثير من هذه العادات والكلمات العربية الى اوروبا.

الملاحق



ملحق رقم (1)

خارطة تأسيس الامارات الصليبية الاولى في بلاد الشام بعد الحملة الأولى

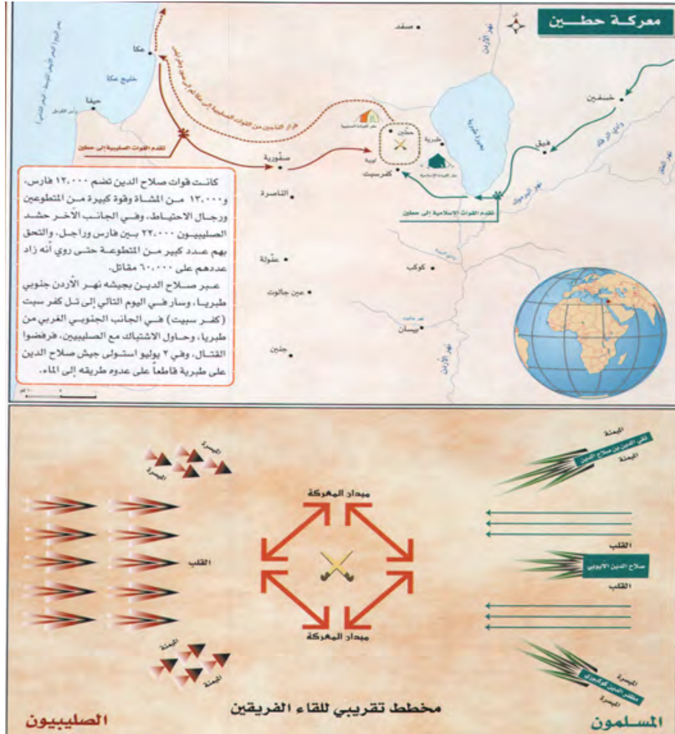
(492ه/ 1099م)

السامرائي، الحرف والصناعات، ص148.

ملحق رقم (2)

الحملة الصليبية الأولى والثانية، مؤنس، حسين، أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي

(القاهرة، 1987م) ص262.



ملحق رقم (3) موقع لقاء الجيش الاسلامي والصليبي في حطين

المغوث، سامي عبد اللـه، أطلس الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى، العبيكان للابحاث والتطوير(الرياض، 2009م) ص120.



ملحق رقم (4) حصار المسلمين للصليبيين داخل القدس

الملغوث، اطلس الحملات الصليبية، ص129.



ملحق رقم (5) أحياء ومحلات القدس بعد تحرير بيت المقدس

عثامنة، فلسطين في العهد الايوبي والمملوكي، ص522.



حارة المغاربة قبيل إزالتها بالكامل



ملحق رقم (6) حارة المغاربة قبيل إزالتها من قبل الاحتلال الصهيوني

ارشيف مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية، نكبة حارة المغاربة في صور (القدس، 2007) ص10.

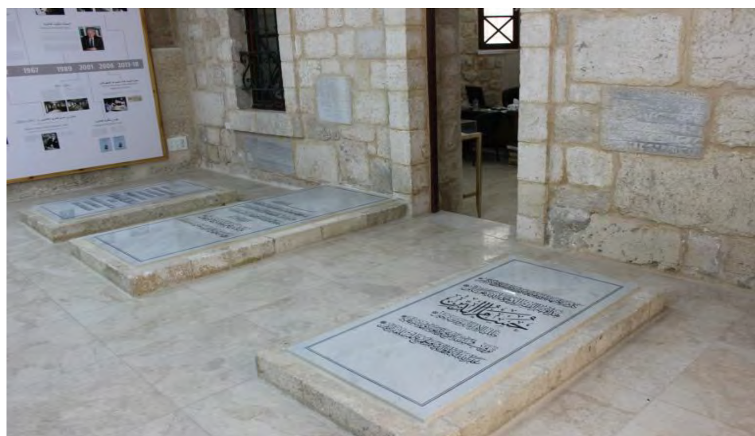




ملحق رقم (7) حارة المغاربة قبيل إزالتها من قبل الاحتلال الصهيوني

ارشيف مؤسسة الأقصى، نكبة حارة المغاربة، ص13-14.





ملحق رقم (8) مشهد دفن بركة خان وولديه في القدس

ارشيف مدينة القدس، الموسوعة الحرة (وبكيديا)







ملحق رقم (9)

دنانير صليبية متنوعة مقلدة للدينار الاسلامي

النبراوي، النقود الصليبية، ص297- 311.

قائمة المصادر والمراجع

❖ **القران الكريم.**

أولًا: المصادر الأولية:

أ- المصادر العربية:

❖ ابـن الأثـير، أبـو الحسـن عـلي بـن أبي الكـرم محمـد بـن محمـد بـن عبـد الكـريم الشيباني(ت630 ه/ 1232م):

1. الباهر في تاريخ الدولة الاتابكية بالموصل، تح، عبدالقادر احمد طليمات، دار الكتب الحديثة (القاهرة، 1963م).
2. الكامـل في التـاريخ، تحقيـق: عمـر عبـد السـلام التـدمري، دار الكتـاب العـربي (بيروت،1997م).

❖ الادريسي، محمد بن محمد بن عبد اللـه الحسني الطالبي (ت 560ه/ 1164م):

3. نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب (بيروت، 1998م).

❖ الأزدي، علي بن ظافر (ت 623ه / 1226م):

4. أخبار الدولة الحمدانية، تحقيق: تميمة الرواف، دار حسان (دمشق، 1985م).

❖ الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد اللـه (ت430هـ/1038م):

5. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ط3، نشر دار الكتاب العربي (بيروت، 1980م).

❖ الاصفهاني، ابو عبد اللـه محمد بن محمد بن حامد (ت 597هـ/ 1201م):

6. الفتح القسي في الفتح القدسي المسمى (حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس) دار المنار (د.م، 2004م).

❖ الانطاكي، يحيى بن سعيد بن يحيى (ت 458هـ/ 1066م):

7. صلة تاريخ أوتيخاء، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس (لبنان، 1990م).

❖ ابن إياس، زين العابدين محمد بن أحمد الحنفي (ت 930ه/ 1524م):

8. بدائع الزهور في وقائع الدهور، الهيئة المصرية للكتاب (القاهرة، 1983م).

❖ ابن برجان، عبد السلام ين عبد الرحمن (ت 536 هـ / 1141 م):

9. تنبيه الافهام الى تدبير الكتاب الحكيم، وتَعَرُّف الآيات والنبأ العظيم، تحقيق: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية (بيروت، د. ت).

❖ ابن بطوطة، محمد ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الطنجي (ت 779هـ /1369م):

10. الرحلة المسماة (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار) دار الشرق العربي (بيروت، 2010م).

❖ البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي (ت 487هـ/ 1094م):

11. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، ط3، عالم الكتب (بيروت، 1983م).

❖ البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر (ت 279 ه/ 892 م):

12. أنســاب الأشراف، تحقيــق: عليــه الشــيخ، منشــورات مؤسســة الاعلمــي (بــيروت ، 1974 م).

❖ البنداري، قوام الدين الفتح علي بن محمد (ت 643هـ/ 1245م):

13. سنا البرق الشامي، تحقيق: فتحية النبراوي، مطبعة الجبلاوي (القاهرة، 1979م).

❖ ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف (ت 874هـ/ 1469م):

14. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: ابراهيم شـمس الـدين، دار الكتـب العلمية (بيروت، 1992م).

❖ ثابت بن سنان(ت 365هـ- 976م) وابن العديم:

15. أخبار القرامطة، جمع وتحقيق: سهيل زكار، دار حسان (دمشق، 1987م).

❖ ابن جبير، محمد بن أحمد الكناني الأندلسي (ت 614ه/ 1217م):

16. الرحلة المسماة (تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار) تحقيق: حسـين نصـار، مكتبـة مصر (القاهرة، 1955م).

❖ ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عـلي بـن محمـد (ت 597هــ/ 1200م):

17. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تحقيق: محمـد عبـد القـادر عطـا، ومصـطفى عبـد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت، 1992م).

❖ ابن حزم، أبي محمد على بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت456هـ/1063م):

18. جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون، ط3، دار المعارف (د.ت، القاهرة).

❖ الحكمي، نجم الدين أبو محمد عمارة اليمني(ت 569 هـ/ 1174م):

19. النكت العصرية في أخبار الوزراء المصرية، تصحيح: هرتوينغ درنبغ مكتبة المثنى (بغداد، 1968م).

❖ الحميَري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم (ت 900هـ/ 1494م):

20. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة (بيروت، 1980م).

❖ ابن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد ابن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ/ 855م):

21. المسند، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة (بيروت، 2001م)

❖ الحنبلي، مجير الدين عبد الرحمن بن محمد(ت 928ه/ 1521م):

22. الانس الجليل بتاريخ القدس والخليل، تحقيق: عدنان يونس، مكتبة دنيس (عمان، دت).

❖ ابن حوقل، أبو القاسم محمد بن علي الموصلي البغدادي (ت367ه/977م):

23. صورة الأرض، دار صادر (بيروت، 1938م).

❖ خسرو، ابو معين الدين الحكيم ناصر المروزي (ت 481هـ/1088م):

24. سفر نامه، تحقيق: يحيى الخشاب، ط3، دار الكتاب الجديد (بيروت، 1983م).

❖ ابن خلدون، عبد الرحمن بـن محمـد بـن محمـد الحضرمـي الإشـبيلي (ت 808هــ/ 1405م):

25. العبر ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربـر ومـن عـاصرهم مـن ذوي الشـأن الأكبر، تحقيق: خليل شحادة، وسهيل زكار، ط2، دار الفكر (بيروت، 1988م).

❖ ابن خلكان، أبـو العبـاس شـمس الـدين أحمـد بـن محمـد بـن أبي بكـر(ت 681ه/ 1282م):

26. وفيـات الأعيـان وأنبـاء أبنـاء الزمـان، تحقيـق: احسـان عبـاس، دار صـادر (بـيروت ،1994م).

❖ الدَوَاداري، أبو بكر بن عبد اللـه بن أيبك (ت بعد 736ه / بعد 1432م):

27. كنز الدرر وجامع الغرر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعـة عـيسى البـابي الحلبـي (القاهرة، 1961م).

❖ الدينوري، أبو حنيفة أحمد بن داود (ت282هـ/ 648م):

28. الأخبار الطوال، تحقيق: عبـد المـنعم عـامر، مراجعـة: جـمال الـدين الشـيال، دار إحياء الكتب العربي (القاهرة، 1960م).

❖ الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز (ت 748هـ/ 1347م):

29. تاريخ الإسلام ووفَيات المشاهير والأعـلام، تحقيـق: عمـر عبـد السـلام التـدمري، دار الكتاب العربي (بيروت، 1993م).

30. سير أعلام النبلاء، تحقيق: عمر عبـد السـلام تتـدمري، دار الكتـاب العـربي، (بـيروت، 1989).

31. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي (دار المعرفة، بيروت، 1963م).

❖ ابن الراهب، أبو شاكر بطرس بن أبي الكرم بن المهذب (ت681هـ/ 1282م):

32. تاريخ ابن الراهب، عني بنشره الأب لويس شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين (بيروت، 1903م).

❖ ابن زكريا الرازي، أبو بكر محمد(ت 313هـ/ 925م):

33. الحاوي في الطب، اعتنى به: هيثم خليفة طعيمي، دار احياء التراث العربي (بيروت،2002م).

❖ سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبو المظفر يوسف (ت 654هـ):

34. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، تحقيق وتعليق: محمد بركات، واخرون، دار الرسالة العلمية (دمشق، 2013م).

❖ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت 911هـ/ 1505م):

35. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية (مصر، 1967م).

❖ ابو شامة، شهاب الدين بن عبد الرحمن بن اسماعيل القدسي (ت 665هـ/ 1276م):

36. الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة (بيروت، 1997م).

❖ ابن الشحنة، القاضي ابو الفضل محمد بن محمد الحنفي (ت 890ه / 1485م):

37. الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب، تقديم: عبد اللـه محمد الدرويش، دار الكتاب العربي (دمشق، 1984م).

❖ ابن شداد، ابو المحاسن بهاء الدين يوسف (ت 632ه/ 1234م):

38. النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية المسمى (سيرة صلاح الدين الأيوبي) مكتبة الخانجي (القاهرة، 1994م).

❖ الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر(ت 548هـ / 1153م):

39. الملل والنحل، تحقيق: محمد سيد كيلاني دار المعرفة (بيروت، 1984م).

❖ شيخ الربوة، شمس الدين ابو عبد اللـه محمد الانصاري الدمشقي (ت 727هـ/ 1370م):

40. نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، دار احياء تراث العربي(بيروت، 1998م).

❖ الطبري، محمد بن جرير (ت 310ه/ 923م):

❖ تاريخ الرسل والملوك، ط2، دار التراث (بيروت، 1968م).

41. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد اللـه بن عبد المحسن التركي، دار هجر (د. م، 2003م).

❖ الطرسوسي، نجم الدين إبراهيم بن على بن أحمد ابن عبد المنعم (ت 758هـ/ 1356م):

42. تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، تحقيق: عبد الكريم محمد مطيع الحمداوي، ط2، دار الكتب العلمية (بيروت، د ت).

❖ ابن ظافر، جمال الدين ابو الحسن(ت 623ه/1253م):

43. أخبار الدول المنقطعة، تحقيق اندريه فويه، مطبوعات المعهد الفرنسي (القاهرة، 1972م).

❖ ابن عبد الحق، صفيّ الدين عبد المؤمن البغدادي (ت 739هـ/ 1338م):

44. مراصد الاطلاع على اسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة (بيروت، 1954م).

❖ ابن عبد الظاهر، محي الدين ابو الفضل عبد الله (ت 692هـ/ 1292م):

45. تشريف الايام والعصور في سيرة الملك المنصور، تحقيق: مراد كمال، مراجعة: محمد علي النجار (القاهرة، 1961م).

46. الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر، تحقيق: عبد العزيز الخويطر (الرياض، 1976م).

❖ ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة (ت660هـ/ 1261م):

47. بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر (بيروت، د. ت).

48. زبدة الحلب في تاريخ حلب، تعليق، خليل منصور، دار الكتب العلمية(بيروت، 1996م).

❖ ابن عساكر، ابو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله (ت 571هـ/ 1175م):

49. تاريخ دمشق، تحقيق: عمرو ابن غرامة العمروي، دار الفكر (د. م، 1995م).

❖ العمري، شهاب الدين أحمد بن فضل الله (ت 749ه/1348م):

50. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي (أبو ظبي، 2002م).

❖ القاضي عياض، أبو الفضل بن موسى اليحصبي الاندلسي(ت 544 ه / 1149م):

51. ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية (بيروت، 1998 م).

52. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، المكتبة العتيقة ودار التراث (القاهرة، 1978م).

❖ القاضي النعمان، أبو حنيفة بن محمد التميمي المغربي(ت 363هـ/ 974م):

53. المجالس والمسايرات، تحقيق: الحبيب الفقي، وإبراهيم شبوح، ومحمد اليعلاوي، دار المنتظر (بيروت، 1996م).

❖ القلقشندي، تقي الدين أحمد بن علي (ت 821ه/ 1418م):

54. صبح الاعشى في صناعة الانشا، المؤسسة المصرية العامة (القاهرة، 1987م).

❖ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت 774هـ/ 1343):

55. البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي (بيروت، 1988م).

❖ الماوردي، ابو الحسن علي بن محمد (ت 450هـ/ 1085م):

56. الاحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: أحمد مبارك البغدادي، دار ابن قتيبة (الكويت، 1989م).

❖ المسعودي، ابو الحسن علي بن الحسين (ت 346ه/ 1957م):

57. مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: اسعد داغر، دار الاندلس (بيروت، 1965م).

58. التنبيه والإشراف، مكتبة المثنى (بغداد، 1967م).

❖ المقريزي، تقي الدين العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي (ت 845ه / 1441م):

59. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، تحقيق: جمال الدين الشيال، ط2، وزارة الأوقاف (مصر، 1996م).

60. السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية (بيروت، 1997م).

61. المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار، دار الطباعة المصريّة (القاهرة، د.ت).

❖ ابن منقذ، أسامة بن مرشد الكناني الشيزري (ت 584ه/ 1188م):

62. الاعتبار، تحرير: فليب حتي، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة ، د.ت).

❖ النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب(ت 733هـ/ 1333م):

63. نهاية الإرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وأخرون، دار الكتب العلمية (بيروت، 2004م).

❖ الهروي، أبو الحسن على بن أبي بكر(ت611هـ/1215م):

64. الإشارات إلى معرفة الزيارات، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية (القاهرة، 2002م).

❖ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم (ت 697هـ/ 1298م):

65. التاريخ الصالحي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، المكتبة العصرية (بيروت، دت).

❖ ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر الكندي (ت 749هـ/ 1348):

66. تتمة المختصر في أخبار البشر، دار الكتب العلمية (بيروت، 1996م).

❖ ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد اللـه (ت 626هـ/ 1828م):

67. معجم البلدان، دار الفكر (بيروت، 1995م).

ب- المصادر الأجنبية المعرّبة:

❖ بورشارد، من جبل صهيون (ت بعد 630ه/ 1233م):

68. وصف الارض المقدسة، ترجمة: سعيد عبد الـلـه البيشاوي (عمان، 1995م).

❖ التطيلي، بنيامين يونه النباري الأندلسي (ت 569ه/ 1173م):

69. الرحلة، ترجمة وتعليق: عزار حداد، تقـديم: عبـد الـرحمن عبـد الـلــه الشـيخ، ط2 المجمع الثقافي (أبو ظبي،2009).

❖ توديبود، بطرس (ت بعد 500ه/ 1106م):

70. تاريخ الحملة الى بيت المقدس، ترجمة: حسين محمد عطيـة، دار المعرفـة الجامعيـة (القاهرة، ١٩98م).

❖ ثيودريش، فون ويد (ت 620ه/ 1242م):

71. وصف الأماكن المقدسة في فلسـطين، ترجمـة: سـعيد البيشـاوي، ريـاض شـاهين، دار الشروق(عمان، دت).

❖ جوانفيل، جان دي (ت 716ه/ 1317م):

72. القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة: حسن حبشي، دار المعارف (د. م، 1968م).

❖ دانيال، الراهب (ت بعد 512ه/ 1118م):

73. وصــف الأرض المقدســة في فلســطين (1106-1107م) ترجمــة: سـعيد عبدالـلــه البيشاوي، وداود إسماعيل أبو هدية، دار الشروق (القاهرة، 2003م).

❖ دويل، اودو اوف:

74. رحلة لويس السابع إلى الشرق، ترجمة وتحقيق: سهيل زكار، وقع ضمن الموسوعة الشاملة للحروب الصليبية دار الفكر العربي (1995، دمشق).

❖ ريموندداجيل (ت بعد 500ه/ 1106م):

75. تاريخ الإفرنج غزاة بيت المقدس، تقديم: جوزيف نسيم، ترجمة: حسين محمد عطية، دار المعرفة (الاسكندرية، 2002م).

❖ الشارتري، فوشيه، (ت 521ه/ 1127م):

76. تاريخ الحملة إلى بيت المقدس (1095- 1127م) ترجمة ودراسة وتعليق: قاسم عبده قاسم، دار الشروق (القاهرة، 2001م).

❖ الصوري، وليم (ت 580ه/ 1184م):

77. تاريخ الحروب الصليبية المسمى (تاريخ الأعمال المنجزة فيما وراء البحار) ترجمة: سهيل زكار، دار الفكر(بيروت، 2003م).

❖ فورزبورغ، يوحنا (ت بعد 566ه/ 1170م):

78. وصف الأراضي المقدسة في فلسطين، ترجمة وتعليق: سعيد عبد الله البيشاوي، دار الشيماء (عمّان، 2011م).

❖ كومينيا، أنّا(ت بعد 548ه/ 1142م):

ألكسياد، ترجمة: حسن حبشي، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، 2004م).

❖ ماركوبولو (ت 725ه/ 1324م):

79. الـرحلات، ترجمـة: عبـد العزيـز جاويـد، الهيئـة المصريـة العامـة للـبلاد، (القـاهرة، 1977م).

❖ مجهول (ت بعد 500ه/ 1106م):

80. اعمال الفرنجـة وحجـاج بيـت المقـدس، ترجمـة: حسـن حـبشي، دار الفكـر العـربي (القاهرة، ١958م).

❖ مجهول، (ت بعد 588ه/ 1192م):

81. الحرب الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) ترجمة: حسن حبشي، الهيئة العامة للكتاب (القاهرة، 2000 م).

❖ مجهول (ت بعد 632ه/ 1234م):

82. تـاريخ متـى الرهـاوي المسـمى (الحملتـان الصـليبيتان الأولى والثانيـة) عربـه عـن السريانية ووضع حواشيه: الاب البير ابونا، مطبعة شـفيق (بغداد، 1986م).

❖ مجهول (ت ق7 ه/13 م):

83. ذيل وليم الصوري، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامـة للكتـاب (القـاهرة، 2002م).

❖ ميخائيل السوري (ت 595ه/ 1199م):

84. تاريخ ميخائيل السوري، ضـمن الموسـوعة الشـاملة في الحـروب الصـليبية، ترجمـة: سهيل زكار، دار الفكر (دمشق، 1995م).

❖ ويندوفر، روجر أوف(ت 634ه/ 1237م)

85. ورود التاريخ (447 - 1235م) ترجمة وتحقيق: سهيل زكار، وقع ضمن الموسوعة الشاملة للحروب الصليبية، دار الفكر العربي (دمشق، 2000م).

ثانيًا: المراجع الثانوية:

أ- المراجع العربية:

❖ ارشيف مؤسسة الأقصى لإعمار المقدسات الإسلامية

86. نكبة حارة المغاربة في صور (القدس، 2007).

❖ الأعظمي، محمد ضياء الرحمن:

87. اليهودية والمسيحية، مكتبة الدار (المدينة المنورة، 1988).

❖ أمين، أحمد:

88. ظُهر الإسلام، ط3، دار الكتاب العربي (بيروت، د ت).

❖ البيشاوي، سعيد عبد اللـه:

89. الممتلكات الكنسية في مملكة بيت المقدس، تقديم: محمود سعيد عمران، دار الشيماء للتوزيع والنشر (رام اللـه، 2015م).

❖ الجفري، عصام بن هاشم:

90. موجز التطور الاقتصادي في الدولة الإسلامية حتى نهاية العصر الأموي مع لمحة عن التطور الاقتصادي في أوربا(الرياض، دت).

❖ حتي، فيليب:

91. تاريخ لبنان، تحقيق: أنيس فريحة، دار الثقافة للطباعة والنشر (د. م، 1959م).

92. تاريخ العـرب المطـول، ترجمـة: ادورد جرجـي، وجبرائيـل جبـور، دار الكشـاف، ط2 (بيروت، 1965).

❖ الحريري، سيد علي:

93. الأخبار السنية في الحروب الصليبية، المطبعة العمومية (القاهرة، 1899م).

❖ حسنين، عبد المنعم محمد:

94. سلاجقة إيران والعراق، مكتبة النهضة المصرية، ط2، القاهرة، 1970م).

❖ الحويري، محمود محمد:

95. بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصـدي للصـلبيين، دار المعـارف، (القـاهرة، 1922م).

❖ الخزماوي، محمد، وزعيم الخنشلاوي:

96. وقـف سـيدي أبـو مـدين في القـدس الشريـف (720هــ/1320م) منشـورات المركـز الجزائري للبحوث (الجزائر، د.ت).

❖ خلف، شعبان محمد:

97. بلغاريا والحروب والصليبية، دار الآفاق العربية (القاهرة،2011).

❖ خماش، نجدت:

98. الشام في صدر الإسلام من الفـتح حتـى سـقوط خلافـة بنـي أميـة (دراسـة الأوضـاع الاجتماعية والإدارية) دار طلاس للدراسات والترجمة(دمشق، 1987م).

❖ الدباغ، مصطفى مراد:

99. بلادنا فلسطين، دار الطليعة (بيروت، 1965م).

❖ رحيل، محمد فوزي:

100. نهاية الصليبيين (فتح عكا 648- 690هـ- 1250- 1291م) عين للدراسات والبحوث الانسانية (مصر، 2002م).

❖ رشيد، يوسف:

101. سلاجقة الشام والجزيرة (435هـ -570هـ) المؤسسة الصحفية الأردنية (عمان، 1988).

❖ الزركلي، خير الدين بن محمود الدمشقي:

102. الأعلام، ط6، دار العلم للملايين (بيروت، 2002م).

❖ زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي:

103. مؤسسة هنداوي (القاهرة، 2012).

❖ السامرائي، ابراهيم:

104. المجموع اللفيف معجم في المواد اللغوية التاريخية الحضارية، دار عمار (الاردن، 1987م).

❖ سعيد عبد الفتاح عشور:

105. الحركة الصليبية، ط3، مكتبة الأنجلو المصرية (القاهرة، 1975م).

❖ السمين، حسن أحمد عبد الرازق:

106. الحياة السياسية في بلاد الشام خلال القرن الخامس هجريًا والحادي عشر ميلاديًا، دار التعليم الجامعي (الاسكندرية، د.ت).

❖ السيد، عبد اللطيف عبد الهادي، علاء النحاس:

107. تاريخ العصور الوسطى الأوروبية وعلاقاتها بالشرق، تحرير: محمد فوزي رحيل، مكتبة الآداب (د. م، 2019).

❖ شامي، يحيى:

108. موسوعة المدن العربية والإسلامية (دار الفكر العربي، بيروت، 1993م).

❖ الشنقيطي، محمد بن المختار:

109. أثر الحروب الصليبية على العلاقات السنية والشيعية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، (بيروت، 2016).

❖ الشيال، جمال الدين:

110. مجموعة الوثائق الفاطمية، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية (القاهرة، 1958م).

❖ صموئيل، واخرون،:

قاموس الكتاب المقدس، دائرة المعارف الكتابية المسيحية (بيروت، د. ت).

❖ الطباخ، محمد راغب:

111. إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهداء تصحيح وتعليق: محمد كمال، دار العلم العربي (حلب، 1988م).

❖ طقوش، محمد سهيل:

112. تاريخ السلاجقة في بلاد الشام، دار النفائس، ط3 (بيروت، 2009م).

❖ العارف، عارف باشا:

113. المفصل في تاريخ القدس، مكتبة الاندلس (القدس، 1999م).

❖ عبد السلام، عادل:

114. جغرافية سورية الاقليمية، منشورات جامعة تشرين (دمشق، 2004م).

❖ عثامنة، خليل:

115. فلسطين في العهد الايوبي والمملوكي، مؤسسة الدراسات الفلسطينية (بيروت، دت).

❖ عثمان عبد الحميد:

116. الإسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية (491-691هـ/1097-1290م) المكتبة التاريخية (القاهرة، 1983م).

❖ عطية، عزيز سوربال:

117. الحروب الصليبية وتأثيرها على العلاقات بين الشرق والغرب، ترجمة: فيليب صابر سيف، ط2، دار الثقافة (بيروت،1990م).

❖ عمران، محمود سعيد:

118. الحروب الصليبية (195-1291م) دار المعرفة (مصر، 2000).

❖ العنيسي، طوبيا بستاني:

119. تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه، مكتبة العرب (القاهرة، 1932م).

❖ العودات، حسين:

120. العرب النصارى عرض تاريخي، الأهلي للطباعة والنشر(دمشق، 1992).

❖ عوض، محمد مؤنس:

121. الحروب الصليبية العلاقات بين الشرق والغرب، عين للدراسات والبحوث الإنسانية (مصر، 2000م).

122. عالم الحروب الصليبية، بحوث ودراسات، عين للدراسات والبحوث (القاهرة، 2005م).

❖ الغزي، كامل بن حسين بن محمد:

123. نهر الذهب في تاريخ حلب، ط2، دار القلم (حلب، 1997م).

❖ فروخ، عمر:

124. تاريخ الأدب العربي، ط2، دار العلم للملايين (بيروت، 1985م).

❖ فوزي، فاروق عمر:

125. الخلافة العباسية (عصر القوة والازدهار) دار الشروق (عمان، ١٩٩٨).

❖ قاسم، عبده قاسم:

126. الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق، عين للدراسات والبحوث (القاهرة، 2001).

127. ماهية الحروب الصليبية، عالم المعرفة (الكويت، 1990م).

128. في تاريخ الأيوبيين والمماليك، عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية (القاهرة، 2012م).

❖ القواسمي، يوسف عمر:

129. المدخل إلى مذهب الامام الشافعي، تقديم: مصطفى سعيد الخن، دار النفائس (الأردن،2003 م).

❖ كرد علي، محمد:

130. خطط الشام، المطبعة الحديثة (دمشق، 1925م).

❖ الكرملي، انستاس ماري:

131. القاب الشرف والتعظيم عند العرب، العدد 411، ١٩/ 5 (القاهرة، ١941م).

❖ لاوي، أمين:

132. أصول التربية الإسلامية، دار ابن الجوزي (الدمام، 1998م).

❖ ماجد، عبد المنعم:

133. الحاكم بأمر اللـه المفترى عليه، ط2، مكتبة الانجلو (القاهرة، 1982).

❖ مجموعة مؤلفين،

134. شروحات مجموعة قوانين الكنائس الشرقية، المكتبة البوليسية (لبنان، 2005م).

❖ المحقق، سعود بن عبد العزيز:

135. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، ط4، مكتبة أضواء السلف (الرياض، 2004).

❖ محمد فتحي:

136. الأكراد في عهد عماد الدين زنكي (521ه- 541هـ/ 1127م- 1146م) دار المعـارف (د م، 1991م).

❖ المغوث، سامي عبد اللـه:

137. أطلس الحملات الصليبية على المشرق الاسلامي في العصور الوسطى، العبيكان للأبحاث والتطوير(الرياض، 2009م).

❖ مؤنس، حسين:

138. أطلس تاريخ الإسلام، الزهراء للإعلام العربي (القاهرة، 1987م).

❖ النبراوي، رأفت محمد:

139. النقود الصليبية في مصر والشام، مكتبة القاهرة للكتاب (القاهرة، 2004).

ب- المراجع الأجنبية المعرّبة:

❖ باركر، ارنست:

140. الحروب الصليبية، ترجمة: السيد الباز العريني، دار النهضة العربية (بيروت، 1967م).

❖ بالار، ميشيل:

141. الحملات اللاتينية والشرق اللاتيني من القرن الحادي عشر الى القرن الرابع عشر ترجمة، بشير السباعي، عين للدراسات والبحوث (القاهرة، 2003م).

❖ براور، يوشع:

142. الاستيطان الصليبي في فلسطين (مملكة بيت المقدس) ترجمة: عبد الحافظ البنا، عين للدراسات والبحوث الانسانية (القاهرة، 2001م).

143. عالم الصليبيين، ترجمة: قاسم عبده قاسم، ومحمد خليفة حسن، عين للبحوث والدراسات الانسانية والاجتماعية (القاهرة، 1999م).

❖ بوس، أدريان:

144. مدينة بيت المقدس زمن الحروب الصليبية، ترجمة: عليّ السيد عليّ، المركز القومي للترجمة (القاهرة، 2010م).

❖ بينز، نورمان:

145. الإمبراطورية البيزنطية، ترجمة: حسين مؤنس ومحمد يوسف زايد، مطبعة لجنه التأليف والترجمة والنشر (القاهرة، 1950م).

❖ جب، آ.ر. هاملتون:

146. صلاح الدين الأيوبي دراسات في التاريخ الاسلامي، ترجمة: يوسف حسين إيبش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر(د.م، 1973م).

❖ فولفغانغ فينر:

147. القلاع والحصون أيام الحروب الصليبية، ترجمة: محمد وليد الجلاد، دار الفكر (دمشق، 1984م).

❖ دوزي، رينهارت بيتر آن:

148. تكملة المعاجم العربية، ترجمة وتعليق: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام (العراق، 2000م).

❖ رستم، أسد:

149. كنيسة مدينة أنطاكيا العظمى، المكتبة البوليسية (بيروت، 1988).

❖ رنسيمان، ستيفن:

150. تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة الباز العريني، دار الثقافة (بيروت، ١٩67م)

❖ زابوروف، ميخائيل:

151. الصليبيون في الشرق، ترجمة: الياس شاهين، دار التقدم (موسكو، د. ت).

❖ سميل، ر.س:

152. فن الحرب عند الصليبيين في القرن الثاني عشر (1079- 1193م) ترجمة: محمد وليد الجلاد، مركز الدراسات العسكرية (دمشق، 1982 م).

❖ كانتور، نورمان:

❖ التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة: قاسم عبده قاسم، عين للدراسات والبحوث (د.م، 1999م).

❖ كروسيه، رينيه:

153. الحروب الصليبية صراع الشرق والغرب، ترجمة: احمد ايبش دار قتيبة للطباعة والنشر (دمشق: 2003م).

❖ كوبلاند، وفينوجرادوف، الإقطاع والعصور الوسطى في غرب أوربا، ترجمة: محمد مصطفى زيادة (القاهرة، 1985م).

❖ لوبون، غوستاف:

154. حضارة العرب، ترجمة: عادل زعيتر، هنداوي للتعليم والثقافة (القاهرة، 2012م).

❖ لويس، أرشيبالد:

155. القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط (500 - 1100م) ترجمة: أحمد محمد عيس، مراجعة محمد شفيق غربال، مكتبة النهضة المصرية (القاهرة، 1950م).

❖ ماستناك، توماس:

156. السلام الصليبي، ترجمة بشير السباعي، ط2، المجلس الأعلى للثقافة (القاهرة، 2009).

❖ ماير، هانز ابيرهاد:

157. تاريخ الحروب الصليبية: ترجمة للإنجليزية: جلينجهام، تعريب: محمد فتحي الشاعر (القاهرة، 1999 م).

❖ متز، آدم:

158. الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة: محمد عبد الهادي ابو ريدة، دار الكتاب العربي (بيروت، د.ت).

❖ مونروند، مكسيموس:

159. من تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب، ترجمة: مكسيموس مظلوم، دير الرهبان الفرنسيسكانيين (أورشليم، 1965م).

❖ هايد:

160. تاريخ التجارة في الشرق الادنى، ترجمة: احمد محمد رضا، تقديم: الهيئة المصرية العامة للكتاب (الاسكندرية، 1958م).

❖ هنتس، فالتر:

161. المكاييل والاوزان الاسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: كامل العسلي، منشورات الجامعة الاردنية (عمان، 1970م).

❖ واط، وليم مونتغمري:

162. تأثير الاسـلام في أوربـا العصـور الوسـطى، ترجمـة: سـارة الـذيب، مراجعـة: سـحاب الاحدب، جسور للترجمة والنشر (بيروت، 2016م(.

❖ ول ديورانت:

163. ويليام جـيمس: قصـة الحضـارة، تقـديم: محيـي الـدين صـابر، ترجمـة: زكي نجيـب محمود وآخرون، دار الجيل (بيروت، 1988م).

❖ ويست، انتوني:

164. الحروب الصليبية، ترجمة: شكري محمود نديم مؤسسـة فـرانكلن للطباعـة والـنشر (بغداد، 1967م).

ج- المراجع الأجنبية غير المعرّبة:

❖ Albret ،d Aix،

165. History of the Journey to Jerusalem Trans ،by Susan ،B ،(Oxford University ،2000).

❖ August ،Cree ،

166. The First Crusade: Accounts of Eyewitnesses and Participants (Princeton ،1921).

❖ Baldrici ،episcopi Dolensis،

167. Historia Jerosolimitana ،RHCM Historiens Occidentauxm IV (France ،1866).

❖ Balduini III

168. Hierosolymitanl Latinorum Regis Quarti ،Hisortia Nicaean vel Antiochena (Paris ،1895).

❖ Benvenisti ،M،

169. The Crusaders in the Holy Land ،Jerusalem (New York ،1972).

❖ chalandon ،F،

170. Histoire de la Premiere Croisade ،(Paris ،1925).

❖ group of historians،

171. Itinerario di la Gran Militia ،la Pavese ،Historiens Occidentaux (Paris ،1895).

❖ Hor ،M،

172. Studien zur Geschichte Papst Eugens III (1145-1153) Peter Lang Verlag ،(U.K1992).

❖ Jacques de vitry ،

173. Letters،ed. R.B.C.Huygens(Leiden ،1960).

❖ Jones ،Sydney،

174. The Crusades Biographies ،(USA ،2005).

❖ Kostick ،Conor ،The Social Structure of the First Crusade the Medieval Mediterranean ،Brill (Netherlands ،2008).

❖ L'Estorie،

175. Eracles Empereur ،RHC ،V II ،Book 23 to 24 ،Continuation of William of Tyre from the so-called «Rothelin Mauncript».

❖ Li Epstoirt ،

176. de Jerusalem et d'Antioche ،RHC ،Historiens Occidentaux ،(Paris ، 1895).

❖ Mark ،C،

177. "Second Crusade" World History Encyclopedia (2018 ،Chicago).

❖ Murray ،A.v،

178. From Clermont to Jerusalem: the Crusades and Crusader societies ، 1095-1500: selected proceedings of the International Medieval Congress،(University of Leeds ،1995).

❖ Norman ،Cohn،

179. The Appeal of the Crusades ،WGBH educational foundation (London ،1995).

❖ O'Neal ،J Michael،

180. The Crusades covers everything from the First Crusade (1095-99) through the Ninth Crusade (1271-72) ،UXL (2004).

ثالثًا: الدوريات والبحوث المنشورة:

❖ البكر، راغب حامد:

181. الاسرى المسلمون في الحروب الصليبية، مجلة آداب الرافدين، جامعة الموصل، العدد 25 (الموصل، 1993م).

❖ البياتي، عبد الجبار ستار:

182. التنظيم الإداري في عصر الراشدين، عمر بن الخطاب (أنموذجا) كلية الآداب، (الجامعة العراقية، 2021).

❖ البيشاوي:

183. نابلس الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية في عصر الحروب الصليبية (492- 690هـ/ 1099- 1291م) مؤتمر تجليات حركة التاريخ في مدينة نابلس (جامعة القدس، 1991م).

❖ توفيق، فواز نصرت:

184. دور المدن التجارية الإيطالية في الحروب الصليبية (جنوة، البيزا، البندقية) مجلة جامعة تكريت للعوم الانسانية، المجلد 16، العدد10 (تكريت، 2009م).

❖ حديس، حسين:

185. دور علماء العراق في تحرير بيت المقدس، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد 16، العدد1 (جامعة تكريت، 2009).

❖ الدوري، عبد العزيز:

186. العرب والارض في بلاد الشام في صدر الاسلام، مؤتمر، بلاد الشـام (تـاريخ بـلاد الشـام من ق 6-ق 7.ه) المتحدة للنشر(د م، ١٩74م).

❖ زيادة، نقولا:

187. بلاد الشام في العهد البيزنطي،، ط2، ندوة أعمال المـؤتمر الـدولي الرابـع لتـاريخ بـلاد الشام (الجامعة الأردنية، 15- 19 تشرين أول 1983م).

❖ الزيدي، مصعب حمادي نجم:

188. حصن الأكراد ودوره في الصراع الاسلامي الصليبي، مجلة ابحاث كلية التربية، المجلـد 7، العدد 4 (جامعة الموصل، 2008).

❖ السامرائي، ساجد مخلف حسن:

189. النشاط الطبي في العصريين الراشدي والأموي، مجلة التراث العلمي العـربي، العـدد1 (جامعة بغداد، 2015م).

❖ السامرائي، عبد الجبار محسن:

190. الاتجاهات العامة في سياسة الخليفة عبد الملك بن مروان في اختيار ولاته وعماله في إدارة شؤون الدولة العربية الإسلامية، مجلة سر مـن رأى، كليـة التربيـة، المجلـد 13، العدد 8 (جامعة سامراء، 2008م).

❖ السامرائي، عبد الحميد حسين:

191. علاقة صلاح الدين الأيوبي بالمغرب الإسلامي، قسم التاريخ مجلـة سر مـن رأى، كليـة التربية، المجلد3، العدد 8 (جامعة سامراء، 2007).

❖ السامرائي، قاسم حسن عباس آل شامان:

192. المُطَوّعة وإسهامهم في حروب السلطان صلاح الدين الأيوبي، مجلة دراسات بيت المقدس، المجلد 21، العدد 1 (فلسطين، 2021م).

❖ شنيتر، حاتم فزع:

193. واقع المسلمين في بلاد الشام أثناء الغزو الصليبي، الجامعة العراقية، مجلة كلية الآداب (العراق، 2005).

❖ صاولي، عبد الملك:

194. الجذور التاريخية للصراع الشيعي السني من المنازلات السياسية إلى الاختراق الإعلامي، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة محمد بوضياف، المجلد7، العدد14(الجزائر، 2018م).

❖ الطويلي، أحمد:

195. الحملة الصليبية الثامنة على تونس، مجلة المورد، المجلد 16، العدد4 (العراق، 1987 م).

❖ عاجل، عباس، سمير صالح:

196. الحروب الصليبية تطور المصطلح والمفهوم، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، المجلد 19، العدد4 (بابل، 2011م).

❖ عبد الرحيم، رائد مصطفى:

197. وسائل الدعاية (صورة المسلمين في أدب الرحلات الأوروبية والروسية إلى الأماكن المقدسة في العصور الوسطى أنموذجًا) مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية، العدد 1، مج13، (فلسطين، 2011).

❖ عبده، محمد عبد النعيم:

198. علاقة البابا انوسنت الثالث بالإمبراطورية اللاتينية في القسطنطينية، مجلة وقائع تاريخية، المجلد 6، العدد 31 (القاهرة، 2019). الحملة الصليبية السابعة، جامعة تكريت كلية التربية للعلوم الانسانية، المجلد 28، العدد 5 (تكريت، 2021م).

❖ العجيلي، زياد عبد الله صالح:

199. الحملة الصليبية السابعة، جامعة تكريت كلية التربية للعلوم الانسانية، المجلد 28، العدد 5 (تكريت، 2021م).

❖ عطية، جورج:

200. بلاد الشام في العهد البيزنطي، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام (جامعة الأردن، 1983م).

❖ عطية، حسين محمد:

201. المسلمون في الإمارات الصليبية في بلاد الشام، مؤتمر بلاد الشام في فترة الصراع الإسلامي الفرنجي (491- 690هـ) كلية الاداب (جامعة اليرموك، 1999م).

❖ علي، جاسم صكبان:

202. البرجوازية في ظل الحكم الفاطمي، مجلة كلية التربية بنات، المجلد 27، العدد4 (جامعة بغداد، 2006).

❖ آل فتاح، شكيب:

203. توجهات نور الدين محمود بعد مقتل أبيه عماد الدين زنكي مقاربة ما بين الطموح الشخصي والمحافظة على البيت الزنكي، مجلة دراسات موصلية، العدد 56، تشرين الثاني (الموصل، 2020).

❖ كنعان، عاصم اسماعيل، وغالب محمود:

204. صراع السلطة بين ابناء البيت الأيوبي بداية النهاية لحكمهم، كلية التربية للعلوم الإنسانية العدد 66(جامعة ديالى، 2015).

❖ المدني، رشاد:

205. بيت المقدس في عيون الرحالة المسلمين والأجانب في القرنيين الخامس والسادس الهجريين، بحث مقدم للمؤتمر الخامس بكلية الآداب بعنوان القدس تاريخا وحضارة، الجامعة الإسلامية، (غزة، 2011م).

❖ مصطفى، شاكر:

206. آل قدامه في الصالحية، حوليات كلية الآداب، رقم 3 (جامعة الكويت، 1982م).

❖ الملا جاسم، ناصر عبد الرزاق، وحسين حديس:

207. حصار أنطاكية (491ه / 1097م) بين المصادر العربية والصليبية من خلال كتابي زبدة الحلب لابن العديم وأعمال الفرنجة للمؤرخ المجهول، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج4، العدد 13 (تكريت، 2012م).

❖ الملا جاسم، وسفانة جاسم الجبوري:

208. علماء بيت المقدس من خلال كتاب الوافي بالوفيات للصفدي (دراسة كمية) مجلة مداد الاداب، العدد 15، (جامعة الموصل، د. ت).

❖ الملا جاسم، ومحمد عبيش سباكك

209. الصراع بين نور الدين زنكي والملك الصليبي عموري الأول للسيطرة على مصر في روايات المصادر العربية والصليبية المعاصرة، مجلة دراسات موصلية، العدد 16 (الموصل، 2022).

❖ الناصر، صفوان طه:

210. سيرة الملك الظاهر بيبرس، مجلة التربية والعلم، المجلد، 17، العدد3 (الموصل، 2010م).

❖ النصولي، أنيس زكريا:

211. الدولة الأموية في الشام، مؤسسة هنداوي (القاهرة، 2012م).

❖ مجموعة باحثين:

212. تجارة بلاد الشام الخارجية في العصر العباسي (132-451هـ /750-1059م) المؤتمر الدولي الخامس لتاريخ بلاد الشام، الجامعة الأردنية (عمان،1990م).

رابعًا: الاطاريح والرسائل الجامعية:

❖ الجبوري، محمد ابراهيم:

213. دور البدو في مقاومة الحروب الصليبية رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة سامراء، كلية التربية، قسم التاريخ (العراق، 2023م).

❖ داوود، مها:

214. مدن الساحل الشامي ما بين أنطاكية وطرابلس خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر للميلاد (488-591ه، / 1095-1195م)(رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة دمشق (سوريا، 2004).

❖ رواق، رحمة:

215. الصراع الإسلامي الصليبي على الجبهة الجنوبية (بيت المقدس - مصر) (559-589هـ / 1146-1193م) رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة الحاج لخضر،

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، شعبة التاريخ وعلم الآثار (الجزائر، 2013م).

❖ الزيدي، مصعب حمادي نجم:

216. الصليبيون في بلاد الشام مملكة بيت المقدس نموذجًا، أطروحة دكتوراه (غير منشورة) إلى مجلس كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة الموصل (الموصل، 2005).

❖ السامرائي: رشاد نواف أحمد وادي:

217. الحرف والصناعات في الامارات الصليبية الأولى، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة سامراء، كلية التربية، قسم التاريخ (العراق، 2018م).

❖ عبد الدايم، عبد العزيز محمود:

218. امارة طرابلس الصليبية في القرن الثاني عشر، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة ام القرى (مكة، 1971م).

❖ عبود، هالة عبد الكريم:

219. الحياة الاقتصادية في الدولة الأيوبية مصر وبلاد الشام والجزيرة الفراتية (567-648ه/ 1171- 1250م) رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة سامراء، كلية التربية (سامراء، 2015م).

❖ الموعد، هاني صالح:

220. الساحل الشامي من الحملة الصليبية الأولى حتى نهاية الدولة النورية إداريًا وسياسيًا (492-569هـ / 1098-1173م) أطروحة دكتوراه (غير منشورة) جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم التاريخ (سوريا، 2018).

خامسًا: شبكة المعلومات الدولية (الانترنت):

❖ الموسوعة الحرة (وبكيديا).

221. ارشيف مدينة القدس.

قائمة المحتويات